

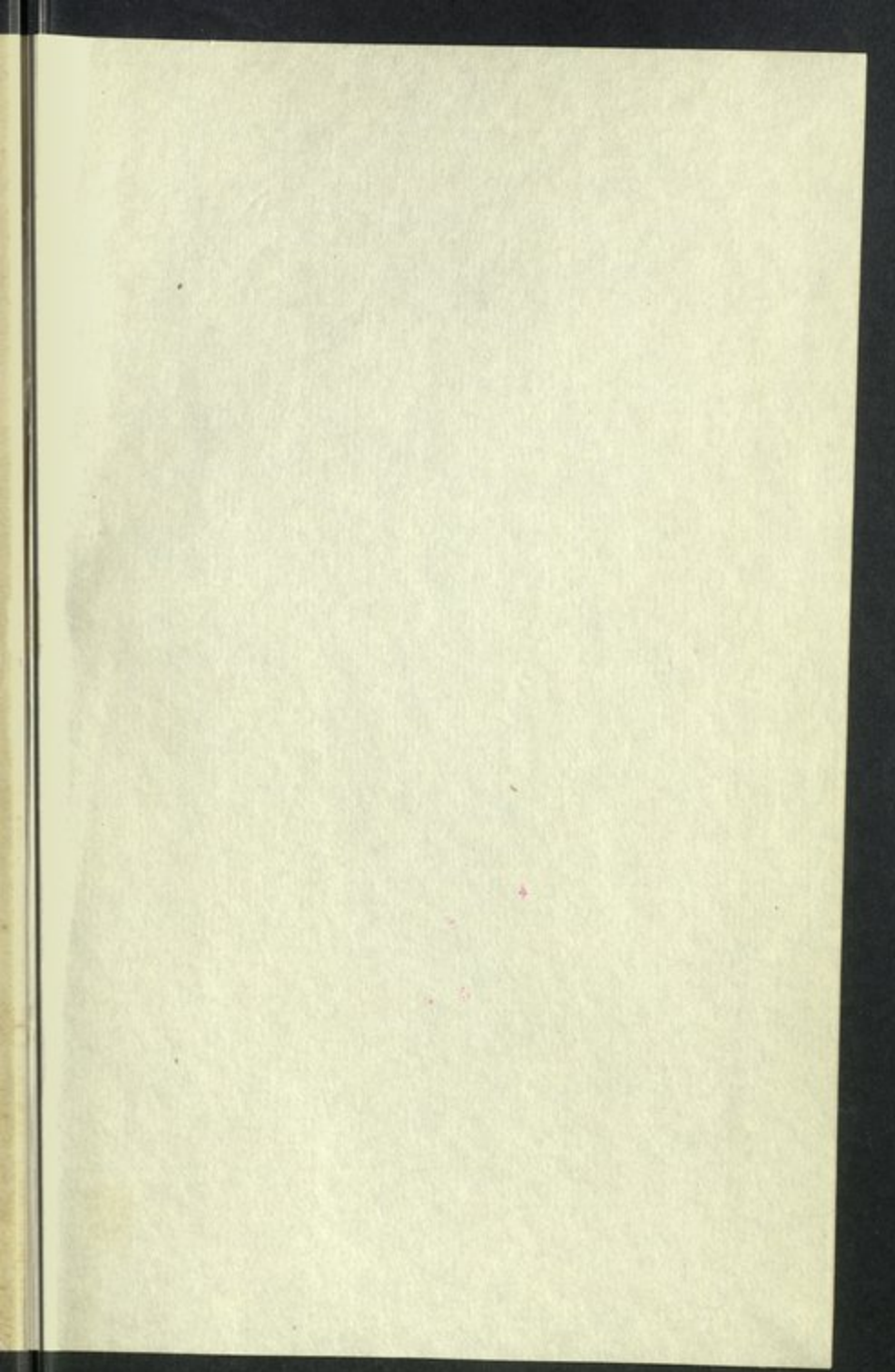


L.A. U. B. LIBRARY

AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT



LA:U.B. LIBRARY





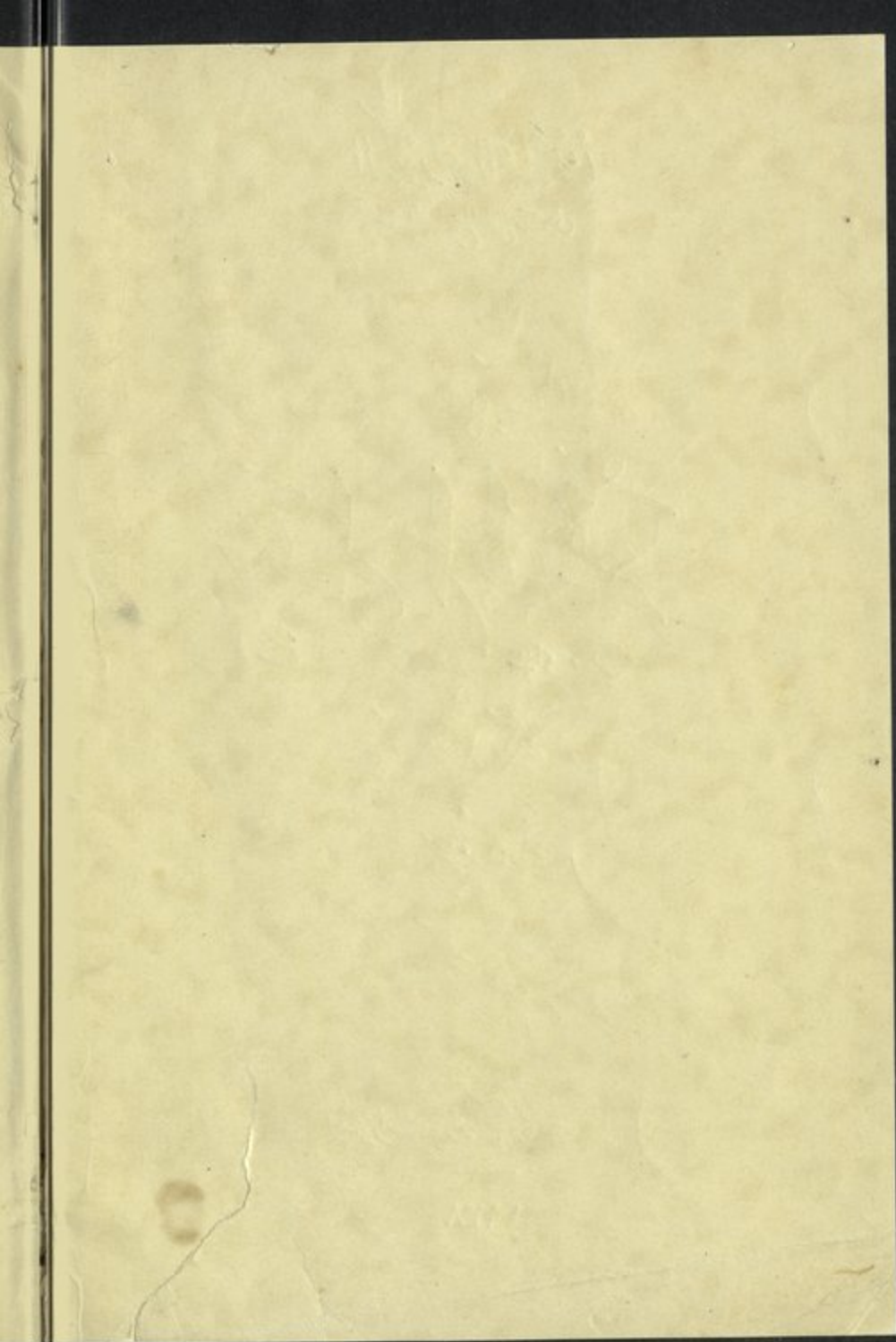
الدكتور نقولا فياض  
عضو المجمع العلمي العربي

# عَلَى الْمَنِيرِ

الجزء الاول

منشورات «دار المنكشوف» بيروت

١٩٣٨



توضیحات در خصوص...

این سند در تاریخ ...  
موضوع ...  
محل ...  
شماره ...

تاریخ

این سند در تاریخ ...  
موضوع ...  
محل ...  
شماره ...

## منشورات « المكشوف »

الصبي الاعرج (نقد)	توفيق يوسف عواد
عشر قصص (نقد)	خليل تقي الدين
عمر افندي	لطفي حيدر
قيص الصوف	توفيق يوسف عواد
كان ما كان	ميخايل نعيمه
ليلة القدر	احمد مكّي
العراق بين انقلابين	عبد الفتاح ابو النصر اليافي
ارجوحة القمر (شعر)	صلاح لبكي

### تحت الطبع

على المنبر [الجزء الثاني]	الدكتور نقولا فياض
عيسى بن مريم	احمد مكّي
الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
الشيوعية والتعاونية	
اللاحمومية والوثمترات الدولية	
الفاشستية والنازية	



CA

089.9275

F286a A

v.1

CA

الدكتور تقولا فياض

عضو المجتمع العلمي العربي

# عَلَى الْمُنْبَرِ

الجزء الاول

منشورات «دار المكيثوف» بيروت

١٩٣٨

## فهرست لهذا الجزء

ذكري الدكتور صليبي  
 التجديد في الشعر العربي  
 الارض  
 تكريم الاب معلوف  
 سباق الخيل في مجالس النواب  
 نخب سليمان البستاني  
 تأبين مفتي بيروت  
 = البطريرك ارسانيوس  
 = شارل دباس  
 = انيس طراد  
 = وديع ابي النصر  
 = اخي  
 ذيل

س ٩-١٢ رفع الستار عن تمثال ك.فانديك  
 القلب البشري  
 زيارة المطران مسرة للمشفى  
 المرأة والشعر  
 من المبد الى اللحد  
 حفلة النادي السوري  
 حجر الاساس لمدرسة سياج  
 حفلة خريجي الجامعة الاميركانية  
 بين العجز والقدرة  
 الجمعية اللبنانية في القاهرة  
 زهرة الاحسان  
 حفلة المدرسة الاهلية  
 تمثال الامير فؤاد ارسلان

## فهرست الجزء الثاني

الخطابة	التعاسة
البيضة والحجر	بويل المستشفى
تكريم رئيسة المستشفى	من المدرسة الى البيت
ذكرى جان دبس	الدستور العثماني
النادي الارثوذكسي	الانسان ازاء المدنية
كشاف غسان	الحرب
مهرجان المتبني	الام
الانسان الجديد	افتتاح النادي السوري
القوى الكامنة في الانسان	انا واتم
خريف الحياة	حفلة المساجتيك
نخب مسرة ، تويني ، بلس	افتتاح مدرسة سياج
تأبين مسرة	الصحة في مجلس النواب
= الدكتور عفيس	= البريد والبرق
= ادما سرسق	= زراعة الدخان
= نجيب سرسق	= البكالوريا اللبنانية
= مدام سياج	= اعتصاب السواقين
= كرم توفيق	وداع الاسكندرية
= خياط باشا	الميتم الارثوذكسي
	مباراة الصحة في الدرسة الاهلية

## الى القارى

هذه محاضرات وخطب في موضوعات شتى من ادب  
 واجتماع وفلسفة القاها الدكتور فياض في محافل مصر  
 وسوريا ولبنان ، وقد نشر بعضها في المحلات والجرائد  
 وبعضها لم ينشر ، فاجبنا جمعها في كتاب واحد  
 عسى ان يجد المطالع فيه بعض اللذة او الفائدة .  
 ومن عادة الخطب ان لا تنال من قلب القارى ما تنال  
 من قلب السامع ، لانه كما قال المؤلف في كتابه  
 « الخطابة » : « هناك شروط كثيرة كالصوت والوثفة  
 والاداء تخلع رونقاً على الخطاب ، ثم ان مشاركة  
 الجمهور للخطيب بالمصادقة والتشجيع ، ترفع الخطيب



الى ان يصير صوته وقلبه ، صوت الجمهور المصغي اليه  
وقلبه الخافق معه ، ومن الصعب ان تجد مثل هذه  
الشاركة عند القاريء . »

ولكن خطب الدكتور فياض تخرج عن هذه  
القاعدة فهي ليست كلها بنت الساعة ، بل ان  
اكثرها نتيجة جهد ودرس وتفكير، وفيها من الجدة  
في الصور والحقائق الفرغة في قلب جميل ما يضمن  
لها التأثير المطلوب في نفس القاريء ، فيخيل اليه انه  
يسمع صوت الخطيب من خلال كلماته ، ويتمثل  
اشاراته في عباراته .

ونحن لم نقصد في تبليها بالطبع ، الا الى خدمة  
الادب العربي الذي آلينا على انفسنا المساعمة في  
انعاشه بكل وسيلة .

طبع من هذا الكتاب ٢٠٠٠ نسخة على ورق عادي

٥٠ نسخة على ورق ممتاز مرقومة من ١ الى ٥٠

١٠ نسخ على ورق «بوفان» منسرة بالرقم الروماني

من I الى X

جميع الحقوق محفوظة

## في عفة رفع الستار عن تمثال

المرحوم كرنيليوس فاندريك في مستشفى سان جورج

في بيروت سنة ١٨٩٩

(وهي الخطبة الاولى للمؤلف)

ايها السادة

نحتفل اليوم لتذكار رجل عظيم . اليوم نقوم باداء واجب مقدس  
نظير فيه للعالم التمدن الناظر اليها انا نعترف بالجميل وتقدر الرجال  
قدرهم .

منذ ثمان سنوات شهدت بيروت احتفالا مثل هذا الاحتفال وعيدا  
اشبه بهذا العيد فكنا نرى الناس على اختلاف النحل والطبقات

## تمثال فانديك

يتوافدون للاشتراك في عمل خطير ، ذلك هو عيد الخمسين لرجل غريب عن هذه الديار جاءها واوطن بها . هذا الرجل موطنه اليوم الابدية . سار اليها مثقلا بالسنين مثقلا بالاعمال . لقد شهد وهو على سرير الموت بكاء معاصريه عليه وسمع عن بعد تهنئات الذرية لانه لم يكن رجلا بل جيلا والشانون التي عاشها ملأى بالاعمال الخالدة لانها الحلقة الاولى لسلسلة جديدة .

لهذا الميت العظيم ، لهذا الحي العظيم ، نجتمع اليوم في نادي هذا المعهد الخيري لرفع نصبا ناطقا بفضله ونقوم امام الخلف بواجب السلف قتيبارك الابناء الآباء لانها حفظت لها رسم ابيها .

صاحب هذا التمثال يا قوم واحد من تلك الفئة القليلة التي قامت في سوريا بانشاء المدارس وتأسيس المجامع العلمية والادبية والخيرية يوم كانت البلاد في اشد الحاجة الى المدارس والمجامع والخير والادب . خذوا مثالا ببيروت وما كانت عليه في صدر هذه المئة . كانت الخرافات والاوهام راسخة في الازهان والعقائد الفاسدة مستحكمة من العقول ، كان العلم محصورا في الافراد والنوكلات الحديثة محاولة منا . كنا لا نعي مباحث العصر الحاضر ولا قبل لنا باتباع حركة



## تمثال فانديك

العلم في العالم • حينئذ ظهرت يا كرنيليوس كالبدر في الظلماء وارسلت اشعتك الى عقول معاصريك ونقشت في صدور فتيان تلك الايام الذين هم رجال الحاضر وشيوخ الغد مباديء جديدة ، اعدت الضمير لخدمة الحقيقة والفكر لخدمة الضمير .

فلتبارك الى الابد ايها الرجل العظيم •

ان من كان مثل فانديك فهو من اعظم الابطال لانه جاهد في اعظم الحروب ، حرب الصحة والمرض ، حرب الخمول والجد ، حرب الجهل والعرفه • وماذا كان سلاحه ؟ نفس كبيرة وقصبة صغيرة . بنفسه الكبيرة اقام بين الضعفاء يؤاسيهم ويسهر عليهم والمساكين يعزيهم ويحسن اليهم • وبريشته الصغيرة بعث في البلاد تلك المؤلفات العديدة تنشر المباديء الصحيحة والاداب السامية • درس لغة البلاد ليخلص الخدمة للبلاد ودفع غيره الى الكتابة واعان سواه على التأليف وكان طبيباً من اصدق الاطباء مؤلفاً من ابرع المؤلفين محسناً من اكرم المحسنين • فالتتمثال الذي يقيمه هذا المستشفى لا ينطق فقط باحسانه اليه وتطبيبه مجاناً فيه ومساعدته في بنائه بل يشهد ايضاً ان كرنيليوس فانديك حياة تملأ سوريا والشرق بما فيها من جليل الخدم

## تمثال فاندريك

وجميل المآثر .

ايها السادة فلنحیی هذا الاسم .

والان وقد اتیح لي الكلام فلا عذر ان سكت ، فيا اطباءنا ويا اغنياءنا ويا رجال العمل فينا هكذا فلتكن للجميع حياة الافراد فانما قيمة الانسان ما يحسنه . ولقد خفيت هذه الحقيقة حيناً تحت حجاب المدح والرياء اما اليوم فقد استقل الفكر في حكمه فلا نكرم الا العمل الكريم .

كلمة اخيرة .

قليل هم الرجال العظام ، ولكن قلما وجد كل لوحده ، ولم يكن له في زمانه شريك ، هكذا فاندريك لم يكن منفردا بالعمل ، وتاريخ النهضة العلمية في الشرق والكتب المحفوظة في خزائنا والاخبار السائرة على الالسة تحفظ لنا اسماء غيره من المحسنين بعلمهم او عملهم . ونحن بتكريمنا واحدا منهم نكرمهم جميعاً وخلق بنا التنويه بذكرهم في هذا الموقف ليعلم الناس اننا لا نبخس حق العلم والفضل ورجاله ولا نميز في ذلك بين مذهب ومذهب وان الزمن وان طال والمسافة وان امتدت لها اقصر من ان ينسيانا جميل المحسن بعلمه او المحسن بطبه او

## تمثال فانديك

المحسن بماله • وكما يمثل هذا التمثال صورة فانديك فهو يمثل عصر  
فانديك ، وعصر فانديك يمثل تلك الفئة الكريمة التي رافقته في الوجود  
وشاركته في الجهاد وهي اليوم ارواح بدلت من اجنحتها المنظورة  
اجنحة لا تنظر ولا تزال الى الابد ترف في سماء هذه البلاد •

شاهدنا

بالحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين

والله اعلم  
بما نزلنا  
من كتابك

والله اعلم  
بما نزلنا

من كتابك

والله اعلم  
بما نزلنا

من كتابك

والله اعلم  
بما نزلنا

من كتابك

والله اعلم  
بما نزلنا



## القلب البشري

القيت هذا، الخطبة في نادي مدرسة الاحد

جمعية شمس البر سنة ١٩٠٠

اسعد الله مناء الصحب سادة الفضل الكرام النجب  
وحى الله حوى جمعية جمعتمكم يا خيار العرب  
هي شمس البر الا انها تجمع اليوم شمس الادب  
ما عسى ينظم فيكم شاعر شاعر بالعجز لا بالتعب  
قلبه اصل بلاه فاعذروا ان شكاً من قلبه المضطرب  
رام ان تجلى لسكم اسراره ففسدا يرقص لا من طرب  
وغدا خلف حجاب الصدر لا يتمنى غير شق الحجب

## القلب البشري

سيداتي لست ارضى فئة انكرت ما بيننا من نسب  
انما القلب كتان غامض فيه للمرأة اسمي مطلب  
والذي تكتبه فيه لنا ما رأينا مثله في الكتب  
ولذا لم تلف قلباً خافقاً لا ينادي هي اصل السبب  
وخفوق القلب داء مزعج حير الناس فقالوا: عصبي  
زعموا الطب عليه قادراً وانا ادري فقد جربت بي  
سيداتي وسادتي

الى الجانب الايسر من صدر الانسان ، عضو صغير اجوف يعمل  
من وراء الحجاب بلا حساب ، فهذا العامل الصغير الذي تحويه قبضة  
كف وقد حوى العالم بأسره ، والذي اعجز الانسان سكوته المستطيل  
وازعجته ضرباته الدائمة ، والذي شغل افكار الفلاسفة وحسير قرائح  
الشعراء ، مظلوم جار عليه الانسان ، فوق جور الزمان ، فرماه بذنوب  
هو براء منها ، وعزا اليه اعمالا لا قبل له بها .

حسبه الاقدمون مصدر العواطف والاهواء والحاكم بامرهم في  
سائر الاعضاء ، وجعلوا الصدر له كالقلعة يشرف منها على نظام البدن  
والروح ثم رجعوا اليه في استطلاع المستقبل وحملوه تبعه الماضي

## القلب البشري

وسألوه المعجزات. ذلك ايام كانه مقدساً لا سبيل للايدي ان تمدايه ولا للاذن ان توضع عليه ، حتى اذا اتيح لهم درسه وجدوا فيه عكس ما توهموا فاذا هذا العضو الخفاق لا يمتاز عن غيره من اعضاء الجسم الا بانه اكثرها حركة وتعباً ، واذا عذابه في وظيفته وضعفه في حركته فهو يتفانى في سبيل الحياة ولا يعرف الراحة حتى المات . حينئذ انزلوه عن عرشه العظيم ، وجردوه من سلاحه القديم وشقوا جوفه فادر كوا ما قاساه هذا السكين ، ورأوا مطبوعاً على شغافه وصماماته اثر المصاب التي عرضت له وهو يجاهد في الوجود والالام التي نزلت به في الدفاع عن هذا الوجود حتى وهنت قواه يمر الزمان فقدم نفسه ضحية في هيكل الانسان .

لا ارضب ايها السادة ان اصف لكم امراض هذا القلب الكثيرة ولا احب ان امثل لكم صوره المجزئة فاريكم جوفه الصغير مقطعاً تقطيعاً يقطر دماء حمر اثم يبلعها نجيعاً . انما نحن في ليلة انس لا ليلة درس والذي انا محدثكم به قلب آخر معنوي تبطنه هذا القلب المادي قلب آخر لا دخل للهيولى فيه ، ولا تسلط للمادة عليه . فلا تسألوا الاطباء والمشرحين الذين لا ينظرون الا بعين الرأس ولا يؤمنون

## القلب البشري

الا باللس ، سلوا الشعراء والمحبين ينبتوكم الخبير اليقين . انه عود  
لا كأعواد الطرب ، اوتاره رقيقة حساسة ، يجر كما شيء ارق من  
الماء ، واخف من الهواء . اوتار لا تحتاج الى غير دمة او تذكار ،  
لتخرج انعاما شجية وآيات عبقرية .

هذا هو ايها الناس رفيقكم الدائم الذي يتأثر عنكم ولكم . هذا  
هو ايها المرأة مهبط نبواتك ومصدر تحذيراتك . ويا ايها الشعراء  
والخطباء هذا هو المنبر المحجوب الذي تنصت لذي صوته الخفي كل  
اصوات العالم . هذا هو الضعف وهذا هو القوة . هذا الذي يقصد  
اليه الشاعر بقوله :

انا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي  
ينظر الطرف ويهوي القلب والمقصود حتمي  
ايها السادة

كثيراً ما وقفت امام البحر العجاج اسبر غوره العميق واراقب  
امواجه المتلاطمة تقترب على مهل ثم تسرع فتعلو فتعاظم حتى تصل  
الى الشاطيء فتضرب الصخر وتطالير منها الزبد ، فكان منظر المياه  
الزرقاء وما وراءها من عميق الاسرار يبعث في الدهش والشجون



## القلب البشري

ويفتح للفكر باب التأمل ، ولكن اين هذا مما كنت اشعر به عندما اقب امام ذلك الاوقيانوس الاخر العجيب الذي يقال له القلب اراقب عواطفه المضطربة كاللوج خاضعة مثله لعواصف الالهواء . . . .

عواطف الانسان المختلفة وقفت به في هذا الوجود بين الرغد والنقاء والموت والبقاء محنية الى الارض رأسه الكسير ، رافعة الى السماء بصرة الحسير . جند منظم يحارب العالم به العالم . اهواء مضطربة وزوابع وورعود وامطار وتلوج بينها ليالي سخو ونجوم يجمعها في الانسان تنطقة مجهولة ، سمها ما شئت روحا او نفساً او قلباً . كرة اشبه بالارض تسكنها هذه العناصر والقوى على اختلاف في الدرجات بين شدة ورخاء وصلابة ولين وحرارة وبرود وكدر وصفاء حتى تصل الى قطبيها فتتخصص تلك القوى في قوتين ، او العناصر في عنصرين : الحب من جانب والبغض من جانب . حلال الحب كما تحلل النور تظهر لك الوانه المتعاقبة من سرور ورجاء وشجاعة واقدم ونخوة وابهاء وصداقة واخاء وشفقة وحنان وما الى ذلك . وحلل البغض تظهر لك الوانه الرائعة من خوف وحسد وزور وارتكاب وحقسد وكذب وما يقارب هذه الصفات .

## القلب البشري

الحب والبغض اليهما مرجع كل عاطفة او بالاحرى الى واحد منها لان الحب مقلوب البغض ، ومن يعرف ان يبغض يعرف ان يحب . احب ! هذه هي الكلمة التي تلفظها الطبيعة باسرها كما قال شاعر الفرنسيين ، للريح فتحملها على اجنحتها وللعصفور فيصفق لها باجنحته . هذا هو التهد الاخير الذي يخرج من احشاء الارض عندما تخيم عليها الظلمة الابدية .

هذه هي الكلمة التي ترددها اجرام السماء في افلاكها ولا يلىء البحار في اسلاكها .

فاموس عام تجري عليه حركة هذا الكون الفسيح ، عالم المادة وعالم الروح ، كل ما في الارض وكل ما في السماء خاضع لهذه الشريعة . الموضوع يا سادة واسع المجال فلا اخذه منه الا ما يتعلق بالقلب البشري ، واذا حصرت كلامي عن القلب البشري في الحب فذلك لسببين : الاول ان الحب كما تقدم مصدر عواطف القلب ومختصر اعماله . والثاني اني حدثتكم فيما مضى عن شقاء الانسانية ، فاجبت اليوم ان احدثتكم عما يجلب لها السعادة ، غير اني لا ادعي الاطاعة بالحب من كل نواحيه ، فاسمحوا لي ان ادخل معكم هذا الروض

## القلب البشري

الفسيح دخول الزائر المسافر انتقل فيه تنقل الطير فوق الاقنان  
اقطف زهرة واترك زهرات ماشياً فيه بلا نظام منهداً بذلك دقات  
القلب الناتجة عن الحب .

ابسط صور الحب في الانسان ، حبه لسائر المخلوقات الحية يدلنا  
على ذلك الوحشة التي يشعر بها وسط الوحدة ، واللذة التي يتمتع بها  
في حضن الاجتماع ، والحاجة التي بنا الى اتخاذ رفيق نستأنس به  
ساعات انقباض الصدر . ومن تعود تربية الخيسوان في بيته يذكر  
تعلقه بهذا الريب الغريب ، وكيف يخفق قلبه جذلاً عندما  
يرى لطيف حركته ويضطرب قلقاً عندما تلوح على ريبه سماء  
الكآبة او الضعف . وهذا النوع من الحب لا ينافي وجود الحب  
المعروف ، بل كثيراً ما يكون له رفيقاً وانسياً ، لان للمحب ساعات  
لا يجتمع فيها بمن يهوى ، وكثيراً ما يقضيها في مداعبة كلب احبه او  
مناغاة طير رباه ، او ملاطفة زهرة مال اليها .

ان الهند مهد العلم ومبعث النور الذي ضاء به العالم القديم ، قام  
دينها وآدابها على هذه العاطفة وكان القلب عندها اساس الايمان لانها  
احبت النفس في ابسط صورها وادناها فحرمت اكل اللحوم وقتل



## القلب البشري

الحيوان ، ووضعت لذلك مبدأ التناسخ . رأى شاعر الهند طيراً مصروعاً فصاح : لا مجد الناس ذكرك في القرون الآتية أيها الصياد لانك قتلت هذا المصفور في ساعة حبه المقدسة . قال وبكى واخذت اناته تتابع وخفقان قلبه يزيد . وهكذا كان الشعر . فالشعر ذلك النور الذي يتفجر من القلب ، مصدره الوحيد هذا النبع الصغير . « تهجد ودمعة » .

وبين هذا الحب البسيط والحب المعروف درجات اولها حب الانسان للانسانية ذاتها ثم للجمال وللحقيقة وللفكر ثم لله خالقه ثم يتلو ذلك حبه لمن هو اقرب اليه في المبادئ والاخلاق وهي الصداقة ثم حبه الاخوي والبنوي ثم حبه للمرأة مجردا .

فحبه للانسانية نشاهده كل يوم في مساعدته اخوانه واشفاقه عليهم .

وحبه للجمال في محافظته عليه واعجابه به .

وحبه للحقيقة في صرفه العمر في البحث والتنقيب وراء اكتشاف

مجهول او اثبات معلوم .

وحبه للفكر في الفتن التي يثيرها في سبيل تأييد مبدأ .

وحبه لله خالقه في المعابد التي اقامها في كل عصر ومصر والحروب



## القلب البشري

الدينية التي اضرها منذ بدء التاريخ .

اما الصداقة فقد جعلوها نالت المستحيلات اذا اردتها صادقة ولكن ذلك لا يمنع ان تكون اول ما يشعر بالحاجة اليه قلب الانسان عندما يقول وداعا لتزق الطفولة وطيش الحدائمه وخفة الصغر وهي الى الفتاة انتم منها الى الفتى لانها في ذلك الحين تستقبل فجرا جديدا من الحياة يملا فؤادها حلاماً عذبا فتشعر ان عاطفة جديدة نمت في قلبها كما تنمو الازهار في الربيع وهي الحاجة الى ان تحب وتحب واذا كان شعراء العصر وكتابه قد رقموا شأن الفتاة في احوال الاجتماع فذلك لانهم عرفوا ان الفتاة قابلة للحب والتألم واه في عالم العزوبة قد يكون لها حياة على حدة ورواية خاصة هي بطلها الوحيد ويكون حبها مقدسا كحب المرأة المتزوجة فما اعظم حاجة الفتاة حينئذ الى صديقة تكشف لها قلبها ولا يقف الحياء حاجباً دون افشاء سرها وما احسن ما قيل : اذا كان الحب شعر الحياة فالصداقة نثرها الشعري .

ايها السادة

امر بسرعة على درجات الحب لاصل معكم الى قته وهو الحب المعروف حب الجنس للجنس ناقلا لكم بعض ما قرأت عنه في كتب

## القلب البشري

القوم وحفظته من اعمال امس واليوم .  
عفوآ سيدآني الكرائم ما اخترت هذا الحديث لهذه الليلة الا تعمدا  
لاني رأيت الناس ما تعودت ان تلفظ هذه الكلمة الا باطراق الراس  
وحفض النظر فاحيت ان اغير هذه العادة ، رأيت الكثيرين لم يفهموا  
معنى الحب الصحيح ولم يتصوروا فيه غير ما يدفع الى الحجل فحسبوه  
زلة وهو فضيلة ، واذا كان الله قد جعل المرأة الانساء المصطفى لهذا  
الشراب الالهي فلها الحق ان تفتخر به فاكلامي الان الا لارفع مقامه  
في عيون من جهلوه فاساؤوا التصرف به واحتقروه ، فيمكنكن يا  
سيدآني ان ترفعن ابصار كن وتصغين بطمأنينة الى ما اقول :  
للحب في الناس حكم غير منتقل وسلطة عززتها دولة القفل  
فان ترم مهرباً منه اتخذ نفقا في الارض او سلما في الجو فاعتزل  
ما هو الحب ؟ تعريف الحب صعب كتعريف السعادة فاستمعوا  
ما يرويه لنا الاقدمون : هرب الحب يوما من امه المحبوبة ، فراحت  
تنادي باعلى صوتها وتقول : من رأى الحب تأمها في الطرق فهذا هو  
ولدي الفار ، ابني الضائع من يأتيني نبأ عنه فاسكب عليه نعمي  
واعطيه قبلة من في . صفات هذا الولد كثيرة ، جلده بلون النار

## القلب البشري

وعيناه تقدحان الشرار ، حلو النعمة لطيف الحديث معسول الكلام وحش اذا غضب ، خداع كذوب حتى في لعبه ، حاسر الراس لامع الشعر ، يده صغيرة ولكنها ترمي الى بعيد سهامه الجارحة ، يوترقوسه فيخرق بها كبعد السماء واحشاء الهاوية ، لا حجاب على بدنه ولكن دون نفسه الف حجاب ، ذو اجنحة كالصقور فيطير من المرأة الى الرجل ومن الرجل الى المرأة ويمش في القلوب . كنانته من ذهب وسهامه محددة يجرح بها حتى نفسه ، فان وقعت عليه فقيده ولا ترحموه ، وان بكى فاحذروا دموعه لانها غرارة ، وان ضحك فشدوا وثاقه لئلا يفلت ، وان حاول عناقكم فامنعوه لان قبالاته خطر وشفتيه تقطران سماً ، وان سلمكم اسلحته فيحذار ان تلمسوها لانها نار محرقة .

هذا هو الحب عند الاقدمين ، لقد مثلوه طفلاً حاملاً قوساً فكان عند اليونان يرشق سهاماً ، وعند الهنود يرشق ازهاراً اما اليوم فنحن لانزال نشعر بسهامه الجارحة وازهاره المسكرة .  
ولكن هل الحب كله عمل من اعمال المادة ، واللذة الناتجة عنه



## القلب البشري

كاللذة الناتجة عن قضاء حاجة ما ؟ ان الانسان يأكل اذا جاع ويشرب  
اذا عطش فهل في الحب يفعل كذلك ؟

لقد زعم البعض ان الانسان كله حب ذات وهو زعم ان صح  
فقد جعل الحيوان افضل منه لانه يعنى احيانا بسواه ، غير ان ذلك  
مردود والحقيقة كما قال سبنسر « ان من الحب ما هو ادبي سام ينتج  
عن الشعور بجاذب الجمال وفهم معناه والاعجاب به » وهذا الحب  
يرافق الانسان في ادوار حياته ، وقد يزول الشباب وتحمده ثورة  
الاعصاب واثره باق لا يزول . ولو لم يكن في الحب هذا البدأ السامي  
الشريف لكان الحب بين الجنسيتين نوتا من العبودية . لو لم يكن  
فيه هذا البدأ السامي الشريف لما امكنا ان نتصور كيف يستطيع  
شعور حقير في اوله ان يرتفع ويتمجد حتى يوحى كل ما هو عظيم ،  
ويكون المصدر الوحيد لسكل جمال وشعر وعظمة وفضيلة .

واذا كان افلاطون قد بالغ في تجريده الحب عن الحاجات الجسدية  
ورفعه الى ذروة التصور والخيال قاضيا بموت الاعصاب وخود الحواس  
وسكون العواطف ، فقد ضل ضلالا من زعم ان الحب ليس الا  
نوبة عصبية ، او تمثيل فصل من رواية ، بل ان هذه الحالة الشديدة



## القلب البشري

من الحب ان هي الا اقل حالاته تأثيراً كالسيل الجارف اذا نظرت اليه في المجاري الضيقة فانه يجبط ويزبد ويسمك هديراً هائلاً . ولكنك اذا تبعته الى السهل راق جريه ورقت نعمته ، وانسط امامك الى مسافات شاسعة فروى غلة الارض وما عليها .

فالحب اذا قسنا : مادي وفيه يدخل حب الذات ، ومعنوي وهو الذي يجب ان يخفق له كل قلب لما فيه من الفضائل . اقرأوا كل ما كتب او صور عن الحب تجدوا ان الشرور التي يعزونها اليه ناتجة عن حب الذات الاعمى ، وان الحب الصحيح هو اصل المحامد ولهذا حدده الفيلسوف بقوله «هو فرح الانسان بسعادة الاخرين» .

قال لابريار: «لا يخلو حب في قلب الانسان من الطمع منها يكن شديداً» يريد بذلك ان الحب في حالة الطهارة الكاملة مستحيل الوجود وانه لا بد من امتزاج الحبين في طبيعة الانسان .

الحب اتون يصعد دخاناً نافعاً او ضاراً حسب المواد التي تحرق فيه فهو في قلب الشريف ضياء ، وفي قلب الساقط بلاء .

ولقد قلبت تاريخ البشرية الى المعهد الذي تدخل من ورائه في ظلمات الخفاء ، فلم ار عصرأ او جيلاً خلا من هذه العاطفة ، بل

## القلب البشرى

رأيتها في كل مكان وزمان المحرك الاول لاعمال الانسان ، ومنبع  
تأثيراته ، ولم اسمع في كل ادوار التاريخ الا اغاني ونشائد لمجد الحب  
او صراخ ألم وتجديف .

كنت اطالع يوما فقرأت ما يأتي :

« امر الله فبرز الفردوس في حلة خضراء زاهية بالانوار ، وكان  
الماء يتدفق من اعالي الصخور كاللجين الذائب ، ومعاطف الاغصان  
تهادى مع النسيم كالعذارى ، وكوكب الصباح يسكب انواره كالوج  
فعم الفرح البسيطة ، واضحت الكائنات في سكرة من الجور ، الا  
الانسان فانه بقي وحده حزينا في وحدته يتساءل علام الاسماك في الماء  
والدبابات في العراء ، والطيور في الهواء ترح ازواجا ازواجا ، بين  
مغازلة وعناق ؟ لانه لم يفهم قول الخالق « انموا وتكاثروا » .

« تبحر ك شفقة الله عليه .

« واخذ ضلعاً من اضلعه وهو نائم فكون حواء .

« واستيقظ آدم بعد ذلك .

« فلما رأى الى جانبه ملكا معزيا ، شعره طويل مسترسل على اكتافه

يداه كالثلج موضوعتان على صدره ، اهدابه الطويلة متجهة الى الارض

## القلب البشري

وجنتاه موردتان ، شفتاه قرمزيتان ، قوامه رشيق ميساس ، لما رأى ذلك خال ان برقعاً انشق عن عيذه .

«واذا بالجو قدامتلاً نوراً ، والازهار اخذت تمهليل على الاغصان  
مرسلة انقاسها المسكرة ، والنسيم هب منعشاً عليلاً ، والاطيار كرت  
بانفاهها الشجية ، والجداول جرت بخريرها العذب ، وكل ما في  
الطبيعة مال الى العناق ، والعوالم وقفت في سيرها خافقة بشعور واحد  
لان نعمة جديدة رنت في انحاء الفضاء وهي صدى القبة الاولى التي  
اوحاها اخب للانسان الاول . »

اي نعم ، وجد الانسان ووجدت معه المرأة صورة الحب ،  
المرأة ذلك المخلوق اللطيف ، القوي الضعيف ، فوق الرجل ودونه ،  
كالسما التي تحيط به ، ذليلة تشعر بثقل اليد التي وضعتها عليها  
الطبيعة ، عزيزة بقوة العواطف والاحساس ، تارة تتحكم فيه كملك  
وطوراً يقودها كما تقاد العبيد ، حيناً يبيعها بقبضة من المال او قطع  
من الغم ، وآونة يقدم نفسه فدي لها ، وقد حيره حبها فلم يدر بما  
يلقبها ، فكان مرة يراها كالغصن ومرة كحمامة الغصن ، وهنسا  
يشبهها بالظبي في الوادي ، وهنسا كبفرس في مركبة فرعون ، ونظم



## القلب البشري

فيها الاشعار والف عنها الحكايات وحلي بها الصور ، وعلى هذا الوجه كانت ولم تزل مرآة امانيه وصورة آماله ، وكثيراً ما تمشى في ظلمات الحياة يتلفت نحو السماء فلا يرى كوكبه فيلتفت نحو المرأة ، وهي التي هذبت اخلاقه وروضت طباعه وانارت لبه وشجذت غرار قريحته وكم خفت عنه وطأة المصائب بفضل حبها .

لماذا نرى البشرية اليوم تتقهقر في آدابها على تقدمها في العلوم والصنائع والفن ، لماذا يسط هذا الرقي لا يزال الشقاء ضاربا اطنابه والفساد رافعاً قبابه ؟ ذلك لان الحب اصبح مهجوراً ، فالسكرات وعادات التقليد قد اضررت كثيراً بالجسم والعقل ، وولدت رجالات سقاء الافكار والابدان لا يشعرون بالحاجة الى الزينة الحب ، يفضلون العيشة التساهمة التي لا تقيد الرجل بتبعة الزواج فيقل الزواج من جانب وتقلص سلطة المرأة من جانب ، وبدلاً من ان يكون الحب منبع السلام والفضيلة والهناء يتحول الى حرب تبيجتها الذل والشقاء .

والزواج شرف الحب وكاله ، لان المرأة لا تبدأ ان تشعر بالحب حقيقة الا في العمر الذي اعدت فيه لتكون امماً . وهذا ناموس عام لا ينحصر بالفتاة في خدرها بل يتناول ازهار الحقول وطير الغابة .



## القلب البشري

خذ الزهرة مثلاً عند اشراق شمس آذاز وانظر اليها ما اجها وهي  
تفتح اكمامها بحرس وتمهل كأن الطهارة تمنعها ان تكشف صدرها  
لللابصار . اشعة الشمس تسقط عليها بلطف وتبعث فيها الحرارة ،  
فتبسط كأنها في تمول . ولا آلي الندى تلمع على جبينها كسحلي  
العروس .

واذا بالزراشة قد اقبلت حاملة في اطرافها غبار اللقاح من زهرة  
اخرى . تقف الزراشة على الزهرة فتزحف هذه وتنحني تحت انقال  
الحب : سر تصوير به الزهرة اما وينقضي عمرها .

والمرأة كالزهرة لها صباح ومساء . قلوب الشبان تحوم حولها  
كما تحوم الزراشة حول الزهرة ، منتظرة انفتاح قلبها للحب . الا  
انك ايها المرأة اسعد من الزهرة ، لانك عندما يأتي المساء ، وترين  
اوراق جمالك تتناثر عن جبينك الوالدي واحدة بعد واحدة ، تجدينها  
قد تعلقة على جبين اولادك : سلسلة حب طويلة في يد الله طرفها .  
ولكن كم من الامهات من يجهلن معنى الامومة ، فيسلمن ثمرة  
احشائهن الى اناس غرباء خشية ان تزيد الرضاعة من رونق الشباب  
فيحرمن مما في الرضاعة من لذة . واني لا آلي المسؤولية كلها على

## القلب البشري

الفتاة ، ولا ارى الرجل بريثاً من هذا الانم ، فهو الشجع على هذه الامور التي تصحك وتبكي لاهتمامه بشبابها قبل آدابها . فالى اين تمشى الانسانية ياترى ، وما يكون تركيب الرجل وبنيته في المستقبل؟ ان القدماء لم ينظروا الى الجمال نظرنا اليه ، واولئك الابطال

الذين يرويهم التاريخ لم ينشأوا في عصر المشد .

يذكر لنا التاريخ شعباً عظيماً كان مثال الجمال والشعر . سماءه صافية وهو اذ لطيف ، وجباله واوديته مسكن الالهة ، ولغته انعام الملائكة ، فانظروا ما ابقى هذا الشعب من الصور والانصاب الدالة على الجمال والقوة .

هذا الشعب رأى الهة الجمال عادة من النور طالعة من المياه في صباح رق هواؤه و صفت سماءه ، وهي عارية الجسم الا نطاقاً ازرق بلون السماء ، رآها طالعة من المياه في موكب من الحمام البيضاء ترف حوالها ، تارة تضع وردة على جبينها ، وطوراً تسعى للاختباء تحت نطاقها المتموج . ظهرت له بهذا المشهد البديع بالقرب من شواطئ فينيقيا ، وهي حيرانة لا تفهم معنى وجودها هناك ، واذا بمواكب الهوى ، تلك الحمام البيضاء ، قد حملتها في هودج النور ،

## القلب البشري

وطارت بها الى السماء .

عندما كان الجمال مكرما الى هذا الحد ومرفوعا فوق باب الهيكل  
كان الحب سامياً شريفاً ، اما اليوم فنحن لا نفهم معنى الجمال ، فالجمال  
على حد ما قيل نور يضيء في الظلمة ، والظلمة لا تفهمه . منه صنع  
العالم والعالم يجمله .

ايها السادة

اذا كان الحب لذة البعض فهو حاجة الكل ، فعليه ان يكون  
شريفاً ليكون مباركا . يجب ان نمثله للعين باجمل صورة ، لتكتسي  
به النفس اجمل حلة . يجب ان نعرف انه اذا كان الجمال فضيلة البدن  
فالفضيلة جمال النفس .

يجب ان نعرف ايها الشاب عند خفوق فؤادك لأول مرة ، عندما  
تتجلى لك الالهة في ابتسامة ، وتبصر من خلال الدموع كواكب  
السماء ، عندما تتصاعد زفرائك ، وتمثل صورة الحبيب في ذاكرتك  
كحلم تشفق عليه ان يزول ، يجب ان نعرف ان ذلك المحسوق الذي  
يقودك في حياة جديدة ، ليس العوبة تطرح بعد ساعة او تكسر ،  
ولا آلة للتسلية فقط ، بل هو الحب كما اراده الله ، والتعزية كما تطلبها

## القلب البشري

النفس . بل هو المستقبل مائل امامك بلا حجاب ، يشجعك على  
المعيشة ويقول لك : سر ولا تخف . يجب ان تعرف ان المرأة ام لنا  
تمطينا الحياة اولا وثانياً : حينما تفتح عينيك للنور ، وحين تفتح قلبك  
للحب . واذا لم تجد فيها احبباً الرقيق الذي تحلم به ، فالذنب عليك  
لاستخفافك بعواطفها وجهلك اياها . فالمرأة كما قال بلزك : آلة  
موسيقى لا تطرب الا من يعرف ان يوقع عليها .

ايها السادة

هذا هو بعض ما اردت ان احدثكم به هذا المساء عن الحب الذي  
ملاً عالم الخيال باجمل الحكايات ، وعالم الحقيقة باعظم الوقائع ، فرفض  
من اجله عولس الخلود وحب لعنترة تقبيل السيوف . الحب موحى  
شكبير وبيرون ولا مارتين وموسه . هذا الذي قال عنه الفارسي :  
هو الحب فاسلم ، الذي تقرأ اسمه على ابواب الجحيم التي وصفها شاعر  
التليان ، الذي اول ما يكون مجساة

واذا تمكن صار شغلاً شاعلاً

هذا هو البخار الذي كلما ضغطت عليه قوي واشتد ، هذه هي  
الحى التي اعراضها الحرارة والبرد ، هذا الذي فاز بما لم يفز به الالهة



## القلب البشري

فأقيم له معبد في كل فؤاد ، وذبح على محرابه كل العباد ، هذه هي  
الهاوية التي تنظر في سماها السماء . هذا هو الالف والياء .  
ما يكون تاج المرأة في المستقبل ، وكيف تحكم في الشعوب الاتية؟  
هل تحمل الصولجان والسيف؟ هل تمد الى الصناعة يديها النحيفتين؟  
هل تنازع الرجل سلطة القوة؟ كلا ولكنها ستحكم كما عودته حتى اليوم  
بئنان الام وصداقة الاخوت وامانة الزوجة . بما تلمه من القوة ساعة  
الضعف وتعطيه من اللين في حال الشدة . ستحكم بدمعة من عينها  
وابتسامة من شفتيها سترافقه في قفر الحياة ، وتكون له كعضا موسى  
لتضرب على صخرة قلبه وتفجر منها المياه . ستقيم له من الحب هيكل  
يمبدها فيه ، وفي هذا الهيكل يضحىها احيانا .

فيا قلب الإنسان ، ما اعجب اسرارك واغرب اطوارك ! ولكن  
مهما تقلبت عليك احوال ، ومهما اظلم جوك ، وعصفت فيك الزوابع  
ففي احدى زواياك شعاع دائم الاشراق ، وبه رسمت هذه الكلمات :  
الحب هو الحقيقة ، والحقيقة هي الجمال ، والجمال هو الله .

فلنحب ابدأ ايها السادة ، لانه مع كل ما اخترعه البشر لم يقدروا  
حتى اليوم ان يجدوا شيئاً اقدر على التعزية وابهج للقلب من الحب .

القلب البشري

يا ايها العصفور ما لك صامتاً  
 قد كنت لا تدري السكوت ولم يكن  
 غير الثقل والغنا لك مذهب  
 ام انت في ظلماً وماؤك ينضب  
 ام راعك الصياد عند مروره  
 - هيهات لا مرض ولا ظلم ولا  
 لكن لي عشاء أضعت جماله  
 ام ربيت بظلمها وعزيمتي  
 كانت تلازمي وتسال زوجها  
 حتى اذا اكتمل الجناح وطرت  
 لكن تخذت اليفة لي بعدها  
 يا طالما عشنا معاً في الفة  
 طوراً تحيننا الجبال وتارة  
 ولكم وقفا في الحدائق ترتقي  
 ولكم هناك استوقفت نغماتنا  
 ولكم ذهبنا للقبور نسامر اوتى  
 حتى اذا وقع القضا اصبحت لا

حيران مكتئباً وماذا تطلب  
 غير الثقل والغنا لك مذهب  
 ام انت في ظلماً وماؤك ينضب  
 فغدوت مثلي للمصائب تحسب؟  
 صيد يروع ولا عدو يرهب  
 فانا على عشي انوح وانذب!  
 ضعف ونبت الريش مني مجدب  
 قوتنا فيتركها لدي ويذهب  
 من اسري عدت عن ناظري تتحجب  
 كانت تلذ بها الحياة وتعذب  
 ابدأ نغني للزمان ونحطب  
 بقدمنا الوادي الحبيب يرحب  
 شجراً ومن كأس الازهار نشرب  
 شيخاً يودع او صبياً يلعب  
 وارواح الاحبة نظرب  
 ام ولا الف يحسن ولا اب

## القلب البشري

لكن قلبي لم يزل يجد الهوى عذبا وان يك بعدم يتعذب

\*

قد قال لي العصفور ذلك ولم يزد  
وسمعته في الجوى ينشد حكمة  
لا حب الا بالامانة فاعتسب  
فالقلم حب والحياة تقلب  
ومضى يشرق في الفضا ويفرب  
لك يا ابن آدم بالدماغ تكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الحمد لله رب العالمين  
والصلاة والسلام على  
سيدنا محمد وآله الطيبين  
الطاهرين اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين  
اللهم صل على سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وعلى آله الطيبين الطاهرين  
الذين هم خير الامم  
والايمان اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله



## في مستشفى القديس جاورجيوس

عند زيارة المطران مسره

ايها السيد الجليل

اول ما اشعر به في هذا الموقف ، هو احترامي الفائق لكم ، لا  
لكونكم رئيس كهنة فقط بل لاني ارى نفسي في حضرة عالم وخطيب  
فتروني القي الكلمة باحتراس واقول الجملة بتمهل عالماً في انها ستقع  
على خبير باساليب الكلام عارف بمواضع التقدير وهذه الصفة التي امتازتم  
بها يا مولاي بين رجال الاكليروس هي التي حببتكم الى الشعب السوري  
وجعلته يفتحم لاجلكم الاخطار ، غير مهال بمحساجزات الزمان  
ومساطلات الايام بل كان صوته يرتفع فوق كل الاصوات ، ونداؤه  
يعلو من فوق امواج الاحزاب ، صارخاً جرانيموس جرانيموس

## في المستشفى

فتعيد الاصداء ذلك النداء ، وتردد بيروت من سائر الانحاء  
جراسيموس جراسيموس •

وقد دعيت هذا النهار لاعرب عن شعائر جمعية المستشفى بكلمة  
مديح وترحيب تعودها الحنفاء في هذا الموقف. اما المديح فانما بتمدعنه  
ما امكن ، لا اعتقاداً بضيق المجال ولا خوفاً من نبو الذاكرة ، لاني  
على يقين انني اذا نسبت لك العلم والفصاحة ، لم اكن كاذبا بل لو  
وضعتك اليوم في مقام الالهة لما وجدت من حولي الا استحسانا ،  
وما سمعت الا هتافا وتصفيقا ، لان هذا الشعب يحبك ولاني اتكلم بلسان  
الانوف من عشاقكم اذ لم اكن ، واعلم علم اليقين ان كل كلمة تلفظها  
شفتاي هي خارجة من صدر كل واحد من ابناء هذه الابرشية. ولكني  
اعيد سيادتكم ان تقبل المديح من افواه الناس انت الذي اقامه الله  
راعيا لشعبه ، لا لكسب المديح بل لصنع مشيئة ابيه الذي في السماء .  
واما الترحيب فما عسى لساني القاصر ان يزيد على ما سمعت من اقوال  
الخطباء والشعراء وما عاينته من مظاهر الاحتفاء بك ، مما لم يشهده  
اجدادنا . بلى عندي لغة احبيك بها غير اللغة التي سمعتها حتى الان ،  
وقصيدة ابست كالتقصائد التي تتلى عليك كل حين ، ارحب بك

## في المستشفى

بنغمات اوقع في النفوس من الحان المنشدین ، ارحب بك بالصوت  
الصاعد من وراء هذه الجدران الصامتة ، بتهنيدات المرضى وانين  
المتوجعين ، واستقبلك بقصيدة لم تخط بمداد القلم ولم تؤخذ الفاظها من  
كتب اللغة بل سطرت بماء العيون ، ووزنت على دقات القلوب ،  
فكانت الفاظها الاوجاع وقوافيها الدموع . اجل ايها السيد ان المعهد  
الذي تزوره اليوم لانتساج فيه الى زخرف القول ، ورهسة  
الانفاذ ، لان مشاهدته المؤثرة لما يفني الشاعر عن تخيلاتہ ، والکاتب  
عن تصوراتہ ، والخطيب عن تذكيراته . لان العظمة التي خصك بها  
الله تحييها في هذا النادي عظمة ثانية هي عظمة الشقاء ، الشقاء بكل مفاد  
الكلمة لان المريض الذي تكفلت به الجمعية فقير الى كل شيء ، فقير الى  
الخبز والماء ، الى الطبيب والدواء ، فقير حتى الى نظرة عطف من اخيه  
الآدمي . هنا تجسمت التعاسة ولبست اجمل ثوبها القبيحة .

فاذا ما دخلت هذه الغرف ورأيت تلك العيون التي تسيل لها  
العيون ، والوجوه التي تصفر لاجلها الوجوه ، اذا ما دخلت هذه  
الغرف وشاهدت الارجل المتبورة ، والايدي المقطوعة ، والجراح

## في المستشفى

الدائمة ، يسوؤك يا سيدي ان ترى بعض الاسرة فارغا وقد كان في الامكان ان يقبل عددا من مثل هؤلاء المساكين لو سمح بذلك صندوق الجمعية . يسوؤك ان تعرف ان كثيراً ممن جار عليهم الدهر ، يقرعون هذا الباب ولا يفتح لهم لان المال قليل ، وموارد الاحسان غير كثيرة . يسوؤك ذلك ، يسرك ان تعلم ان هذا العمل المجيد هو صنع ابنائك ، وانه على الرغم من قلة الوسائل لم يتعذر عليهم النجاح فيه ( يسرك ما ترى من حسن الترتيب والنظام الراجع بالاكثر الى قلب كريم شفيق اريد بذلك الانسة هدلا كريمة شيخ اطباء الثغرة الدكتور وربات ) يسرك ان تعرف انه السابق الى تعليم البنات فن التمريض وحبذا لو اقتدى بالوجود منهن بعض بنات الطائفة ممن غلب الوهم عليهن فاحترقن عملا من اشرف الاعمال ، ذلك ما نأمل من سيادتكم النظر فيه والتحريض عليه ، حتى يكثر عدد المرضات فلا تنحصر وظيفتهن في المستشفى بل تمتدى الى البيوت ويكون بهن فرج لربيات الاسر . هذا هو مستشفانا ايها السيد ، لقد زرتة اليوم كما زار يوسف يعقوب والمسيح لعازر . فلا ريب ان زيارتك ستترك شعاعا منيرا في جوه المكفهر . ويكون لها في قلوب مرضاه اثر جميل كالآثر الذي



## في المستشفى

تتركه حمامة بيضاء تظهر حيناً للحزين في سجنه المظلم . أراوله بركة  
وآخره تعزية ، وكله امثل ونور . فاذا رحب بك هذا الشادي فهو  
يرحب برئيسه ، واذا حيتك اطباؤه فانما هي تحيي ايضاً طبيبه ، لان  
للمجتمع يا مولاي جراحا غير جراح الابدان ، والمال غير الم المادة .  
اذا حيتك جمعية المستشفى فهي تصيف صوتها الضعيف الى اصوات  
اللة جماء ونشاركها في عواطفها نحوك وآمالها فيك وايس بعجب  
ان يبلغ الفرح من اللة هذا الحد . فقد جاهدت في سبيلك الاسبام  
والشهور ، مائلة بانظارها نحو المغرب منتظرة طلوعك من وراء المحيط .  
ايام وشهور كانت تحسد من اجلك مصر وتمنى لو نقل اليها النيل  
لتريه ان بحر الروم الصافي احق بك من النيل يا بحر الروم . ايام  
وشهور مرت عليها ايها السيد وهي باسطة ذراعها نحو مصر والشام  
واضعة افكارها هنا وقلبها هناك . وكما تعشق ملتون شمس الوجود  
دون ان يراها ، كانت تصبو اليك يا شمس الارثوذكس قبل ان  
ترآك . اما وقد انشق عنها حجاب الظلماء ، وانقشع الغيم الذي وقف  
بين آملها والسماء ، فهي تحمد الله ان امانها قد تحققت وعدت اليها  
يا جراسيموس ، وعلى جيبك تاجان : تاج من ذهب وضعته بالامس

## في المستشفى

يد العناية ويسمى الرئاسة ، وتاج من نور لبسته منذ الفطرة ويقال له الذكاء .

مولاي: اذا حق للخطيب ان يتمدى موضوعه احيانا ، اذا حق للخطيب ان يترك موقفه الخاص ليظهر في الموقف العام ، اذا حق للخطيب ان ينتهز كل فرصة ليتطرق الى ذكر الاصلاح فقد وجدت مجال القول ذا سعة ولكن حاشاي ان اجول فيه بعد ان عرفت انك في غنى عن تنبيه الخطباء وتذكير الناقدين . حاشاي ان اجول فيه بعد ان بينت لنا انك عارف بمواضع الداء بصير باساليب الدواء ، فاسمح لي ان اقول اذا كلمتي الاخيرة في هذا الموضوع .

لماذا دعاك اليه شعب بيروت ؟ ألاجل ان تعاد مناقشات قديمة ؟ أجل الشعب ان يرهى الى هذه الغاية وان توهبها بهض افراده لان الدعوة الى السلم اصبحت اليوم دعوة العصر ، وقد سمعناك بالامس ترددها في خطابك فعرفنا ان الالفه غاية مناك والسلام اقصى مشتهاك . ان هذا الشعب الذي جاهد الابطال لتكون له ويكون لك لم يفعل ذلك الا لاعتقاده بك المقدرة على اصلاح حاله . فطلب الملة لك سنة طبيعية مصدرها الالهام الالهي والاحساس الفطري لانك وسط

## في المستشفى

الزوابع الثائرة والضباب المتكاثف على هذه الابرشية ظهرت لها كحجامة  
نوح حاملة غصن الزيتون فشت اليك بكل قواها ، لانها عند خروجها  
من متائه الماضي تطلعت نحو المستقبل لتهتدي طريقها فاذا بها تسمع  
صوته آتياً من مصر . ولا بدع فقد تعودت مصر ان تكون مطلعاً  
للخلاص منذرنت في الفضاء كلمة الوحي بلسان يوشع « من مصر  
دعوت ابني » في مصر ومن مصر خلص يوسف فرعون من المجاعة  
وموسى اسرائيل من الاستعباد والسيح العالم من الخطيئة وجئت اليوم  
يا كاهن الله فخلص شعبك من الانحطاط والتفريق .

ان اضدادك لم ينكروا قدر معروفك ومعرفتك ، ولكنهم ظنوا  
الحكمة حيث اخطأوا الظن . فلهؤلاء ولمرديدك معاً ستظهر الحقيقة  
في اعمالك الاتية ولقد رحبنا بك ما امكن الترحيب وقبلنا ان نصدق  
كل ما قيل فيك من مديح ولكن كلمة الحكم موكولة الى المستقبل  
ومنك سيصدر هذا الحكم لك او عليك . الى اليوم ما تعودنا الا الرياء  
في مخاطبة الرؤساء ، تعودنا ان نقدم لهم كل الخضوع بالقاب غريبة  
ونعوت مختلفة تناقلها الخلف عن السلف وعمدنا بها اسماءهم تعميدياً ،  
تعودنا ان نطأ في رؤوسنا احتراماً لهذا الرداء ، وقليلاً ما كان احترامنا



## في المستشفى

للإبس الرداء • أما اليوم فقد تغيرت هذه العادة • ونحن إذا خاطبناك  
الآن فأنما نخاطبك بلسان القلب والمواطف، وما حان لنا أن نخاطبك  
بلسان العقل والضمير • غير أن املنا يقارب اليقين ، أن العقل سيرضى  
عناك والضمير سيبارك أعمالك •

أي قومي ، لقد جاء مطرانكم وزال نيل خلاف ، فإن كنتم  
تجربونه حقيقة فبرهنوا عن حبكم له بمساعدته في العمل • برهنوا عن  
حبكم له بتلبية دعوته إلى السلام ودعوته إلى الإصلاح • وانت يا  
مولاي إذا لا سمح الله قصر ابنائك فلم ترمهم اذنا واعية للنداء ولا  
يدا ممدودة للعطاء، إذا لا سمح الله كنت بيننا كعيسو عندما حرمه ابوه  
من ندى السماء ودمس الأرض ولم يسبق له شير سيفه ليعيش •  
فمصاك سيفك ، بعصا الرعابة تسود ، وعصا السيادة ترعى • بعصا  
موسى التي في يمينك تفجر المياه من كرسي بيروت وتسقي هذه  
الابرشية العطشانة • ونحن على يقين أنك وحدك تفعل ما لا يفعله  
مكانك كثيرون • لأن عندك من الاستعداد والارادة ما يضمن لك  
الفوز لتقود الامة نحو مستقبل مجيد ان شاء الله •



## المرأة والشعر

قيال في الجامعة الاميركانية سنة ١٩٠٤

يا متدى العلم الشريف اراك اشرف متدى  
جددت للشرق القديم شبابه فتجددا  
واعدت للعلم المجيد سناء فتجددا  
وجعلت دارك بيت موسى والمسيح واحمدا  
فنظمت الحان الاخاء وراح دهرك منشدا  
ذبح التعصب في حماك وعند غيرك يفتدى  
والعقل في التعليم لم تسمح بان يقيمدا  
فجعلت فسحة السما والبحر في بعد السدى  
فاتسك امواج المحيط لدى محيطك سجدا

## المرأة والشعر

وسعت نجوم الافق ترصد من سماك المرصدا

\*

يا «أسبسي» (\* الوطن الذي بحمي الهلال تأيدا  
ما زرت ربعا مرة إلا رجعت مرددا  
هذه منارة رأس بيروت وذا علم الهدى

\*

اخوان الفضل وربات الادب سلام عليكم . احبيكم وامام عيني  
اشباح الابداء الذين وقفوا من قبلي على هذا المنبر ، ولا تزال ترن  
باصواتهم جدران هذا البناء . احبيكم وفي الفكر تذكارات لطيفة لايام  
كنت فيها صغيراً في الثالثة عشرة او اقل ، فكنت اسعى على قدمي  
لحضور حفلة مثل هذه . اذكر ذلك العهد ايها السادة وانا على احد  
هذه المقاعد صغير لا اكاد ارى ، اسمع الخطيب وفي صدري عواطف  
تتدافع واحساسات اكبر من جسمي الضئيل تحاول الطيران بي عن  
مقعدي . وبينما كان الخطيب يتكلم كانت عيني تغادران اذني عند

---

(\* S.P.C هي شارة الكلية المرسومة على علمها الخاص .

## المرأة والشعر

قدميه وتجولان في الجمع باحثه عن آثار الاعجاب والسرور ، ثم انسى المقام الذي انا فيه واطير بالتصور ، فأتمثل نفسي وقد حزت مرحلة الفتوة وبلغت الغاية من دروسي ودعيت لمثل ذلك الموقف خطيباً يسمع فيستحسن ، فتأخذني هزة الطرب وتسكروني خمرة الفوز وتحملني الاحلام على اجنحتها . نعم ان امالي تلك لم تتحقق لاني لم ادرس في الكلية ، ولكن الكلية مدرسة الجميع وحسبي انها خلقت في الليل الى الادب ، ولربما يسمع كلامي الان كثير ممن هم في الحالة التي وصفتها لكم ولا يبعد ان يقفوا يوماً نظيري في مثل هذا الجمع قائلين قولي شاعرين شعوري .

ولقد كلفني جمعية التعاون الاخوي وغيرها الخطابة قبل هذه المرة فاعتذرت لاني اخذت العهد على نفسي ان اهجر المنابر وان ارضى من نفسي بالطبيب دون الخطيب ، ثم تكرر الطلب فنظرت اليهم نظري الى مرضاي وتقاضيتهم اجرة الزيارة .

وما انكر الحيرة التي اعترضتني في سبيل اختيار الموضوع فبقيت متردداً حيناً ولم اشعر ابداً بمثل ما شعرت به هذه المرة ، على علم سابق انني سارى وجوهاً تعودتها وانظاراً التفتها لان الذين يشهدون حفلاتنا

## المرأة والشعر

الادبية هم عم لا يتغيرون ، وقد نال صوتي الضعيف رضاءهم من قبل .  
ولكن الدعوة اعادت الي ذكر ايام الصبا ، فصرت كلما حاولت  
الكتابة يتمثل لي ذلك الفتى الاصفر التحيل ، داخلاً بخشية الى هذا  
المعهد ، ضائعاً بين الجمع وهو ينظر الى المنبر نظرة اسرائيل الى الطور  
فتعيق هذه الرؤيا قلبي . هذا الطور ايها السادة انتهت بي الايام الى  
الوقوف عليه ، وهذا الشعب المنتخب اسرائيل الادب ، مستعد لسامع  
كلامي فلا تبديء :

### موضوعي المرأة والشعر

واذا قلت المرأة فليس غرضي الاخذ في بيان حقيقتها واثبات  
حقوقها ، ولا سرد تاريخها العجيب المحزن من يوم انكروا عليها  
النفس الى هذه الساعة ، ولا المقابلة بينها وبين الرجل ، والنظر فيما  
اذا كانت هذه الرؤوس الجميلة الطويلة الشعور اللامعة العيون هي  
رؤوس اولاد ، والدماغ المستقر فيها لا يساوي ثلثي دماغ الرجل  
وزناً . كلا ، بل ربما كانت المرأة ارقى من الرجل عاطفة وشعوراً  
واسمى تصوراً ، واقدر على الاكتساب . فليخفض الرجال من غلوائهم  
ولا ينتظروا ان يروا في عدواً لها هذه الليلة . بل انا محدث عن المرأة



## المرأة والشعر

من حيث هي كائن لطيف وضعت العناية الى جانب الرجل لتقريب  
اليه اسرار الطبيعة ، وتنزل عليه الوحي والالهام . انظر اليها من  
خلال حجب التاريخ بعين الشاعر ، وكشاعر اسجد لديها :  
..... واحرق في هيكلها البخور  
اريد ان اقول واؤيد بالبرهان ان العالم مدين للمرأة بانبع رجاله  
في الادب فان اشهر ما نسمع عنهم من فحول الشعراء الذين اتوا بمعجز  
القول وبلغوا من المقام في قلوب الامم ما لم يبلغه الفاتح العظيم ، هم  
صنعة ذلك البنان اللطيف ، وخليفة تلك العين الدعجاء .  
وهائنذا ابدأ بتعريف الشاعر ، ثم اظهر فضل المرأة عليه ،  
ونسبها الى الشعر واليه .

### ما هو الشعر ؟

لا يحد بكلمة ولا يحد بالف .  
خذ اخفى ما يكنه القلب البشري واسمى ما يحمله الفكر البشري  
وألبسه حلة من اللفظ الرقيق والقول الرشيق يكن لك الشعر .  
جسم ابهى صور الوجود التي تملأ الاعين ، واجمل اصوات الطبيعة  
التي تسحر الاسماع ، وألذ انفاس الكون التي تسكر الالباب ، يتمثل

## المرأة والشعر

لك الشعر . فالشعر حركة امواج ، امواج الخيال وامواج الحقيقة .  
الشعر هو اللغة الوحيدة التي تستولي على الانسان بكل ما فيه من  
الانسانية فتنشأ في قلبه ودماغه وسمعه لتخرج منه احياناً دوي الزوبعة  
واحياناً حفيف الاوراق . ولهذا يفعل الشعر في نفوس سامعيه فعل  
الصاعقة التي تقطع الاشجار ، او النشيد الذي تهز به الام طفلها في  
السرير .

من اجل ذلك لا يمكن الشاعر كثير من الشعر الجيد في المرة  
الواحدة ، لان الشعر يجلب التعب سريعاً اذ يستنفد بقليل من القول  
وقليل من الوقت كل ما في الانسان من قوة وحياة في رأسه  
واعصابه .

هذا هو الشعر ، فن هو الشاعر ؟

قال احد كتبة الانكليز : الشاعر نبي والنبي شاعر ، فكلاهما  
يشعران بالغاهض المجهول . كلاهما يقرآن في هذا السر ، سر الكون  
الحفي الظاهر . النبي يبحث في الخيرو الشر والمباح والمنوع والاختيار  
والواجب . والشاعر يبحث في الجميل والقيبح . الاول يرشدنا الى ما  
يجب ان نعمله ، والثاني الى ما يجب ان نجنبه ، ومن ياترى يستطيع

## المرأة والشعر

الفصل بين ما نحب وما نعمل ، ليس الحب طريق العمل ؟  
وينطبق على هذا التعريف قول ابن المقفع: «اي حكمة اغرب او  
ابلق او احسن من غلام بدوي لم ير ريفاً ولم يشبع من طعام يستوحش  
من الكلام ويفزع من الشر ويأوي الى القفر واليرابيع والظباء .  
فاذا قال الشعر وصف ما لم يره ولم يعهده ولم يعرفه ، ثم يذكر  
محاسن الاخلاق ومساوئها ويقول ما يكتب عنه ويروى له ويبقى  
عليه . »

الشاعر كما قال بعضهم ترجمان الطبيعة ارسل الى العالم ليلم لغة  
العالم ، لان ما نرى ونسمع ونستشق سر غامض ألفناه واكتفينا  
منه بما عرفناه ، غير ان الشاعر يفرضه بنظرة البعيد فينفخ في الجساد  
روحا ، ويعطي الابدع نطقاً ، ويهب الاصم سمعا ، ويلبس كل حال  
لبوسها .

الشاعر ، كما قال الشاعر :

مطلق القدرة ما قيده حكم قانون به يجري العمل  
واذا انشد وصفاً او شدا فالصدي صوت تهليل الليل  
وصفات الناس في قبضته وهو حر كيفما شاء فعل

## المرأة والشعر

كل قول قاله بين الوري خرجت حكمته ضرب مثل  
وله في الكون من اعماله معجزات قصرت عنها الخيل  
ومن هذه المعجزات :

يسبك اللحظ حساماً قاطعاً وقوام الغيد للظعن اسل  
يمصر الراح من الوجنة او يقطف الوردة من خد الحجل  
وينساجي الطير في تغريده فهو معه في حديث وجدل  
يكسب العقل رشاداً وهدى ويراها في جنون من عقل  
وهو في اسر مهابة كلما غزلت مقلتها غنى الغزل  
قال هيكو : الشاعر طير الانسانية ، يغادرها من حين الى حين  
هاثماً في فضاء التصور ، بل قد لا يرجع الطير من سفرته بخلاف  
الشاعر الذي يرجع ليصلح فهو بين المجنحين يعد من الملائكة لا من  
الطيور .

### تاريخ الشعر وفائده

وجد الشعر مع الانسان وسيرافقه الى اخر الزمان . وقد كان له  
في الاعصر الاولى ، كما قال هيكو ، عظمة الالهة فحمل لواءه اورفه  
ليخضع الوحوش ، وامضيون ليقيم اسوار طيبة ، ثم شهدنا او ميروس



## المرأة والشعر

نحط به حياة عصره ، وموسى يسن الشريعة لقومه ، وداود يسرج نبراس الحكمة ، وجوفناح يحمل مفرعة الضمير ، وابا العلاء يفتح باب الزهد . ورأبنا دانتي لاهوتياً، وشكسبير مصوراً ، وفولتر مصلحاً وغوته مهذباً ، وهيكو نائراً .

قال احد كتبة الامير كان : من الناس من لا يرى غير العمل فيحترق الشعر والشعراء ويقبح من يقول ولا يفعل ، جاهلا ان العالم قسمان : قسم خلق ليقول ، وقسم خلق ليعمل . وان الطبيعة ابي الوجود جميلة كما هي صادقة ، فعليها ان تظهر كما عليها ان تفعل .

الشاعر كالبطل كل كلمة له فيها انتصار ، وكل معنى فتح جديد ومهمته كهمة اورفه فان انشاده يدوي في قلب الانسانية ليخضع منها ما كان كالضوازي فيزيل الشراسة والظلم ويميد اليها الرفق واللين . وقد كان للامة العربية نصيب وافر من الشعر وبلغ اكرامه عند العرب اكثر مما بلغ عند سواهم فجعلوه عنوان الفضل وديوان الادب واتخذوه وسيلة لحماية اعراقهم ، والذب عن احسابهم ، وواسطة لتخليد ما رهم . ولم يكونوا يهتنون بعضهم بعضا الا بغلام يولد ، او فرس تنتج او شاعر ينبغ ، فاذا نبغ شاعر اتت القبائل مهتنة ووضعت

## المرأة والشعر

الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالزاهر كما في الاعراس . وقد كان لهم فيه سوق منافسة ومجالس طرب يحضرها ملوكهم ويشتركون فيها . وقد بلغ من تأثيره فيهم ان بيتاً اذكى نار الحرب بين قبيلتين . وان لهم سجدة سموها سجدة الشعر . ومن نكاتهم في هذا الشأن ان قبيلة اسمها اتف الناقة كان اذا ذكر احد عند احد منهم هذا الاسم فضلا عن نسبه اليه ، اثار غضبهم عليه فما هو الا ان قال الخطيئة يمدحهم : قوم عم الاتف والاذناب غيرهم ومن يساوي باتف الناقة الذنبا حتى اقلب القلب فخراً وصاروا اذا سئل احد عم الانساب لم يبدأ الا به .

## كيف ومنى بصير الانسان شاعراً

كل انسان شاعر ان اردت، لان حب الوجود راسخ في كل قلب وصورته ماثلة لكل خيال. فالصياد وراعي الاغنام من الشعراء. ولكن الفرق بينهم وبين الشعراء المعروفين بهذا الاسم ان هؤلاء يعبرون عن شاعريتهم بانتخاب لغتهم . واولئك بانتخاب طريقة معيشتهم . هذا باطلاق القول . واما الشعر الصحيح القائم بتصوير الجمال فلا ينال بمجرد الرغبة والناس فيه طبقات، فالرجل الذي يحسن قراءة الشعر

## المرأة والشعر

شاعر . وكلما زاد شعور المرء رقة واتسعت مقدرته في التعبير عن هذا الشعور لامس اسرار الشعر . وكلما اتسعت دائرة المتأثرين بشعره علا مقامه الشعري حتى اذا ضرب على اوتار كل فؤاد كان الشاعر العظيم ( كارليل )

وهذا لا يقع الا لمن رزق ذهنًا صافيا وخلقاً رقيقاً وقريحة فياضة وباجلجة فالشعر هو صوت الانسانية منحصر في اقواء البعض ممن فاقوا الانسان ( هيكو )

### هل بلغ ساعر حد الكمال ؟

نعم ولا . لا ، لان الشاعر طائر مجاله اللانهائية . فلا يبلغ قمة الا برزله اعلى منها . نعم ، لان النبوغ حد الفكر البشري . وهو واحد مها اختلفت صورته او تفاوتت ازماته . وهذا الحد قد يبلغه الشعراء كما يبلغه الفلاسفة والمحترمون . وهذا هو الفرق بين الشعر والعلم فالشعر لغة القلب والطبيعة الخالدة . فلا يتعذر عليه ان يبلغ الكمال وبخلاف ذلك العلم لانه لغة الاستقراء والتثقيب . وكم هدم في يومه ما بنى في امسه . ظهر سليمان ودنتي وشكسبير والمعري وفرجيل



## المرأة والشعر

وغيرهم . وجاء بقراط وابن سينا وجالينس وغاليله ونيوتن ولافوازيه وسوامم فماذا رأينا ؟ يأتي العالم فييني على انقراض سلفه اوبزيد من عندياته ما يغير الصورة المألوفة ، واما الشاعر فلا . خذوا الثلسكوب مثلاً فقد وجده متيوس صدفة كما وجد نيوتن الجاذبية . وجاء بعده غاليله فكبلر فديكارت فالاب ريته فهو بجنس كل يزيد على عمل سلفه او يحسن حتى مضت ٥٠ سنة فاذا متيوس صار منسياً وبات الحديد قديماً .

خذوا التلفزيون مثلاً آخر فمن تاليس اول فلاسفة اليونان الذي رأى ان الكهرباء بالفرك تجذب الاجسام . الى جلبر الانكليزي الذي وجد الجذب في غير الكهرباء كالزجاج والكبريت والشمع الاحمر . الى ليمونيه الذي قال باجتياز الكهرباء الشريط الموصل . الى وطنس الذي قال بصلاحية الارض والماء لتل الكهرباء . الى كلفن مكتشف الكهرباء في الضفدع الى فولته موصل التيار الكهربائي بين النحاس والتوتياء الى فراداي وامبر اللذين درسا تحريك الابرة المغناطيسية في طرف السلك المكهرب لرسم الاحرف . الى موريس الاميركاني الذي اتم العمل . من تاليس الى موريس مسافة قرون ، مشى فيها



## المرأة والشعر

الفكر والتبوع في طريق اختراع التلغراف ، فلم يعقد اكليل الظفر الا لواحد . ثم جاء ماركوني باختراعه الجديد ، بعد ان سبقه برنلي فترك الاولين وراءه ومن يدري اي اختراع يجيئه لنا المستقبل تشترك فيه العين والاذن فينقل الصوت والصورة معاً ، وتتم نبوة الشاعر الطرادي :

غنت سليمان في الحجاز فاطربت مع بعدها اهل العراق نشيدا  
ولربما رقصت بمصر قابصروا في اصبهان لقدها تأويدا  
فالعلم ارض مجهولة تفتح كنوزها شيئاً فشيئاً للرحالة المتعب فيها  
واما الشعر فكالمحيط موجة تذهب وموجة تجيء . او كالريح يتغير  
صوتها ولا يتغير جوهرها . بل العلم سلم يصعد فيه العالم فوق العالم .  
والشعر حفيف اجنحة في اكناف الفضاء الواسع .

ايها السادة

يتجلي الله للانسان في صورتين ، من خلال العالم وهذا ما يسهلونه والطبيعة ، ومن خلال الفكر وهذا ما يسمونه الشعر . فالشاعر والطبيعة صنوان ، وطال ما خدمت الطبيعة الشاعر فكانت له كتابا مفتوحا يشغل فكره وبصره فلا ينصرف عنه الا ليقراً في كتاب

## المرأة والشعر

آخر هو كالطبيعة سعة وجمالا وغموضا ، وهذا الكتاب هو المرأة .  
ولا حاجة بي لاعداد اوجه الشبه بين الطبيعة والمرأة فهي  
ظاهرة لنعيان ، ومن اجلها كان الشاعر ولم يزل مدفوعا بالعاملين معا  
فقلما تكلم عن الطبيعة ولم تكن المرأة مصدر الهامه ، وقلما تكلم  
عن المرأة ولم تكن الطبيعة موضوع كلامه .

ولسا كان الشعر كالوسيقى ، كان تأثيره عظيما في نفس المرأة ،  
فكم خدعت به حسناء ، وكم غلب الحسن والكبرياء ، وكم ردد بعض  
الناس قول ابي نؤاس :

وما زلت بالاشعار حتى خدعتها ودلتها والشعر من خدم السحر  
وقد آثرت درسه على غيره من الفنون للصلة التي له برقة شعورها  
وحدة تصورها ، فنبغ في الشعر نساء ، يذكر التاريخ منهن عند كل  
امة ، وهانذا الم بالقسم الثاني من موضوعي ، المرأة الشاعرة .

ما كسفاك يا سيدي ما حمل الله به هيسكك اللطيف . ما كسفاك  
انه عطر انفسك بالنسيم الذي يهب على زنايق الحقل ، واستعمار  
لتهنيدات صدرك حرمة امواج البحار ، ووضع في صوتك نغمة الشحرور  
في الغاب ، وكسا لونك بهاء الورد في نيسان ، وجعل عينيك مرآة

## المرأة والشعر

السماء والالانهاية ، ما كفاك ذلك ، فاحببت ان تضيفي الى فصاحة عينيك فصاحة بيانك ، وتزيدي على طلاقة محياك طلاقة بيانك ، وتسكبي الحمرة من خديك ومن لسانك ، وتجعلني السحر بين شفقتك كما هو بين اجفانك .

ما كفاك ان تصوعي للشعراء اكاليل الغار فاردت ان تلبسيها امامهم ففزت بذلك ، وكأني في العصور الاولى بين روما واثينا ارى كارتنا تحلب العقول ولايس تسحر الالباب ومرتيس تلقن بندار الشعر ، و كورين تسابقه في ميدان الاولب ، ودفني توحى او ميروس واسمع بالقرب من شواطئ هذه البلاد صدى انعام ساقو تردهه ضفاف الجزيرة .

ثم تنقلب امامي صفحات التاريخ ، فارى عدد الشاعرات يتكاثر في القرون الوسطى ولا سيما في ايطاليا ، حيث لم تخل مدينة صغيرة من شاعرة كبيرة ، واسمع مختلف الاناشيد من فرنسا وبروسيا وانكلترا وروسيا ، فاعرف منها جورج ساند تدرس الاخلاق ، ومدام ستايل تحرك العواطف ، ومسر برونن ترسل نظرها الدقيق الى نقائص الحياة واحزانها ، واني ناقل لكم مثالا لهذه الشاعرة التي قال

## المرأة والشعر

عنها بعضهم : « قرأت من اشعارها فصرت نصف سكران فعزمت ان لا آخذ من هذا الشعر جرعة اخرى . »

### بطء الاطفال

هل سمعت الاطفال يا صاح تبكي  
كل طفل في حضن من ولده  
العصافير في الرياض تغني  
ومعاء الخراف يحكي الغناء  
وابتسام الازهار كل صباح  
بشذاهها يعطر الارجاء  
انما الطفل وحده يا صحابي  
بات يمكي ويستلذ البكاء

\*

أسألت الطفل الصغير لماذا  
يذرف الشيخ دمه لشباب  
وغصون الاشجار تحزن اذ  
تخلع ايدي الخريف عنها الرداء  
وجراح الابدان تؤلم ما  
قصر طول الزمان عنها الشفاء  
انما الطفل وحده لست تدري  
هو يمكي ودهره ما اساء ؟  
ضيع الصبر بعده والرجاء  
ما له في بكائه يترأى

\*

ان في ادمع الصغار لسراً لقتنه ارواحها الشعراء



## المرأة والشعر

ارضكم ظلمة ونحن صغار ولنا ارجل تحاكي الهواء  
ما مثبنا عليك يا ارض الا خطوات وقد سقطنا عياء  
فسلوا الشيخ واعجبوا لبكاه لا صغاراً في ارضهم غرباء  
هو في القبر يستريح قريباً وسنبتى هنا تقاسي البقاء

\*

وما اقرب معنى الشاعرة الانكليزية هذا من قون الشاعر العربي:  
لما تؤذن الدنيا به من شقاها يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
والا فسا يبكيه منها وانسا لاوسع مما كان فيه وارعد  
اذا ابصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقي من اذاها يهدد

\*

وقد كان للغة العربية حظ وافر من اقوال المرأة ، فابقي لنا  
التاريخ اسم ليلي وحنساء وجنوب وعلية القائلة :  
الحب اول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاعلا  
ويحكى ان ابا بكر الخوارزمي سأل يوماً الدخول على كبير ،  
فقال له لا يؤذن بالدخول الا لمن حفظ ١٠ آلاف ارجوزة .  
فقال ابو بكر : سلوا الامير من شعر الرجال يريد ام من شعر

## المرأة والشعر

النساء؟

وقد بلغ الشعر لهدنا هذا مقاما عظيما عند المرأة، ولا سيما العربية  
فنبغ فيه ممن عدد غير قليل يمنعني ضيق المجال عن ايراد شيء من  
اقوالهن فاكتفي بالتنويه بها، وامر الى القسم الثالث من موضوعي  
وهو:

### تأثير المرأة على الشاعر

ايها السادة

ما يوجد من وراء الغيوم، من وراء الغابات، من وراء الجبال،  
من وراء الثلوج الابدية، من وراء المحيط، من وراء التجوم، من  
وراء العالم؟ ما الذي تطويه اعماق البحار، وتخفيه طبقات الاثير،  
وتسره دقائق المادة؟

عبثاً تركض النفس في فضاء اللانهاية، فانها لا تجد في طريقها  
غير الحب.

والعجيب، ان الواقف امامكم الان، كيفما اجال فكره، يعثر  
قلمه بهذه اللفظة، فقد اراد ان يحدثكم عن الشاعر، فلم يردأ من  
الكلام عن المرأة. ومن ذا يحدث عن المرأة، ولا تنسكب قريحته

## المرأة والشعر

في فؤاده قبل ان تنسكب في مداده •  
ولقد تساءلت مراراً : ما هذه القوة التي يكتسبها الفكر البشري  
فينشر اجنحته في الفضاء ، ويحرق باشمته حجب الحفاء ، ثم يجمع  
من الالفاظ ما يموت ويحيا على كل لسان ، فيؤلفه نظاماً فريداً ،  
ويفرغه قلباً جديداً ، ثم يمثل للسمع فاذا هو سحر ، واذا هو سحر ،  
واذا هو ماء سلسيل ونسيم عليل •

تساءلت ، ما هذه القوة ؟

فاجبتني الالحاظ بنبالها ، وذكرتني مصرع ابطلها •  
فعلت ان الحب وحده شرارة الوجود ، يلهب القرائح كما يلهب

الحدود •••

قد قيل ان الحب يوم اغره عطر يفوح من الحبيب وطيب  
فاصاب منه زهرة حتى اذا ما شمها والشم فيه غريب  
هجمت عليه نحلة كمت له فيها فعاد ووجهه مخضوب  
ومضى الى فانوس يشكو امره والدمع فوق الوجنتين صبيب  
ويقول قد ادمت بجيبي نحلة مارد عني قوسي المرهوب  
فسألت فانوس عند سماعها شكوى اله الحب وهو يسذوب

## المرأة والشعر

لكنها ابتسمت له وتلصقت بالقول وهو لصدرها مجذوب :  
يا ايها الطفل الغريب بطبعه عن صرعى العشاق لست تتوب  
ان كان لذعة نحلة بك اترت فظننت ان الموت منك قريب  
ماذا يحل بمن سهامك لم تزل ترمي قلوبهم بها وتصيب ؟  
هذا ما قالت فانوس لطفها المحبوب .

اما انا فاقول : ليضرب الحب بسهامه القلوب ما شاء اذا كان  
النبوغ بين الحياء والباء .

ياسادة

وجد الماء ليروي الظمأ ، ولكن تمت ظمأ لا يرويه الماء ، وهو  
الظمأ اذ ، المجهول .

من الناس من يلتمس السكر بالخمرة مثل نوح ، ومنهم من يطلب  
السكر بالمرأة مثل سليمان ، والسكر في الحالتين يفتح ابواب المجهول  
اذ يفصل الانسان حيناً عن عالم الهيولى ، ويجعله من الخالدين .

الا ترى ان شارب الخمرة لا يصدق ما يقال عنه من سوء حاله  
في ثموله ؟ فقد يكون ذلك لانه يشعر ساعتئذ بافلاته من اسر المادة  
وكذا الشاعر فانه يشعر وهو تحت سلطة المرأة بتلك الحرية التي



## المرأة والشعر

ترفعه الى الملاء الاعلى ، وتفتح لقرينته ابواب التصور المغلقة والمعاني المحجوبة .

ويقال ان هذا الظم الذي لا يروى ، واصل الينا بالارث من امنا حواء . فقد عرفت مرارة التفاح واكلت منه ، وسليمان من بعدها ذاق مرارة المرأة واخذ تسميته . قال بعضهم :

ان الشاعر يجيد اذا اطلقت قريحته من عقال التقييد ، واضيف الى قوتها قوة المنبهات ، ولهذا السبب ترى الشعراء مغرمين بالنبيذ والجمعة والقهوة والشاي والافيون والعطور والدخان ، وغير ذلك . وتجدهم يستحسنون السمر والموسيقى والصور والتماثيل والرقص والسفر والنار ، وما شا كل .

ولهذا السبب ايضاً تجد غير الشعراء ممن وقفوا قواهم للتعبير عن الجمال كالمصورين والممثلين منهمكين بحياة اللهو والافراط في كل شيء .

قال عبد الملك بن مروان لابن سمية : « هل تقول شعراً ؟ » قال لا اشرب ولا اطرب ولا اغضب ، ولا يقال الشعر الا بواحد من هذه .

## المرأة والشعر

والمرأة قد تغني الشاعر عن كل هذه المنبهات ، فهي قهوته وأفيونه  
وناره ودخانه ، قال اللورد بيرون :

ان للمرأة تأثيراً عجيبيّاً في نفسي على ما انا عليه من سوء الظن  
بهذا الجنس ، فتراني اشعر بلذة غريبة في التقرب منها ، ولو كانت  
خادمتي التي توقد لي النار .

وما من شاعر نبغ ، الا كانت المرأة مهاز عقله ، وزناد تصوره ،  
ومفتاح قريحته .

لفرض ان المرأة محيية من سفر الوجود لا سمح الله ، ولم يبق  
على الارض الا ابطال وجبارة ، فاذا يخلق الفكر البشري ؟ ماذا  
يعمل بدونها المصور امام لوحته ؟ والنقاش امام حجره ؟ وماذا يغني  
الشاعر والموسيقي ؟

ماتت فانوس فهوى آخر حجر من هيكل الحب وآخر بيت من  
الشعر .

ولا ريب ان معنى الشعر ولذة الوحي لم يرفهها اولئك الذين  
جهلوا قدر المرأة فذروا عليها الرماد ، وقصوا شعرها الطويل وطفوا  
عينها بالدموع .

## المرأة والشعر

والتاريخ يثبت لنا علاقة النساء بالشعراء .  
فلقد كان المرء في الاعصر الاولى بعيداً عن جمال الشعر لانه لم  
يكن يعرف غير التوة ، وما اقام للجمال هيبا كل الا بعد . ان اشبع  
الارض من صيب عرقه فسرت في فؤاده حركة غريبة ،  
وهبت على عواطفه نسمة جديدة ، جاوتها اوتار قلبه بنغمات التصابي  
فسمعنا اوفيد يستمد الالهام من جوليا وفرجيل ينشد حب كاليوس  
وليكوريس ، وراينا داليا ترسل شعاع الوحي الى تيبول ورومانينا  
الى متاستاز ، وبرسير وكاتول يكتبان على اقدام ليسي وسنيقي .  
وارانا دانتي السماء في ابتسامة بياتريس . وحبت مراسح فرنسا في  
شاعريها راسين وكورناي مدام منتون والمركيزة رمبوليه . ولولا  
المرأة ما اشتهر بوشكين في روسيا ، ولا جامي في الفرس ، ولا  
غوته عند الالمان ، ولا ازدانت اللغة العربية بافصح ما ينطق به اسان  
وابلغ ما يجري به فكر .

ألم تسمعوا باولئك الذين يكتشفون مصادر المياه بقضيب من  
البندق ؟

ان للمرأة هذه القوة المغنطيسية فهي تعرف مكنم الفساحة

## المرأة والشعر

من القلب البشري ، وتحمل قضيب السحر الذي يفجر زنايبع الدمع  
الحفيسة ، لتنظم منها لآليء النوايع ، وترسم اقوالهم على صفحات  
القلوب وصفحات الادهار .

ولا اقصدهنا الى الاحاطة بكل شاعر خلقته الاحاظ ، بل  
اذكر ما يسمح به المقام ، ناقلا على سبيل الفكاهة مثلا من اشعارهم .  
هذا هييكو امير شعراء الفرنسيين ، لم تنطلق قريحته بمعجز  
القول الا بعد الثلاثين ، عندما جمعته المسارح بمدام درويه . وقد  
قضى هييكو ٥٥ سنة تحت سلطة هذا الحب ولم يفصله عنه الا  
الموت .

وهذا موسى شاعر الهوى ، كل ابياته انين ودموع ، ولياليه  
الاربع مشهورة في كل مكان ، ومنها ما نظمه على آر علاقته بجورج  
ساند التي ملكت فؤاده ثم آرت بعاده .

و كنت اود ان اقابل بينه وبين ابن ربيعة ، والبهاء زهير فانها  
لم يبلغا شأوه في رواية الجمال وجمال الرواية ولكن ضيق الوقت  
يضطرني الى الاكتفاء بنقل مثال من نظمه . وهي ابيات للغناء  
عنوانها :



## المرأة والشعر

### اذكري

اذكريني كلما الفجر بدا فأنحاً للشمس قصر العجب  
واذكريني كلما الليل مضى هائماً ملتحفاً بالشهب  
واذا ما صدرك ارتج على نغم اللذات وقت الطرب  
او دعاك الظل يا مي الى طيب الاحلام عند المغرب  
فاسمعي من داخل الغاب صدى هاتف فيما يناديك اذكري

\*

اذكريني ان غدا صرف القدر فاصلا ما بيننا للابد  
يوم لا تبقي الليالي والعبء من رجاء لفرّادي الكمد  
اذكري حباً به قلبي انمطر ووداعا ذاب منه كبدي  
واذا الحب على القلب انتصر تلب البعد وطول الاهد  
ابداً ما زال قلبي المحتضر نابضاً فهو يناديك اذكري

\*

اذكريني عندما القى المنون ويضم السرب ذا القلب الكبير  
عندما تفتح للفجر الجفون زهرة القفر على قبوري الحقير  
لن تري من بعدها ذاك الحزين غير ان الروح عني ستطير

على المنبر

## المرأة والشعر

ابداً نحوك كالاخت الخنون تحفظ العهد على مر الدهور  
واسمعي من جانب القبر انسين في دجى الليل يناديك اذ كرى

\*

وهذا دانتي شاعر الطليان ، يصف لك فعل الحب في كتابه  
« الحياة الجديدة » ، وبين لك كيف كانت المرأة وحي ايامه الازلي  
وصلة افكاره بين الارض والسماء والحقيقة والخيال والبشر والملائكة.  
والغريب ان هذا الشاعر لم يجتمع بحبيبه بياتريس ولم يتحدثا يوماً  
بل احبها بمجرد النظر اليها ، وبقي هذا الحب حياً بعد موتها ، فوحي  
اليه كتاب الجحيم والفردوس والمطهر .

وهذا بيرون الشاعر الانكليزي ، تشبه اشعاره امواج البحر  
المتلاطمة ، وزوابع الليالي الخالكة ، وتسيل منه كما يسيل الدم من  
الجرح . وهو القائل :

قد خضت امواج البحار وخضتاه واج الغرام فلم اجد غير الشقاء  
فرثيت للنسوتي الا انني الفيت حال الصب اجد بالرتاء  
وهذا حافظ الايراني اخر حلقة السلسلة التي تقاخر بفردوسي  
ونظامي والحيام وجلال الدين وسعدي وجاهي . فقد شرب كاسلافه

## المرأة والشعر

كأس الهوى مترعة .

ولا بأس بان اروي لكم نكتة حفظت لهذا الشاعر ، وهي ان  
بعض غزلياته طرقت مسامع تيمورلنك الفاتح الشهير ، قرأى فيها ان  
الشاعر يجود بسمرقند وبخارى فدى للخال الاسود على خد حبيته ،  
فلما اخضع تيمورلنك فارس استقدم الشاعر ووبخه على هذا الكرم  
الكاذب ، باعطائه حبيته مدناً لا يملك منها شيئاً . الا ان الشاعر  
استنجد ذكاه ، وقبل الارض بين يدي الفاتح وقال : يا سلطان العالم  
لولا هذا الكرم لما نلت شرف الثول بين يديك .

وهذا بوشكين الملقب بيرون الروس ، ما اشتهر الا بقوة الحب  
الذي جاوز الغاية منه فاودى به في مقبل العمر بمبارزته احد القواد  
وكانت منزلته بين قومه رفيعة ، فاضطرت الحكومة الى دفنه ليلا  
حذراً مما لا تحمد عقباه .

وهذا لامارتين شاعر الفير ، روى لنا وقائع صباه في كرزيبلا  
وغيرها . ومن قرأ رفايل رأي صورة هذا الشاعر الحقيقية ماثلة من  
خلال كل سطر .

## المرأة والشعر

وقد تجرأت على ترجمة القصيدة الآتية وفيها حكاية حاله :

### البحيرة

أهكذا ابدأ تمضي امانينا  
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة  
بحيرة الحب حياك الحيا فلکم  
قد كنت ارجو ختام العام يجمعنا  
فجئت اجلس وحدي حيثما اخذت  
هذا ابنك ما غيرت نغمته  
وفوق شاطئك الامواج ما برحت  
وتحت اقدامها يا طالما طرحت  
هل تذكرين مساء فوق مائك اذ  
والارض والبحر والافلاك مصغية  
الا المجاذيف بالامواج ضاربة  
اذا برفة اتسام سحرت بها  
والموج اصغى لمن اهوى وقد تركزت  
« يا دهر قف فحرام ان تطير بنا  
نطوي الحياة وليل الموت يطوينا  
بحر الوجود ولا نلقى مراسينا  
كانت مياهك بالنجوى تحيينا  
واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا  
عني الحبيبة اي الحب تلقينا  
وطالما حملت فيه اغانينا  
تلاطم الصخر حينا والهوى حينا  
من رغبة الماء كف الريح تأمينا  
يجري ونحن سكوت في تصايبنا  
معنا فلا شيء يلبها ويليننا  
يختل ايقاعها العشاق تلحيننا  
فخلت ان المسلا الاعلى يناجيننا  
بهذه الكلمات الموج هفتونا :  
من قبل ان تتلى من امانينا »



## المرأة والشعر

«ويا زمان الصبا دعنا على مهل  
 «اجب دعاء بني البؤسى بارضك ذي  
 «خذ الشقي وخذ معه تعاسه  
 «هيات هيات ليس الدهر يسمع لي  
 «اقول لليل قف والفجر يطرده  
 «فلنغم الحب ما دام الزمان بنا  
 «ما دام في البؤس والنعمى تصرفه  
 نتنذ بالحب في احلى ليالينا  
 وطر بهم فهم في العيش يشقونا  
 وخذنا فناء الحب يكفيننا  
 فالوقت يفلت والساعات تفيننا  
 ممزقاً منه سترأ كان يخفيننا  
 يجري ولا وقفة فيه تعزينا  
 الى الزوال فيبلى وهو يبلينا»

\*

تالله يا ظلمة الماضي ويا عدماً  
 ما زال لجسك للايام مبتلعاً  
 ناشدك الله قولي وارحمي ولهي  
 فيا بحيرة ايام الصبا ابدا  
 تذكر عهد التصابي فاحفظيه لنا  
 على مياهك في صفو وفي كدر  
 وفي صخورك جرداء معلقة عليك  
 وفي ضفافك والاصوات راجمة  
 في ليله الابدي الدهر يرمينا  
 فما الذي انت بالايام تجرنا  
 اترجمين لنا احلام ماضينا ؟  
 تبقيين بالدهر والايام تزرينا  
 فضيك عهد التصابي بات مدفونا  
 فليبق ذا الذكر تحييه فيحينا  
 والشوح مسود الافانينا  
 منها اليها كترجيع الشجينا

## المرأة والشعر

وليمق في القمر الساري مبيضة      انوار سطحك الزاهي بها حينه  
وكلما صافحتك الريح في سحر      او حركت قصبان عطفها ليناً  
او فاح في الروض عطر فليكن لكذا      صوتاً يردد عنما ما جرى فينا  
احبها واجبته وما سلمت      من الردى  
رحم الله المحبين

\*

واللغة العربية غنية بهذا الموضوع • وعادة شعرائنا في الغزل  
برهان على تأثير المرأة في قرائحهم ، لان الصورة التي يرسمها الشاعر  
العربي في غزلياته ، يستحيل ان تكون وهمياً محضاً ، ولا بد ان  
الشاعر اخذها عن صورة حية •

وكل معنى جميل في الغزل لا يجيء عفواً دون ان يكون في  
دماغ صانعه صورة يرسم عنها •

الا ان البعض انفردوا وجرت لهم وقائع عرفوا بها ، وعرفت  
اسماء الجميلات اللاتي اوحين اليهم • والبعض الاخر لم يسبق لدينا من  
جميلاتهم الا رسم شعري يصدق على كل جميلة ، والذي ارى ان كل  
شعراء العرب كانوا عشاقا •

## المرأة والشعر

والغزل المنسجم في الشعر العربي لا تجده في اللغات الاخرى ،  
ولا تجد للمرأة في سائر الالسن وصفاً يبلغ من الرقة واللطافة وبلاغة  
المعنى وحسن التشبيه ، ما بلغ وصف شعراء العرب لها .

فان تجد نداءً لبيت المتبي :

ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقي رصعت بالمباسم  
وبيت ابن معتوق :

وزندين نو لم يمسكا بدماليج لسالامن الاكمام سيل الجداول  
وبيت امرئ القيس :

اغرك مني ان جبك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل  
وبيت ابي فراس :

معلاتي بالوصل والموت دونه اذا مت عطشانا فلانزل القطر  
وقول جرير :

ان العيون التي في جفنها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا  
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا  
وقول ابن ربيعة :

صلي واغنمي اجرا فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الحد

## المرأة والشعر

وقول عنقرة :

وودت تقبيل السيوف<sup>1</sup> لأنها لمعت كبسارق تغرك المتبسم

ومجنون ليلى :

اصلي فما ادري اذا<sup>2</sup> ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

وامثال هذا الشعر الجميل كثير لا يتخلو منه كتاب عربي ، وكله

ناطق بحياة الفكر الشرقي وبلاغته وحدة التصور .

ومن قرأ عينية ابن زريق ، ونونية ابن زيدون ، ودالية النابغة ،

لا يسهه الا الاعجاب والاعتراف ان المرأة وحدها تقدر ان تخلع

جمالها على الشعر .

وقد يمكن الشاعر ان يفني الغزل من غير ان يكون عاشقاً ذاتاً

معينة لان مجرد التصور يقود الى المعاني الجميلة والالفاظ الجزلة ،

فالمرأة تفعل بالفكر حاضرة وغائبة .

وعلى هذا الوجه اندفع سيل القرائح العربية من الجاهلية الى

المولدين . وكثير من شعراء الاندلس في الماضي ، وشعراء العراق

وهصر والشام لعصرنا الحاضر ، لم ينبغوا الا بتأثير هذا العامل .

وانا لا نعلم من هي الحساء التي توحى الى هذا وذاك ، ولكن



## المرأة والشعر

العالم الادبي مدين لها ، وهو يمجدها وان جهل اسمها .  
واني اذكر في هذا العرض نكتة عن اليازجي كبير شعرائنا  
رواها لي ابي وكان كثير التردد عليه . قال : كان الشيخ اذا عصته  
القريحة ينادي : يا ام حبيب ، فتأتي زوجته فينتم لها ويعود الى نظمه  
الشائق وقد فتح عليه .

ولا يسعني بعد ان وصلنا الى عصرنا الحاضر ، واشرت الى  
النهضة الاخيرة في مصر والشام والعراق التي كان بين زعمائها الاسير  
والاحدب والانسي واسعد طراد والعمرى والموصلي والايباري  
 وغيرهم ممن اتصلت بينهم وبين الشيخ ناصيف اليازجي اسباب المراسلة ،  
الا ان اذكر طريقة جديدة في الغزل اخذ اليها شاعر سوريا المشهور  
خليل الحوري فتمد جمع فيها بين رقة زهير وخفة موسى وكانت الصفة  
الفالبة في شعره تنزهه عن التقليد والتعقيد وحصوله على السهولة  
والامتناع وقد احببت ان اقدم لكم مثلا من هذا الشعر الجديد فاخذت  
قصيدة الياسمين وهي طويلة اجتزى ببعضها .  
وحكاية الحال ان الشاعر رأى القمر في نجواه يرسل اليه نوره  
الضئيل فارسل له شكواه :

## المرأة والشعر

مالي رأيتك في السماك الاعزل تبغي النزول لافق هذا المنزل  
هل هاجمتك من المحبة آفة محقت وجودك كالتخليل المبتي  
أحسداً من الحبيبة ذبت يا قرام سقما بهواها ام حيلة لحت في  
شكل السوار لتجعلك من بعض حلاها .

لا لست غير قلامه من ظفرها طرحك من اطراف تلك الانمل  
فاسبح باكتاف الفضاء مضيعاً لست المعد لمثلها فترحل  
أملت من زهر السما فرغبت في زهر بجينات البهاء يفوح لي  
أم هل حسدت الياسمين بفرقها فاردت تنزل في المكان الاول  
لا ، لا تنزل يا سدير العاشقين ، فيصيبك منها ما اصاب الياسمين ،  
قطعه المحب ظلماً عن اعصانه وكتب اسرار الهوى بين اجفانه ثم  
جعله الى الحبيب رسول شوقه واحزانه، حتى اذا دقت ساعة الوصول  
فاستأذن بالدخول :

نادته من الباب ؟ قال لها اتي عبد لعبسك لائماً للارجل  
قالت ومن عبدي ومن ذا عبده هذا حديث مشكل في مشكل  
فاجابها رجل وقعت باسره لم ادر من لكن بليت بما بلي  
دنت نجيل مثل اوراقي على خطر الذبول من الالهيب الشعل

## المرأة والشعر

ذا وصفه اما اسمه فموجب عني فيها نحو غيري واسألني  
او فانظري ما خط فوق محائني تدري الخفي جهلت ام لم تجلمي  
فتلفت تلفت المشتاق ، واذا بها تقرأ بين تلك الاوراق سطرأ لم  
يخط بقلم ولم يكتب بدمع او بدم :

رفقاً باول عاشق لزم الهوى ان المحبة للخليل الاول  
حيثذ تذكرت ما مضى من عهود وما كان من وعود :

فتبسمت انساً وقالت بعد ما حنت : نعم عبد قديم كان لي  
ما حاله بعد هجري وبعادي ، وهل لم يزل مقباً على عهد ودادي ؟  
بلي ، وها انفاسك الساحرة تحمل تحيته الى قوادى ، فاهلاً برسول  
الحبيب ، كنت له رسولا ، فكن لرأس الحبيبة اكليلاً .

فعلا على عرش الجمال بمجده وغدا يقول لها انا الملك العلي  
وغدا يناجيهما باسرار الهوى وغدت تلاعبه بتلك الانمل  
حتى اذا طلع النهار علقته عروقه باطراف الالهيب فنزوى ، فترعته  
عن رأسها غضبى ورمت به الارض فهوى ، وقالت له ما عدت يا ياسمين  
تفجع الحسن ولا ينفعك الهوا .

فانساب منطرحاً على وجه الثرى مثل القليل وانما لم يقتل

## المرأة والشعر

فيا قر الساء:

هذا فعال حبيبي مع من سري في طوعها فترك غرورك وارحل  
ويا اخوان الهوى:

هاتوا المطارق ان قلب حبيبي اضحى حديداً فاضربوا ليلين لي  
او اضربوا نار المحبة حوله بالنار ينسكب الحديد وينجلي .

\*

ولم ينحصر تأثير المرأة في العقلاء بل جاوزهم الى المجانين فاجرى  
على لسانهم الحكمة والسحر واقام صلة بين الجنون والشعر، والشواهد  
كثيرة اکتفي منها بما رواه ابن يزيد النحوي .

قال مرزنا يوما بمجنون عرفناه من قبل فسألناه ما تجسد فقال :

الله يعلم اني كمد لا استطيع ابث ما اجد

نفسان لي نفس تضمنها بلد واخرى حازها بلد

واظن غائبي كحاضرني فكانها تجد الذي اجد

فقلنا له احسنت . قال المثلثي يقال احسنت واوماً الينا بشيء يريد

ان يضر بنا به .

فيا ايها الشعراء ، عظيمة سلطتكم على القلوب ، ولا سيما اذ



## المرأة والشعر

خضعتم لذلك الكائن الضعيف ، فاعرفوا كيف تمزجون الطاعة بالامر ، والذل بالاذنة ، واعلموا ان قوتكم لا تتم الا اذا سرى اليها هذا الضعف ولكن حرام على القائلين الشعر ان يجعلوه لغة الرياء والتمليق والمدح الكاذب .

انت حر ان تأكل ما تشاء وتلبس ما تشاء وتسكن حيث تشاء ، ولكنك ايها الشاعر لست حراً بعد ان عرفت مقامك في الاجتماع ان تقول ولا يرمي قولك الى غاية تفيد .

لك ان تضحى مالك ودمك الذي هو اعلى من المال وحبك الذي هو اعلى من الدم ، ولكن ليس لك ان تضحى الحقيقة والصدق ، وتجعل شعرك جعبة الغس والمداهنة . خلقت لتهدب النفوس وتسير الاذهان ، وتفتح ابواب الحقائق الابدية، فمار عليك ان تحول الشعر الى مهنة لا تجلب غير الهوان .

انظر الى الطبيعة بعين والى الانسانية بعين ، وتعلم ان تتقن تصوير الاولى وتهذيب الثانية فتقوم بالواجب نحو الجمال لانك مثال الجمال .



## من المهرب الى اللمح

ايها السادة

اسبحوا لي قبل كل شيء ان ارفع صوتي الضعيف من فوق هذا المنبر بالثناء على جمعية الاتحاد والاحسان السورية العثمانية ، لا لانها دعوتني الى الخطابة في هذه الحفلة ، فقد كنت افضل البقاء في زاوية عملي صامتاً بعد ان هجرت المنابر ، ولكن اعجاباً مني بالمبدأ الذي تأسست لاجله والعمل الكبير الذي اخذت على نفسها القيام به .

اقول العمل الكبير ولا اقصد به مجرد الاحسان المادي المعروف فقد صار عمل الخير على هذه الطريقة شائماً في كل بقعة من الارض تطأها قدم الانسان المتمدين ، ولا تكاد تجد رجلاً يأبى ان يمد الى الفقير يد العطاء بكسرة من الخبز يسد بها جوعه او قطعة من الكساء يستر بها عريه .

## من المهدي الى اللحد

انما قصدت مبدأ الاتحاد السامي الذي نحن في اشد الحاجة اليه  
فنادي به على المنابر ونكتب عنه في الجرائد ونجعله حديثنا في كل  
مجتمع ولا نزال فيه على حد قول الشاعر :

وما قبلت نفسي من الحير لفظه    ويا طالبا فاهت به الخطباء  
هذا المبدأ الشريف نهضت اليه هذه الجمعية نهضة المؤمن واعتنقته  
اعتناق الدين ، فكان منها انها قدرت مع ضعفها على عمل قصر عنه  
غيرها ممن هم اوفر ثروة وعدداً واوسع جاهاً ونفوذاً .

انظروا الى القاهرة والاسكندرية وانظروا الى الديار السورية  
جمعاء وقولوا لي هل رأيتم مثل هذا مجتمعاً تخلع لدى عتبة بابيه المذاهب  
ويلبسه الناس عراة من تقاليدهم ليكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً ؟  
انكم لو فقتهم مصر وسوريا بلداً بلداً لما رأيتم عملاً يقام للخير ولا  
تكون عليه سمة الانتساب الطائفي بل تعود الناس ان يختلفوا في هياكل  
الرحمة كما يختلفون في هياكل العبادة ، فاذا جاءهم غريب قالوا اذهب  
الى الطائفة التي انت منها انما نحن لاخواتنا محسنون . يا سبحان الله  
او يرضى الله عما يفعلون ؟ ام نحن في زمن تعدد الالهة الاقدمين ؟  
قاله لليهود وانه للمسلمين والهة للنصارى فيها يختلفون .



## من الهدى الى اللحد

فطنظاً هي البلد الوحيد الذي اظهر للناس امكان الاتحاد وقيمة الاتحاد وهو فخر يا قوم اذا سجل لكم في تاريخ الارتقاء فقد سجل العار على اخوانكم في البلدان الكبيرة ، تأخروا وكنتم السابقين . واني وثق كنت اذهب الى ابعده مما ترون فلا احب الانتماء الى طائفة من الطوائف ، وفضل ان لا تنسب جمعية خيرية الى مذهب او الى امة بل ان تكون كلها اخائية لا نسبة لها الا الانسانية ، واذا لم يكن بد من الانتساب فالبلد الموجودة فيه فرنسوية في فرنسا وانكليزية في انكلترا ومصرية في مصر .

اقول وان كنت اذهب الى ذلك فاني لا اجهد ان الاتحاد لهذه الدرجة لا يزال واأسفاه حلماً من الاحلام والانسانية لا تزال متفرقة في الانسان فاضطر الى الرضى بالموجود قائماً بالخطوة الكبيرة التي كنتم البادئين بها وانقدم باسماً الى ساحتكم الواسعة قائلاً السلام عليكم .

السلام عليكم وعلى كل من شارككم في العمل . السلام على البلد الذي انتم فيه ، السلام على مديركم الفاضل الذي عرفته من قبل بالسمع حازماً محباً ورأيته اليوم فوق ذلك خطيباً فصيحاً والذي ارجو ان

## من المهدي الى اللحد

تتقدم طنطا في ايامه قدما باهرا يساعد على انتشار هذه النهضة لانه مبعث انوارها .

واذا كان هذا هو مبلغ اعجابي بالجمعية التي تحتفل اليوم لعيدها السنوي فهل تظنونني جاعلا خطابي كله شكراً لها او لكم؟ لا وحياتكم بل انا اعتقد ان الانسان لا يشكر اذا ادى الواجب عليه، واذا كانت هذه الحقيقة مجهولة او منسية فلأن الفضائل على تقدمها في هذا العصر الراقي لا تزال نادرة فينسا حتى صارت معرفة الواجب تعد فضيلة، فالواقف امامكم الان يكره التلميد وحسبه في هذا العرض ان يظهر ما يخالج قلبه من السرور وما يسطع في ضميره من الامل ان تكون هذه الجمعية مدرسة للشرق يتعلم منها قيمة الاتحاد فيتشبه بها وان يتسع نطاقها مع از من فتضاعف عملها وتكمل الناقص فيه .

### اخواني

امام هذا الامل الكبير الذي اعتقده عليكم والسرور العظيم الذي اشعر به عندما اراكم، عندما ارى جباهكم المشرقة بنور اليقين وعميونكم المتقدة بنار الحماسة وشفاهكم المحتلجة بابتسامة المحبة، لا اكنتم عاطفة حزن وجزع تمر بني كما تمر الغيمسة في السماء فتحجب

## من الهدى الى اللحد

حيناً عن ذهني هذا الافق الجميل . ذلك ان هذا العمل قد لا يدوم  
شأن كل الساعي الجميلة في الشرق لا لانكم ستختلفون بعد الاتحاد،  
فان من ذاق حلاوة هذه الكأس يشواق اليها ابدأ ولكن ثلثة الوسائل  
بين ايديكم، وكثرة النفقات من حولكم، ثم اغالط نفسي وابدد هذه  
الغيمة السوداء بما اري حولي من بيض الايدي فاقول لا . ان يموت  
هذا الطفل الجميل بل هو من اولاد الحياة، لن تيسر التبتة التي سقطها  
يد الكريم ومقلة اليتيم بل ستنمو وتكبر حتى تصير شجرة باسقة  
راسخة الاصول ممتدة الاغصان .

### زيتونة شرقية عربية قساعة ابداء ندر زيتونا

ولا سيما عندما اجيل طرفي فاجد من خلق مثل هذا العمل قريباً  
منكم مشرفاً عليكم كما يشرف الاب على بنيه لان المحسن الذي بسط  
يده بالامس لا يقبضها في الغد وعندني ان الفرد قد يعمل فيفيد اكثر  
من جمهور والاحسان الى هذه الجمعية احسان الى امة بل الى امم .  
احسان الى ابناء اليوم وابناء الغد . احسان الى الحاضر واني المستقبل  
والذي وقف للخير ماله الكثير قادر ان يجعل لها نصيباً من بره، بضمن  
لها البقاء الطويل ان شاء الله .



## من المهد الى اللحد

اظنكم عرقم من عنيت ولا حاجة بي الى تعريفه ، واذا غابت  
طلعته اليوم عن هذا النادي فان اعماله ظاهرة فيه ناطقة بفضل  
نجيب نوفل .

وبعد . موضوعي من المهد الى اللحد . وهو موضوع واسع كما  
ترون يتناول حياة الانسان منذ يولد الى ساعة يموت فلا تكفيه دقائق  
معدودة وعلم محدود ، ولهذا لا ادعي خوض غماره هذا المساء وان  
هي الا تأملات وآمان عرضت لي عند ما لبثت دعوة الجمعية فاحييت  
عرضها عليكم موجزاً ما يمكن الايجاز ماراً فوق الحياة كما يمر الطائر  
فوق البلد الساهول واقفاً حيناً بعد حين ، مسرعاً حيث لا يحسن  
الوقوف .

يولد الانسان وهو لا يدري ولا ابواه يدريان ولا احد في الناس  
يدري ما يكون مستقره في الارض وما يكون حظّه من الهواء والنور .  
تصور جنيناً في بطن امه وقبل الحياة على الرغم منه كما قبل لامرتين  
الحب فسينمو ويشتد ويدخل معترك الحياة وميدان التنازع على نسبة  
ما عنده من الاستعداد للنمو والعمل .  
هذا الاستعداد هو رأس مال الحياة الذي يحمله الوليد عند



## من المهد الى اللحد

دخوله الى العالم فيكون اساساً لاعماله ومصدراً لحركاته وعلى نسبته  
تشد قواه او تضعف ، وتسد مسخه او تشقى ، وتطير حياته او  
تقصر ، وهو يختلف في الناس اختلافهم في مظاهر الوجود فمنهم من  
يرث ارثاً شهيماً ومنهم من يولد فقيراً معدماً فلا يكاد يفتح عينيه للنور  
حتى يتلقفه الموت لا لمرض فيه بل لانه لا قوة له على الحياة او بعبارة  
اخرى ليس له رأس مال يخوله البقاء حيناً على الارض فيذهب شهيد  
الفقر الصحي وضحية الاملاق الحيوي .

وبين هاتين الطبقتين الثروة والفقر درجات متعددة يتمتع فيها  
الانسان من الحياة على قدر ما ملكت بنيته من هذا الراسمال فن عمر  
يوم الى عمر شهر الى عمر سنة الى عدة سنين حتى تصل الى القمة  
حيث يقيم الاغنياء اغنياء الصحة اصحاب الراسمال الحيوي الكبير  
الذين يعيشون طويلاً متسربلين بالعافية ولما تضعفهم الآلام او تقتلهم  
العلل بل تقف حياتهم عند انتهاء سيرها الطبيعي كما تقف الرصاصة  
التي تطلقها في الفضاء منتهية الى الارض عند نفاذ سرعتها الاولى بعد  
ان تكون رسمت قوسها العلوم وقطعت مسافتها المحدودة .  
لكن قليل هم الذين يصلون الى هذه القمة قليل هم الذين يعمرن

## من المهد الى اللحد

نحو المئة او يموتون ميتة طبيعية لان تنازع البقاء قضى على الانسان ان يكون هدفا للاخطار والامراض واذي الكائنات المحيطة به من الانسان نفسه الى الحيوانات المعجم الى النباتات الى الطواهر الجوية وكلها تؤثر في راسماله وتجتهد في تبيده واضاعته فاذا لم يكن سهران عليه حريصاً ، ساعياً في حفظه مجدداً ، مقبلاً على توفيره والتعويض عما انفق منه فقلما يسلم من الافلاس ، وعاقبة الافلاس الموت الباكر او الحسران ونتيجة الحسران الشيخوخة العاجلة والمهرم قبل الاوان .  
والمحافظة على الراسمال ليست سهلة كما يتوهم البعض وما هي عمل يوم او سنة بل عمل ازمان متعاقبة يتناقله الخلف عن السلف ومرجعها العناية بالعاملين الكبارين اللذين يتنازعان الانسان في هذا الوجود وهما الورثة والتربية . اما الورثة فانها مصدر هذا الراسمال والاصل في تكونه واما التربية فلانها وحدها القادرة على تغيير الانسان في نموه تفسيراً يطابق الورثة او يناقضها ويقوي الاستعداد او يضعفه . وهنا مجال واسع للقول لا حيلة للجولان فيه فقد وعدتكم الإيجاز والتربية موضوع مطول ولا سيما اذا طرقت نقائصها الكثيرة ودخلت مذاهبها العوجية وطرقها الفاسدة وظهرت لكم ضلال القائمين بها من جانب

## من المهد الى اللحد

وتقصيرهم من جانب آخر فامر على هذا الفصل من كتاب الاجتماع مضطراً وان كان بعد ان اقول كلمة محملة فيه وهي ان هذه التربية وعلى الخصوص ما تعلق منها بالصحة مباشرة لا تختص بجيل من الناس او عمر من الاعمار بل تتناول الجميع من رجال ونساء فيكون القيم عليها في الصغر الاباء والامهات وفي الكبر البنين والبنات وبين هذين الاقبيين فالانسان يريه المعلم في المدرسة ثم يربي نفسه في مدرسة العالم .

قلت القيم عليها في الصغر الاباء لانهم مسؤولون عن حياة هذا الحيوان الصغير الجاهل كل شيء وتربيته بسيطة لو تدبروها تنحصر في امور ثلاثة : اكل وشرب ونوم ، نوم وشرب واكل وكل امراض الطفولة ناجمة عن الاخلال باحد هذه الشروط او بها كلها سواء كان بالكمية او بالكيفية .

والقيم عليهم في الكبر الابناء لان الواجب يقضي عليهم ان يعاملوا آباءهم بمثل ما عاملوهم في حداثتهم فيوفروا لهم وسائل الراحة والتعزية اللائمة ويحفظوا ما امكن بهذه الذخيرة التي تكون كمصباح وضع امامهم في ظلمات المستقبل يهديهم بنوره وان كان ضئيلاً .



## من المهدي الى اللحد

اما المعلم في المدرسة فحسبي ان اقول انه كالطبيب فكما ان هذا يعالج المريض لا المرض فالعلم يربي كلاً حسب استعداده او قيمة رأس ماله في الصحة كما في العقل ، وبذلك يقرب الناس من المستوى الطبيعي ويوفر للمتأخرين وسائل الارتقاء والحقاق بغيرهم لان عدم المساواة في التربية هي الواسطة الوحيدة للمساواة . ولا يتوهم احد انني اقصد المساواة المطلقة فهي مستحيلة الوجود بين الناس مهما تغنى بها شعراؤهم وركض وراءها فقراؤهم وحارب من اجلها زعمائهم .

ان الفكرة الاولى التي شيد على اساسها مبدأ المساواة الجميل هي فلسفية وسياسية معاً . اما السياسية فلان الظلم كان بالغاً نهايته في الحكومات ، والثروة منحصرة في فئة من الناس لا تخرج من ايديهم والمحاباة واضعة انقلاها على الاعناق ، والرياء والمداهنة من حول العرش يمجدان التاج ويعززان الصولجان فهبت ريح الثورة وكان اول صوت صارخ في ابواقها الرجال سواء في الحقوق والواجبات هكذا تولد وهكذا تعيش . اما الفلسفية فن مولدات جان جاك روسو وكوندلياك واشياهما لا اعتقادهم ان الانسان يخلق صالحا والاجتماع يفسده ، وان مساواة الحقوق نديجة مساواة طبيعية حاصلة بالقوة .



## من المهد الى اللحد

ولكن هذه المساواة الطبيعية غير صحيحة كما دلنا عليه اختلاف رأس المال الحيوي وتباين الناس في استعدادهم الفطري ، فترى هذا قوي البنية وذاك ضعيفها ، هذا شديد المراس يستطيع احتمال المشاق ومقاومة الامراض ، وذاك سريع التعب يدب اليه الضعف لادنى سبب .

الواحد يأكل ويحرق في اعماق جسمه ما يأكل . والثاني يتمتع بالقابلية نفسها للاكل الا انه بطيء التغذية الخلوية والتمثيل ، فلا يسلم من داء التقرس او الحصى او السمن المفرط وما شا كل . فضلا عما يحمله الجنين من دمعة الوراثة وهو في بطن امه : فابن السكرير يرث جسما مستعداً للصرع والجنون اكثر من غيره ، وابن السلول يرث جسما حساساً قابلاً لهذا الداء الويل اكثر من سواه، بل المساواة لو تأملتم مفقودة في الانسان الواحد ، فهو قيمان متقابلان بينها اشترك في بعض الاعضاء كالقناة الهضمية والقلب واللسان ، ولكل من القسمين دماغ وكلية وعين واذن ويد ورجل تختلف في اليمين عما هي في اليسار في الحجم والقوة والشعور وهذا ما يسمونه بالانسان الايمن والانسان الاعسر .

## من الهدى الى اللحد

فالمساواة الطبيعية كما ترون وعم بنيت التربية في المدارس على اساسه فجاء بناؤها فاسداً قلقاً ، لان اعتبار التلامذة في درجة واحدة من المقدرة على الدرس والعمل والرياضة والادراك وفيهم المريض والكسلان وضعيف الهضم وثقيل السمع وغير ذلك ظلم عاقبته انتقصير والذل والمرض .

قال باكون الفيلسوف : لا يحكم الانسان على الطبيعة الا بالخضوع لها يعني ان نراعي حالة من تربيته ونجاريه في استعداده ونسايره في ميله لتبلغ ماربنا من تثقيفه وتقويمه .

يخرج الانسان من المدرسة نامي العقل والبدن وقد توفرت لديه ذرائع الجهاد ، فلم يبق له الا ان يستعمل ما عنده من راس المال ويستثمره ليرجع عليه بالفائدة الكبرى ، ويربح منه غاية ما يمكن ان يربح ولا يتم له هذا الا اذا حافظ على الشرط الوحيد في هذا الدور من العمر وهو الاعتدال . الاعتدال في كل شيء : في الاكل والشرب والنوم . في العمل والتعب ، حتى الراحة نفسها لا يجوز الافراط فيها . وهنا يظهر فضل التربية الاخلاقية التي تجعل الانسان حاكماً على مزاجه لا عبداً له فلا يستسلم كل الاستسلام للاحداث النفسانية :

## من المهدي الى اللحد

كالفرح والحزن والغضب والعشق ، بل يجتهد ان يكون قليل  
الاحساس والشعور ما وجد الى ذلك سبيلا .  
معاذ الله ان اقصد بكلامي نحو الاحساس من صفحة الوجود  
وتجريد الانسان من كل عاطفة ، ومن فهم ذلك فقد ظلمني وجهل  
حقيقة امري .

فلا احساس قاعدة العمل في حياتنا الادبية ومن الجنون ان نطمع  
بهدم هذه القاعدة ، ولكن الانسان قد بالغ في الخضوع لسلطان التأثير  
وليج في تمجيد الالم والحزن والهوى ، وطاب له موقف روميو على  
قبر جوليت ، وتكرر تمثيل هذا الفصل المحزن في القصص والروايات  
والحوادث اليومية مع ان الخضوع لمؤثر ما الى درجة الرق ضعف بل  
مرض ينافع الانسان في مزلق لا خلاص منه ولا نهاية له ، فالتريبة  
الاخلاقية لا تقبل العواطف ، ولكنها تضع حداً لتيارها ، حتى اذا  
طما لا تعرق فيه بل تدربه في الواجهة التي يمكن اخصابها والانتفاع  
بها ، كالنيل نقيده في المجاري ليتجه الى البقعة التي يطلب ربيها .  
اذا وصل الانسان الى هذا الحد ، اذا امكنه ان يدرج من عشه  
ويقطع المرحلة الاولى بدون ان تتأبه امراضها المضعفة ، ثم نما بدنه



## من المهد الى اللحد

وعقله نمواً صحيحاً ، وتلقى تربية صحيحة تكون اساساً لحياته الاجتماعية حتى اذا دخل في دور الجهاد الحق ، استطاع ان يستثمر ما خزنه في ايام نموه ويشيد على ماضيه بناء متيناً ، اذا وصل الى هذا الحد فبشره بعمر طويل هنيء ، لا يحس فيه بفقر الى الراحة او القوة بل يتمشى مشية طبيعية نحو الشيخوخة التي اقلقت الانسان من عهد بوذا وارانا منها اليوم متشنيكوف افقاً جديداً باسماء .

هذه هي كلمتي المجلدة عن التربية وتأثيرها في الراسمال الحيوي ، ولي مثلها عن الوراثة وهنا ايضاً لا اطيل ووقتي لاني لا اقصد ان اشرح لكم اعراض الوراثة واقسامها وآراء العلماء فيها وفي التعليل عنها ، ما ملئت به مجلدات العلم والطب ، انما اتناول ما يهمننا مباشرة للحديث الذي نحن في صده من تحسين الراسمال وتقوية الاستعداد بترقية النسل ، فاذا صح ان الوراثة هي التي تقدم الارض المزروعة ، وكانت الغاية من التربية زرع البذار الفاسد وتعهد الصالح بالسقي ، فعلينا ان نمهد السبيل للتربية ونسهل عملها بالعناية بالزروع ما امكن ، وذلك لا يتم الا بانتخاب العاملين الذين يؤثران فيه ، اي في الزرع وهما الاب والام ، او بعبارة ثانية باختيار الزوج وتحسين الزواج .



## من المهد الى اللحد

رب قائل يقول ، ما لخطيب وهذا المأزق الحشن وما بال هذا العازب يريد ان يباحثنا في الزواج ، فاذا كانت غايته ان يسوقنا الى مواقفه المحزنة ، فلا يرينا في هذا الروض سوى ازهار ذابلة واغصان يابسة فنحن في غنى عن ذلك ، واذا كان يحسب الزواج من حسنات العمر ، وفرص الدهر التي يجب انتهازها فليقدم عليه وكفى .

لا هذا ولا ذاك ايها القوم الكرام انا انظر الى الزواج بعين الطيب لا بعين الشاعر ولا بعين الفيلسوف ، واذا حق للخطيب ان يتقف موقف المصلح ففي مثل هذا الجمع الذي برهن بما اتى انه اهل لقطع سلاسل التقليد والخروج عن المؤلف .

فكلهتي عن الزواج كلمة انتقاد لا اقصد بها ذاتاً معينة يدفعني اليها ما اراه كل يوم من ضحايا الزواج واستمعه حولي من تلك الشكوى الازلية التي رن صداها في انعهد القديم بلسان حزقيال النبي : «الاباء يا كلون الحصرم والاولاد يضرسون .»

كان التنافس في سبيل المرأة بالغاً غايته في العصور المتوسطة الا انه كان بالقوة البدنية والمبارزة ، فالقائز في ميدان الكفاح هو القائز باكليل النصر من يد الحبيبة .

## من المهد الى اللحد

اما اليوم فقد صارت المناقسة بالاشياء المادية كحسب الصورة واللباس ، او المعنوية كالموسيقى والغناء ، او العقلية كالذكاء والعلم ، غير ان هذه الصفات قد تكون ظواهر غرارة تخفي تحتها عيوباً ضخمة يجلبها طالب الزواج او يتجاهلها ، فننتقل بحكم الوراثة الصارمة الى البنين ، فاذا اردنا ان نجعل رأسمال الحياة كبيراً كافياً ليقطع حامله مراحل العمر براحة وهناء ، حق علينا ان ننسبه الى الزرع ، فلانلقي في ارض الحياة حَباً فاسداً ولا حَباً فاسداً .

والصفات المعنوية تنتقل بالارث كالمادية ، فاذا غلب التبيح فيها ظهرت آثاره في النسل سواء كان في العقل او في الاخلاق والامزجة فالواجب الاول على الراغب في الزواج ان يتدبر هذه الاحوال كافة . انا لا ابالغ كبرناردشو في فلسفته فاحصر الزواج في دائرة ضيقة لا يتخطاها ، فلا نزوج الا العاملة بالعالم ، والقوي بالقوية ، والغني بالغنية ، والجميل بالجميلة ، ونصدر حكمتنا القاسية على الباقيين ، وعم السواد الاعظم ممن لم يسمعهم الحظ ان يكونوا اذ كساء اقوياء او يكونوا من اهل الجمال او المال ، فان هذه الفلسفة صورة استبداد محض ، فضلا عن انها حلم لا يتحقق لكن لا اريد ان يكون دخولنا

## من المهد الى اللحد

من هذا الباب وسيلة للسنة الذاتية ودرية لتضاء اهواء الناس دون النظر في عواقبه الممكنة واجتناب ما يجب اجتنابه من احوالها .  
اجمع العلماء اليوم على ان الانسانية سائرة الى التقهقر في التركيب والنمو وان كانت على تتدم باهر في العلم والاختراع .  
فاجسامنا اضيق واقصر من اجسام اجدادنا ومعدل الحياة اليوم ينزل عما كان عليه في الماضي ، وربما كان ذلك على زعم بعضهم ناتجاً عن التمدن نفسه فان الانسانية قويت على كشف اسرار الوجود واستخدام قسم من قوى الخليقة . ولكن ذلك كلفها كثيراً فكانت كالجندي الذي يخرج من الحرب ظافراً فانه يخرج ايضاً ضعيف القوى .

ومما يزيد في هذا التقهقر ويساعد عليه ان الطب على تقدمه لم يتوصل الى شفاء الامراض بل توصل بالمعالجة الى تخفيف آلامها والمد في اجلها . فكانت النتيجة ان السلول والمزهور ومختل الشعور يعيشون اليوم اكثر مما كان يعيش امثالهم في الماضي ولا يمنعهم المرض من الزواج والناسل فتنتقل آفاتهم الى اولادهم ويزداد بالتدريج عدد الضعفاء والمرضى بدلا من ان ينقص فترون من هذا كم يقتضي



## من الهدى الى اللحد

من الوقت والعناية والتجرد عن المصلحة الذاتية ليوفق الفرد والاسرة الى سلالة صحيحة راقية .

كان اهل سبارطة ياخذون الطفل الوليد ويفحصونه فحصاً دقيقاً فاذا وجدوا فيه ضعفاً او عاهة قتلوه ولا يسمحون بالبقاء والنمو والتناسل الا لتقوي الجسم الصحيح البنية وهذا هو سبب بقاء الجمال والقوة زمناً طويلاً في هذا الجيل كما يرويه لنا التاريخ .

وكثير من قبائل المنود ذوي الجلود الحمراء من اميركا الشمالية يرجع الفضل في قوة بانسهم وشدة مراسهم الى استعمال هذه العادة فنحن لا نطلب ان تقلد اهل سبارطة ومتوحشي اميركا انما نطلب ان يكون لنا وجدان حي وضمير صادق فلا تنهور في الزواج قبل التدبر لتنتج ما امكن والتحرز من اضراره جهد المستطاع، نطلب ان يكون طالب الزواج رقيقاً على نفسه فلا يقدم عليه وهو مريض فيحقق تلك الجنابة التي استصرخ ضدها فيلسوف الشعراء الاجيال الانية .

نطلب من الشاب ان لا يصرف اجمل ايام العمر الايام التي يمكنه ان يقوم فيها باسمى الاعمال ، ايام النشاط والتوليد والاختراع ، يقضيها في الشرب والسهر وما وراءهما من اسرار الليل حتى اذا طوى صفحته



## من نلهد الى اللحد

الجميلة واستنفذ رأسماله او كاد، جاء الى الزواج يطلب الراحة في ظلاله  
والسكون من ورائه فيظلم فتاته ويظلم اولاده من بعدها، نطاب من  
الوالدين ان يكونوا كباراً في نفوسهم واخلاقهم، فلا يعرضوا اولادهم  
الى مصائب العيلة، ارضاء لامياهم الذاتية واطماهم المادية .

اسألکم ما هو عدد الذين يقومون بما ذكرت من الشروط . کم  
من الذين يتخذون الزواج العوبة فيقدمون عليه وهم يعلمون حق العلم  
انه لا قدرة لهم على القيام بواجباته المقدسة، وبالعكس کم من الذين  
يمنعون عنه لا لعدم توفر الشروط الصحية والادبية فيهم بل لعدة العلل  
التي هي المال او لعدة لا تقل عنها شراً وهي الدين .

الدين لا كما وضعه الله آمراً بالحب داعياً الى السلام، بل الدين كما  
اراده البشر آمراً بالتعصب حاملاً على الخلف ناهياً عن اتحاد قلبين لم  
يتحدا في مذهب العبادة .

### اخواني

ما لفظت كلمة الدين لانحي عليه باللائمة وما انا من يطلب ابطال  
الدين الذي قال عنه ميرابو : انه ضروري للانسان كالحرية، بل لا  
احب ان تعرض فرصة ففقلت دون ان اظهر فكري بهذا الشأن

## من المهد الى اللحد

واحارب من يمتقد ذلك ، فالاديان كما قال غوستاف لبون : ابواب مفتوحة تطل على عالم الاحلام، والانسان لا تكفيه الحقيقة ليعيش فيها بل هو في حاجة الى الامل، ولا تجد في سوى هذه العوالم المجهولة ما يحوله ان يبني قصوراً مسحورة آهلة بالاحلام منيعة على كل من يحاول هدمها ، لان العين البشرية لا تصل اليها . انما قصدت ان اقول انه مضى الزمن الذي كانت فيه سياسة الممالك وقيادة الشعوب صادرة من وراء الهياكل . فالدين لا دخل له اليوم في الاحوال العمرانية حيث جلس العلم على سرير ملكه وحسبه ان يبقى في دائرة صلته بين الارض والسماء والخالق والخلوقة .

متى عرف الكاهن ذلك ، متى وجد رؤساء عقلاء ينشأون وينشأ من تحت ايديهم امثال لهم رعاة متنورون مستقلون فكراً ، احرار ارادة نزهاء عن الغايات لا يهتمهم الضغط على الافكار استجاباً للناس اليهم ، مكتفين بنبذ مبادئ الحُب الذي تأمر به الاديان كافة، معترفين بالفضل ان كان في سواهم كما في ذويهم .

متى فكوا الزواج من عقاله ، واطلقوا الحُب من قيوده المذهبية فارجموا الشريعة الطبيعية وهي شريعة الله الى مقامها فوق شرائعهم

## من المهد الى اللحد

الفسانية ، متى تم كل ذلك فقد سقط سور عظيم من اسوار التقهقر والاستبداد ، وطلع فجر جديد للحرية في ضمير البشر .

اخواني

هذه هي التأمّلات التي عرضت لي والآمال التي احييت ان تشاركوني فيها .

ما اجمل اليوم الذي تنتشر فيه هذه المبادئ الصحيحة العمرانية فتصلح التربية بمقتضى استعداد الانسان ويصلح الزواج لترقية النسل بتخفيف مساوي الوراثة ، فتكون النتيجة غنى الانسان براسمائه الحيوي ليقوى على مكافحة عناصر الوجود ومقاومة الامراض التي تعكر كأس الحياة وتقصّر مدى العمر .

وما احراكم وقد كنتم البادئين بالدموية الى الاتحاد في هذه الديار ان تولوا وجوهكم هذا المقصد النبيل فتبشروا روح الاصلاح بالقول والعمل .

اتعلمون من انتم الان يا اخواني كرام السوريين في طنطا ؟ لستم فقط بمجموع قوى وارادات وعقول ، انتم صورة من الواح الشرائع الادبية ، شرائع المحبة والرحمة والاخاء التي سيظهر المستقبل نورها

## من المهد الى اللحد

الساطع على طورسينا الشرق الجديد . والوظيفة التي تقلدتموها من  
اسمى الوظائف لانكم جئتم لتلقوا كالمسيح حربا لا سلاما . وعدوكم  
ليس رجلا ولا جماعة ، هو جيش من التقاليد الفاسدة والمعادات  
المضرة . هو وحش ذو رؤوس كثيرة كالوحش الذي قتله هرقل في  
خرافات الاقدمين ، هو الجهل قبل التعصب والحمول قبل الفقر والظلم  
قبل المرض والجوع . ولقد حاربتم التعصب بالاتحاد والفقر بالاحسان  
ولكن الوحش لا يزال حياً شامخ الرؤوس يتهدد الفريسة من كل  
جانب !

انا من الذين يطأطئون الرأس امام هذه الاعمال المقدسة : اطعام  
الجائع ، والباس العريان ، ولكن لا اجعل مساويء هذه الطريقة التي  
تعود في الغالب الكسل وتقوت الى النذل .

والذي اريده واثمناه هو الاحسان بصورتيه الادبية والمادية :  
الاحسان بالعمل قبل الدرعم ، هو ان لا يبقى بيننا فم جائع ، ولا فكر  
مظلم ، هو ان نرسل القوت الى جوف الفقير والنور الى فؤاده ،  
ليباركنا اذا تعلم كما يمجدنا اذا شبع .  
الذي اريده واثمناه ان نعلم التربية الصحية الاخلاقية بين كل



## من المبدأ إلى اللحد

طبقات الشعب المتنورة وغير المتنورة ليقصد الانسان في انفساق قواه البدنية والعقلية ، ويكون له ضمير حي يدفعه الى خدمة هذا المبدأ العام الذي هو ارتقاء النسل حتى لا يكون الزواج فيما بعد على حد قول الشاعر :

على الولد ينجي والد ولو انهم ولاة على امصارهم خطباء

وإذا وجهت لكم هذا الحديث فلا تني لا اري من حولي سواكم  
وقد قدرتم على ما هو اصعب ، قدرتم على ضم العناصر المختلفة وهدم  
ذلك الحاجز الهائل الذي ما زال في الشرق يفصل الاب عن بنيه  
والجار عن جاره ، فتقدرون على نشر هذه المبادئ .

لا تستكبروا الخبر ولا تستصغروا انفسكم امام الغاية ، بل كونوا  
لها نصراء في الدائرة التي اتم فيها ، ليحفظ كل فرد منكم هذه  
المبادئ وليحملها حيث ترمي به الاقدار. ابدأوا بانفسكم ، ازرعوا المحبة  
في الارض والمستقبل يتعهد بالباقي. اقدحوا الزناد في هذا الهشيم اليابس  
والشرارة الصغيرة تصير ناراً آكلة تظهر ما حولها من ارض وسماء .  
اعملوا ولا تخافوا صعوبة الموقف ، بل انظروا الى المستقبل بحساسة

من المهد الى اللحد

كما نظر دانتون الى اوروبا ، ويقين كما نظر لامنه الى الانهاية ذلك  
المتقبل الكثير الاسماء الذي يسميه الجبان مستحيلا، ويسميه الجاهل  
مجهولا، ونسميه نحن الفا. كرين طريق الكيال .

*[Faint handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]*

## حفلة تكريم في النادي السوري

أيها السيدات والسادة

ما شعرت عمري بصعوبة الموقف مثل هذه الليلة لأنني أعلم كطبيب أن الكلام في موضوع كالذي دعيت إليه لا يوافق المكان ولا الزمان، وإذا كنتم قد اشتركتن عن رضى في هذا العيد فليس من الأدب أن انعص عليكم هذه الساعة بالشكوى. أقول هذا وإن أكن واثقاً أن ما سمعتموه من اشعار شيبوب الجميلة وما استمعونه من أخي مطران سيخفف من وطأة خطابي ويلطف من شدة عتابي.

ولو كان الكلام للخيال لما ضاق بي مجال القول فإن هذه الحفلة الجميلة بما تجلج فيها من مظاهر القومية، وهذه المائدة الفاخرة وما عليها من ازهار وانوار وما حولها من وجوه هي كالزهر أو اطرى و كالنور أو اصفى لما يلهب الحاطر هياماً وينزل على القلب وحيماً

على المنبر

## حفلة تكريم في النادي السوري

والهاماً . ولكن الموقف ليس للغزل والنسيب فما حيلتي كشاعر باعظم  
من حيلتي كطبيب .

على ان هذه الحفلة وان تكن حفلة عشاء فليس المقصود بها الاكل  
فقط بل ربما كان الاكل آخر ما فكر به القائمون بتديبه ، ولهذا  
اخلع عني رداء الطب واطوي جناح الشعر واجعل حديثي معكم  
حديث الجار لجيرانه او الاخ لاخيه .

يتمثل لي في هذا الاجتماع غايتان : الاولى هي التعارف البسيط  
لانه على الرغم من وجودنا في بلد واحد لا نزال مع الاسف يجهل  
بعضنا بعضاً . والثانية هي الوقوف على امرين ما اجتمعنا في قوم الا كانا  
من مظاهر نجاحه وبشأر اصلاحه . هذان الامران هما صنع الجميل  
وعرفان الجميل .

في صدر هذه المسائدة ذاتان مختلفتان في العمر والجنس والنسب  
والوظيفة ولكنهما متفقان في حب الخير . السيدة الجليلة المنحنية تحت  
ثقل السنين الحاملة على رأسها تاجين : الشيب والوقار . والكاهن  
الكهل المتليء بنشاط الشباب وعزم الفتوة المشرق نظره بشعاع  
الامل واليقين . لتكريمها اجتمعنا وما التكريم باحراق البخور



## حفلة تكريم في النادي السوري

والمدح المبسذل ، فقد شئنا هذه العادة ، وحق لنا ان نتخلص من قيودها ، لان الانسان مسؤول عن اخيه الانسان ، واذا كان الناس قد جهلوا هذه الحقيقة او تجاهلوا الزمن الطويل فاليوم قد انشق الحجاب عن الابصار وعن البصائر وعرف كل واحد منا ان الاحسان واجب لا لزوم للشكر عليه . ولكن قليل من يقوم بهذا الواجب فنحن نريد بعداد ماثر المحسنين ان نستخرج منها امثلة خير وعظة صالحة للغير .

انا لا اکتتمكم كرمي للعائفة ، واحب بكل قلبي وضميري ان تزول هذه الحواجز الواقفة بين فريق وآخر، والتي كانت ولا تزال العامل الاكبر على تناهد ابناء البلد الواحد وتقصيرهم في ميدان الجهاد والخدمة نحو الصالح العام . ولو خیرت لما احببت الانتساب الى طائفة من الطوائف . اقول هذا بشجاعة ضمير ولا استحي فيما اقول . ولهذا افضل ان لا ادعى للكلام في حفلة او موضوع يشتم منه رائحة المذهب والاختصاص بقوم دون آخرين .

الا ان ازالة هذه الحواجز الطائفية لا تزال والأسفاء حلماً من الاحلام ، وبما اني وجدت ارتوذ كسياً فلم يكن بد من تلبية اخواني

## حفلة تكريم في النادي السوري

الارثوذكس الى دعوة يراد بها خدمتهم عموماً من اجل ذلك تروني بينكم هذا المساء فاحييكم واحيي المبدأ الشريف الذي اجتمعتم لاجله في صورة تكريم لمن اردتم ان تكرموا واني افتخر ان يكون فينا ايها الاخوة امرأة كمدام سياج ، ورئيس روجي كالارشمندريت اسطفان .

افتخر بمدام سياج لانها عرفت ان تنفق مالها في السبيل الذي يجب ان تنفق فيه الاموال ، فما كانت عبدة للبخل ولا اسيرة لحب الذات .

وبينا نرى الكثير من رجالنا يعرضون عن الخدمة العامة ، واذا جاد الواحد منهم بشيء فبالنزر اليسير وبعد الطلب الكثير ، تراها تفتح خزائنها بلا حساب وتبسط اليد البيضاء بالعطية البيضاء .

وافتخر بالكاهن اسطفان لانه من لا شيء اوجد اطائفته اشياء . فقد ترأسها قبله غير واحد . وتعاقبت عليها الايام والسنون فما افادها مثله احد . اسس جمعية للاشغال اليدوية وجعلها حجر الاساس في بناء المستقبل ، جمعية صغيرة جل ما حوى صندوقها بعد الجهد الجيد ١٨٠ جنينياً فما منعه ذلك ان يؤسس مدرسة تجمع ١٥٠ تلميذاً . ثم

## حفلة تكريم في النادي السوري

قصد الى مدام سياج وقد حباه حب العمل قوة الاقناع فما ردت له طلباً بل افاضت عليه الالوف من الذهب فضلاً عما وقفته للاعمال الخيرية من كنيسة ومدفن وغير ذلك .

ملة فقيرة في دخلها فقيرة في اوقافها لا مدرسة لابنائها ولا مستشفى لمرضاها ولا مدفن لموتائها ، تصبح بين عشية وضحاها بسعي رجل واحد وكرم امرأة واحدة غنية ذات دخل و اوقاف ومدفن ومدرسة . واذا شاء ربك اتم نعمته عليها بالمستشفى القريب . كلكم يعلم ان الرئاسة الروحية ليست اليوم كما كانت قديماً بل اضاعتم كثيراً من امتيازاتها ولم يبق لهذا الثوب الاسود ذو الالكام الواسعة يؤثر في عقول ابناء هذا الجيل . ولكن ماذا بهم الارشعندريت اسطقان ذلك فعنده سلاح امضى من هذه السلطات التقليدية والنفوذ البالي . عنده الاجتهاد والصبر والذكاء . هو يعمل عن حب والحب مبعث الارادة . يعمل عن امل والامل نور الحياة . يعمل عن ثقة بالنفس والثقة بالنفس اساس النجاح .

الثقة والامل والحب او بعبارة الانجيل الايمان والرجاء والمحبة هي الثالوث الذي اضاء في محراب ضميره الناصع ، فهد امامه عقبات



## حفلة تكريم في النادي السوري

السبيل وقرب اليه الغاية البعيدة .

نعم ان المدرسة دون ما نطلب والمستشفى لا يزال في عالم الاحلام  
ولكن المهمة لم تفتر والسعي لم ينقطع والنبع الفوار لم ينضب ماؤه،  
وتلك الفكرة التي تدير، وهذا اللسان الذي يتكلم، وهذه اليد المبسوطة  
ابداً للخير لا يزال عملها متواصلاً . والشراة التي طسارت من هذا  
الاتون ستلهب ما حولها بلا شك فترى بين رجالنا في آخر الامر من  
يسمع باذنيه ويبصر بعينيه، فيهب الى مناصرة هذه الفكرة بدل  
الواحد عشرات وبدل العشرات مئات. ولا تحسبونني اعني بما اقول  
الاغنياء فقط . كلا ومعاذ الله ان يتصل الباكون من هذا الواجب .  
ان عملاً كهذا يجب ان تشترك فيه اللة جمعاء كبيرها وصغيرها غنياً  
وفقيرها بل اذا قصر الاغنياء لاسمح الله فحاشا للمة ان تنوء بالحمل  
وترزح تحته مها كان ثقيلاً . حاشا للمة ان تقف في منتصف الطريق  
وقد علمتها الايام ان الحركة لا تتمتع على الطائفة اذا لم يتحرك كل  
اغنيائها . سلوا التاريخ ينبشكم ان العمل الكبير المقيد هو ما قام به  
الشعب باتحاد افراده . واكثر الحيرات التي تتمتع بها الانسانية، واكثر  
المواهب التي افاضها العلم على العالم، لم تصدر من اهل التقى ولم تخرج



## حفلة تكريم في النادي السوري

من القصور الشاهقة ولم تجلس فوق المقاعد المذهبة ولم تضطجع على  
الدمقس والحريز وإنما هي صنع اهل العلم والجد والتضحية، خارجة  
في الغالب من اكواخ بلاسقوف وبيوت سودها الدخان وايد انحلها  
الصوم •

على ان الايام قد تغيرت فالثري اليوم غيره بالامس وقد افسحت  
الانسانية مجالاً في الضمائر للواجب فلا بد بحكم الضرورة ان يندفع  
اصحاب الثروة مع التيار • الايام قد تغيرت وعامة الشعب ايضاً هي  
اليوم غيرها بالامس فقد رفعت رأسها بعد الذلة والخنوع وصار الواحد  
منالاً يتهيب ذا المقام لقسامه ولا يكرم بعد الان الا العمل الكريم •  
يجب ان تذاع هذه الحقائق في الاندية والمجالس • يجب ان تفهم تلك  
الفئة التي تصدر في المحافل ولا ميزة لها سوى عناها اننا لا نقبل بها  
بعد اليوم • لا نقبل بالزعامة علينا الا للذي يفهم ان الزعامة هي في  
خدمة الصالح المشترك فيه لا في الوجاهة الباطلة • ليس الشعب سلماً  
يمشي عليه من اراد نحو الشهرة والنفوذ • فليتنح عن الطريق كل  
مقصر • لينتح عن الطريق من يخاف على نفسه من الافلاس • اما  
نحن فحسبنا ان نريد فنفلح ولنعلم اننا مع الاتحاد نصل بالقليل الى

## حفلة تكريمية في النادي السوري

الكثير ، ومن استغنى عنا فنحن في غنى عنه وهو الخاسر ونحن  
الرابحون .

يا اخواني لقد حمل لواء المجد امامكم امرأة فاين الرجال ؟ اين  
الرجال ؟ ماذا يعني تصفيقكم اذا كان من الايدي لا من القلوب ، ما  
ينفع هذا المتاف اذا كان صادراً من الشفاء لا من اعماق الصدور .  
اريد ان تكون هذه الحمية حمية ثابتة . اريد ان يكون هذا التحمس  
تحمساً مستديماً لا شعلة قش سرعان ما تنطفئ ، اريد ان يكون هذا  
الاندفاع الشريف البادي فيكم الان اندفاعاً حياً فلا يزول متى جاوزتم  
عتبة الدار . اريد وما اكثر ما اريد .

اريد ان تكون كلمتي الاخيرة لكم كلمة امل ورجاء ، امل بحميتكم  
وشهامتكم ، رجاء باتحادكم واقدامكم . اساس العمل موجود الان فلا  
تدعوا الفرصة تفوت بل تقدموا متكاتفين متخذين مثلاً لكم هذا  
الفاضل في سعيه وهذه الفاضلة في سخائها ، نحن في حاجة الى مدرسة  
والى مستشفى بل حاجتنا الى المستشفى اعظم لان المدرسة مها ألقناها  
غهي لا تغيننا في كل الاحوال عن سواها وقد مضى الزمن الطويل  
وابناؤنا يتلقون العلم في المدارس الاجنبية فما ضرهم ذلك . واما

## حفلة تكريمية في النادي السوري

المستشفى فهو يغنيننا في موضوعه عن كل مستشفى اخر . ولا  
تظنوا افادته موقوفة على الفقراء فقط فهو الذي يحفظ كرامتنا كاملة  
ويخلد لنا اترأ مشكوراً .

كم سعينا الى انشاء مستشفى سوري فرأينا دونه حوائل حمة، فهلا  
خطونا الخطوة الاولى في هذا السبيل ؟ يكفي اذا مشى على منهج  
مدام سراج واحد او اثنان من القادرين فينا والراغبين معنا بالعمل  
ليتم المشروع في اسرع وقت .

وهذه نصيحتي لكم اذا سمحتم ان يحرص القائمون فينا بالعمل  
على ما وهبت هذه المحسنة فلا يبعثر في مشروعات صغيرة فائدتها  
محصورة بيننا نحن في حاجة الى المستشفى الذي بدونه لا تزال مقصرين  
نحو الفقير ونحو الضمير .

هذا هو املي الحلي بكم ، على تحميدته ارفع هذه الكأس شاربا سر  
مدام سراج وسر ارتقاء الطائفة الارثوذكسية بنضل رئيسها الروحي  
وابنائها الكرام .

تذكرة القائلين بالحق

لا بد من معرفة الحق في كل وقت  
فإن الحق لا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل

والحق لا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل

والحق لا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل

والحق لا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل

والحق لا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل  
ولا يتغير ولا يتبدل



## عبر الاساس لمدرسة سباع

ايها السيدات والسادة :

دعيت منذ سنتين الى حفلة عشاء في النادي السوري اقيمت  
لتكريم رجل وامرأة ، اما الرجل فلانه سعى ، واما المرأة فلانها  
اعطت . سعى الرجل الى انشاء مدرسة لفقراء طائفته فافلح . وابت  
المرأة دعوة الراجب فوهبت من مالها في هذا السبيل عشرة آلاف  
جنيه .

هذا السعي ، وهذا العطاء قد اتبها اليوم الى هذا المكان ليتجسنا  
في صورة شاخصة تفرح بها العين كما فرحت الاذن وكما سيفرح  
القلب ان شاء الله : مدرسة صغيرة في حد ذاتها لانها لا تسع الا فئة من  
الطلبة ، ولا تضم الا طبقة من الناس . ولكنها عظيمة في عيني بالغاية  
التي انشئت لها ، بالجهد العظيم الذي صرف في سبيلها ، بالعامل الجديد

## حجر الاساس لمدرسة سياج

الذي استند اليه في تكوينها .

اما النسيان فلانها ستكون كالبيت يضم امرة واحدة من مختلفي  
ابناء النقاء ، الذين لا يعرفون ملذات البيت ، ستكون الاب لمن  
فقد اياه ، والام لمن حرم حنان الام . ستكون فوق ذلك درعا منيعة  
للاجتماع لان الفائدة من تعليم الفقير لا تنحصر فيه ، بل تمتد من  
حيث لا ندرى الى سائر الطبقات .

واما الجهد فلان انشاء مدرسة من لا شيء في زمن كالذي نحن  
فيه ، وبين قوم جلهم متصرف بالاعراق في الانانية ، لا يتم الا باعجوبة  
واذا عد نجاح الارشمنديريت عظيما فليس في الواقع باعظم من التعب  
الذي عاناه قبل الوصول اليه .

اما العامل الجديد فلا اخالكم تجهلونوه . وهذا اليوم حسنة من  
حسناته . فان المرأة التي قلما عودتسا في الماضي الاهتمام بالشارع  
القومية اصبحت اليوم واحمد لله اول السابقين اليها ، واخني  
الساهرين عليها . فيحق لجمعية يد الانسان ان تفتخر لانها وصلت  
الى ما لم نصل اليه نحن . فافلحت حيث قصرنا ، وكان لها علينا  
السبق في هذا الميدان .

## حجر الاساس لمدرسة سياج

يا سادة : اذا جاز لي في هذا الموقف ان لا اکتفي باحراق بخور  
الثناء ، اذا جاز لي ان اقول كلمة نافعة ، وان اکن هذا اليوم ضعيف  
القوى لاطاقة لي على الكلام ، اذا جاز لي ذلك فاني اوجه کلامي  
هذه الى كل واحد منکم . نحن اليوم في عصر بحيث فيه كلمة انا  
وبدل منها كلمة نحن ، فصار الاحسان ، سواء بالمال او بالعمل ، حقاً  
من حقوق الضعيف على القادر ، والفقير على الغني ، تلك حقيقة  
لا يجوز ان تعامى عنها فقد كنا فيما مضى نقول للمحسن ، ارحم  
يا سيدي يرحمك الله ، فصرنا نقول ، ارحم يا هذا يرحمك الانسان .  
ذلك لان الانقلاب الاجتماعي الهائل الذي هز العالم قد ترك فوق  
رؤوسنا سيفاً مسلولاً . واذا كان لا يزال بيننا اناس يعرفون ذلك  
ولا يتحركون وان دعوناهم الى الخير لا يسمعون ، فليس لانهم  
بلغوا من الشجاعة ما لا يهابون معه سوء المصير ، ولكنهم ينظرون  
الى الانقلاب كما ينظرون الى الموت فهم يشهدونه كل حين ويعدونه  
عن افكارهم وهكذا يقفون امام هذه الريح العاصفة وهم يحسبون انها  
لن تمسهم . مثل هؤلاء يستحقون الشفقة قبل اللوم لانهم لا يدركون  
فن يدري ما يأتي به القدر ، من يدري ؟ ان الحرب العالمية قد ايقظت

## حجر الاساس لمدرسة سياج

الوحشية في الانسان ، واهاجت فيه قابلية الموت فصار النزاع حامي  
الوطيس . لم تعد الحرب محصورة بين شعب وشعب او بسلد وآخر ،  
بل صارت حرباً عمومية بين العمل ورأس المال ، بين المالك والاجير ،  
بين التثعم والمتألم . حرب ظاهرة وخفية لا تعرف الهدنة ولا تحبوا  
لها نار . ميدانها البوق والمكتب والبيت وكل مكان . من هو الرجل  
الذي يظن نفسه في امان منها والعدو يحيط به من كل جانب ، من  
خادمة المنزل التي تأكل خبزها ، الى تجاره وحداده ، الى بقية حساده  
حتى الفقير الذي يطرق بابه متسولاً ، لا نعلم بما تحدثه النفس الامارة  
بالسوء ، هذا ايضاً من المهاجمين نطلق عليه قبلة من الصدقة او قذيفة  
من الوعود فيذهب على ان يعود بعد حين وسيعود كلما سنحت له  
الفرصة حاملاً في اطواره الحقد والطمع وحب الانتقام . حتى اذا  
دقت الساعة كان اول العاملين على الفتك والتخريب .

اجل يا اخواني ، نحن لا نتعجب اليوم اذا كنا تصدر في  
المخافل آمين ، وتركب السيارات تهب الارض فيها دون ان نهم بمن  
تعمر في طريقها او تدوس ، لا نتعجب اذا رأنا الفقير ، نسافر في  
الدرجة الاولى ويرضى ان يكس كالحسيد في الدرجة الثالثة ، لا



## حجر الاساس لمدرسة سياج

تتعجب اذا لم يهجم علينا في المرائص والاعبياد فيشرب الخمر من  
اقداحنا ، يستل الاطايب عن موائدنا . لا تعجب لاتنا تعودنا ذلك  
فظنناه امرأ طبيعياً ، حذار يا قوم حذار فقد تأتي ساعة تسقط فيها  
كل الحواجز . تلك ساعة العجب يوم نرى انه بين عشية وضحاها  
قد نبنت في هذه النعاج انياب الذئاب .

من اجل هذا يجب ان نحفض من غلواتنا ، يجب ان نحترم الشقاء  
من حولنا فنسدل ستاراً من الحياء على ملاحينا وملذاتنا . من اجل  
هذا يجب ان نضحى من وقتنا ومالنا لمساعدة البائس واعانة الملهوف  
ونصرة الضعيف والاهتمام بالمريض والاشراف على الفقراء في تحيين  
معبشتهم وتعميم تربيتهم ، من اجل هذا يجب ان لا تقتنع بالمدرسة  
فحسب اتنا بلغنا الكمال .

على ان المدرسة هذه لا تزال في المهد ، ومجال العمل واسع امامنا  
فيها ، فليقدم من شاء ان يكرم . واذا كان لي رجاء او دعاء او تمن  
فهو ان لا ينحصر عملها في دائرة ضيقة من الخير . هي ارثوذكسية  
النشأة وستظل ارثوذكسية الادارة . ولكن ما ضرها لو فتحت ابوابها  
لفقراء سائر الطوائف ، ما ضرها لو كانت مثلاً للتساهل فارتفع منها

## حجر الاساس لمدرسة سياج

اول صوت لاعلان الحرب على الطائفية ، ما ضرها وما ضر كل عمل خيري لاي طائفة نسب، ان يكون كذلك .

ان لنا بيوتاً ندعو اليها الناس على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم فنولم لهم الولايم وقيم الاعياد ، فلماذا نكون في بيوت الخير والاحسان اقل سخاء ؟ لا تحسبوا هذه الفكرة بعيدة الامكان ، اوليست حفلة اليوم بمن تضم من كرام القوم بشيراً بقرب تحقيقها ، وهل كان مطران وملاط بين خطباء الحفلة الا دليلاً على ان هذه الفكرة لا تحرم من الانصار . من هو مطران ومن هو ملاط ، والى اية طائفة ينتسبان ؟ هما من شعراء الانسانية ، رسل السلام في العالم ، لا اعرف لهما غير هذا النسب .

\*

يا سادة

ان الواقف امامكم اليوم عابر طريق في هذه الحياة لا يربطه بها رغبة ولا رهبة ، ولكنني انحنى باحترام امام هذه الاشياء المقدسة التي يقال لها الطفولة والشباب، الامل والعمل . ولهذا اكبر المدرسة واكبر تعليم المدرسة اذا كان بعيداً عن التعصب ، مشبعاً بالتسامح ،

## حجر الاساس لمدرسة سياج

ممثلًا من الحب ، محاطًا بالكرم والجود .  
انا اعرف ان محبة الذات شرعة طبيعية ، وان من الحق المقدس  
ان يهتم كل بنفسه قبل سواه ، فالشجرة التي تنمو وتزهر وتمد في  
الهواء اغصانها المثقلة بالثمار لا تعطر الجو الا بعد ان تمتص من الجو ،  
ولا تظلل الارض الا بعد ان تأكل من الارض، ولكن هل كانت حياتها  
بعد ذلك الا مثالا للتضحية ؟

التضحية اشرف منزلة بل اسمى فضيلة يمكن لانسان على الارض  
ان يتحلى بها . التضحية هي التي جعلتها مدام سياج شعارها في الحياة .  
واليوم تلقي علينا درسها العالي .

قباس هذه التضحية استحفلكم يا اخواني ، لا تفرقوا بين الفقراء ،  
لا تجعلوا للعلم نسا وللاحسان مذهباً ، باسم هذه التضحية استحفلكم  
ان تؤيدوا في هذا الشرق الناعس حجة السلام ، فتضعوا الحجر  
الاول في مدرسة الاخاء العام .

والآن يا سيدتي الكريمة ! اراك امامي في هذا الكرسي يكاد لا  
شيء يحجب عنا جسمك الضئيل ، وارك امامي ماثلة هذا الفضاء  
انوسيع . ما اجمل هذا اليوم في عينيك ، بل ما اجملك انت في عيوننا

## حجر الاساس لمدرسة سياج

وما احراانا ان تنزل بك ، ما اجمل هذا الرأس الذي خلعت عليه  
تاجها الايام ، واليوم يزداد رونقاً وبهاء بما توجهت به دموع الايتام .  
بسرور وافتخار اقدم لك هذا الممول ، فخذيه بيدك الضعيفة التي  
غلبت الاقوياء ، بيدك التي قصر عن مداها الرجال ، فحملت دونهم  
راية الابطال . اضربي به الارض كعصا موسى فتفجري ينوعا  
قياضاً للاجيال الآتية ، اضربي ، فلضربتك الصغيرة هذه صدى جميل  
تحقق له الالوف من قلوب المعجبين بك ، اضربي ، وهي ارتفع هذا  
البناء ، متى ملأت الحياة بضجيجها ولهوها جوه الصامت ، فيسطل  
هذا الصدى في نواحيه يردد في آذان الناشئة جيلا بعد جيل فضل  
هيلانة سياج التي كانت في طليعة المحسنين ، وسبقي ذكرها الى دهر  
الداهرين .



## حفلة تخرجي الجامعة الاميركانية

ايها السادة :

كان الاولي بي الاكتفاء ببلاغة من تقدمني ، لولا ان هناك  
واجباً لا يحسن عنده السكوت ، فلقد شرفتي الجمعية بانتخابي عضواً  
فيها ، وما انا من متخرجي الجامعة . ربما كنت مبالغاً في قولي لان  
الكلية او الجامعة ، كما تسمى اليوم ، هي مدرسة الجميع . واذا كنت  
لم اجلس على مقاعدها صغيراً ، فما فاني ان استفيد منها كبيراً . فانا  
بحال ما تلميذها ، تلميذها بما كان يصلني من اشعاعها ، بما كنت اقرأ  
من مؤلفات الخارجين منها ، واسمع من افواه العاملين فيها ، واتعشق  
من مبادئ ذويها . ولقد بلغ من حبي للكلية انني صرّت اعرف  
الطالب فيها ، على غير سابق عهد ، اعرفه لحديثه ، لنظراته وحركانه  
واشاراته ، لطريقة عمله في حياته . فطابع الكلية على وجوه ابنائها كما

## حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

هو في قلوبهم ، وقد عرف اخواني المتخرجون ذلك في ، فارادوا ان يسجلوا علي هذا الحب ، بانتخابي واحدا منهم .  
يعلم الله انني لم اسع عمري الى لقب ، ولم احلم يوما بوسام ، ولكن وساما كالذي قلديه هؤلاء الاخوان ، سأحفظ له في صدري المكان الرقيب ، وافتخر به امام القريب والغريب . من اجل هذا رأيت من الواجب ، عندما دعوني الى الكلام في هذه الحفلة ، ان اقبل والقبول ادب واحترام .

على اني لا احتاج في كلمتي هذه الى اجهاد الفكر ، او تذويق القول . اولا : لان المعاني حاضرة استمدها من صفات هذا الاجتماع عينه . وثانيا : لاني اخاطبكم بلغة القلب ، وهي الحقيقة ، اجمل ما تكون عارية لا تحتاج الى لباس من الالفاظ .

اقول للمعاني حاضرة لان اجتماعا كهذا يترجم عن اسمي العواطف واشرف الغايات ، لهو مجال واسع للكاتب والخطيب . واية غاية اسمي واية عاطفة انبل ، من الاهتمام باعظم عمل تقوم به البشرية .  
ماهو هذا العمل ؟ هو المدرسة ، لانها موجهة الى عقل الانسان وقلبه ، اي كل ما يكون الفكر وكل ما يكون الاخلاق . المدرسة

## حفلة تخرجي الجامعة الاميركانية

هي التائب عن الوالدين وعن الوطن ، وعن الانسانية . تنوب عن الوالدين بالغذاء الادبي الذي تعطيه ، وعن الوطن لانها تربيها على حبه ، وعن الانسانية لان ما تعلمنا اياه لا يختص بامة دون سواها بل هو ملك الانسانية جمعاء .

لبست الجامعة الاميركانية بنت اليوم بل عمرها في الشرق فوق الخمسين . خمسون سنة وأكثر مرت عليها وهي تنفق في سبيل العلم بلا حساب ، واليوم لأول مرة في التاريخ تفتتح اكتبابا بين متخرجيها ، اكتبابا زهيدا اذا قبس بعددعم ، فلامذة الجامعة منبشون في مشارق الارض ومغاربها ، فيهم ابناء سوريا ولبنان ، وفيهم المصريون واليونان والارمن والبلغار ، وفيهم العجم والهنود والروس . وقد كانت واثقة من قبل بالجواب على ندائها ، جواب ملؤه حمية وكرم وشامة ، فحيث طلبت عشرات وجدت مئات ، وحيث ارادت مئات اصابت الوفا ، ذلك لانهم يعلمون ان لهذه الام التي لا تزال تحن اليهم حقوقا مقدسة عليهم ، ويعلمون ان كل ما يزيد في جمالها ، يزيد في مجددم فجاءت النتيجة فوق المنتظر .

اسمعوا ما يقوله لنا سكرتير الجمعية :

## حفلة متخرجي الجامعة الاميركية

يجب ان نفهم اولاً ان الجامعة الاميركانية وان تكن مؤسسة اميركانية ، ففائدتها تعود على الجميع دون اصحابها ، الاميركان يدفعون ونحن نستفيد ، الاميركان يزرعون ونحن نحصد ، الاميركان يعملون ونحن نتمتع ، فهذه الجامعة التي انشئت للتعليم لم ينحصر عملها بالتعليم بل تناول الاحسان بكل صوره ، فانفتحت ايام الحرب في سبيل البائسين والمرضى ما حملها عبء دين باهظ يربو على المليون دولاراً من دفع هذا الدين يا ترى ؟ طبعاً لا انتم ولا انا ، لم يدفعه لبنان ولا الشام ، ولا العراق ولا مصر ولا الشرق باسره ، بل دفعه الاميركان وحدهم ، دفعوه عن رضى ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا ان يضمنوا للجامعة مستقبلاً مجيداً ، ففتحوا ائكتاباً بمليون آخر ، ولما كانت الجامعة تحترم ابناءها رأت من العدل ان يشتركوا بجزء من هذا الاكنتاب ، حتى اذا تم لها ما ارادت كان مظهر جميل تجاوبت فيه عواطف الام والبنين . رأت الجامعة شهامة ابنائها فاجبت ان تقابلهم بالمثل فقالت لهم نحن نتمهد بالمليون فابقوا انتم لكم ما تجمعون . ١٥٠٠٠ الف دولار تحفظ لكم ولتنتعمكم وحدكم . اجمعوها واجعلوها وقفاً باسمكم في المدرسة لمساعدة وتعليم المعوزين من اولادكم . وهكذا



## حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

القت عليهم درساً جديداً في التضحية ، كان الا ككتاب لما فصار لهم ،  
فجاء العمل اميركانياً بكل ما في هذه الكلمة من معاني العراة  
والعظمة .

ياسادة : لا اكتمم انه عندما قص علي هذا الخبر ، احسست  
بالدمع يترقق في عيني ، ورأيت نفسي مسوقا الى المقابلة بين اخلاق  
الامة الاميركانية واخلاقنا ، وتساءلت ما يكون صدى هذا العمل  
فينا ؟ أتؤثر هذه العظة البالغة ؟ أيبكون لنا من تصرفات هذا  
الشعب الكريم قدوة سالحة ؟ اين انتم يا رجال الشرق ؟ اين هم  
اصحاب الشهرة والتفوذ والوجاهة والمال ؟ تعالوا وانظروا ، هؤلاء  
الاميركان تفصل بيننا وبينهم البحار ، لا غرض لهم عندنا ولا شهرة  
يطلبونها ولا مجد يسعون اليه ، يسطون العطاء للعطاء ، ينفقون في  
سبيل البر للبر ، ونحن انشاء هذه الديار ، فيها نشأنا وبها ارتبطنا ،  
واليها مرجع ما نملك من روة وجاه . اذا احتيج الى مناصرة مشروع  
خيري او تأسيس عمل وطني ، يجب ان تحرك الارض والسماء  
لتحريكنا ، يجب ان نؤلف اللجان ونعقد الحفلات وتقام الاعياد ،  
يجب نظم القصائد والتبشير في الجرائد ، يجب ان يحول كل اقلم الى

## حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

ذهب وكل لسان الى حديد لتفوز ببعض ما تريد .  
نعم اذكروا الرتب والالقب ، افتحوا باب الوظائف ، عددوا  
مشاريع الكسب ، انشأوا معاهد المبسر واللغو ، تجددوا الاقبال عظيماً ،  
تجددوا الزحام على الابواب وتقبيل الاعتاب ، تجددوا الشركات المالية  
تؤلف ، تجددوا الاكياس تحل والحزائن تفتح ، ولكن اذكروا  
عملا انسانياً لا يكون من ورائه ربح مادي ولا امتياز خصوصي ،  
فما اسرع ما تصم الآذان وتحول الابصار وتقفل الابواب ويدخل  
كل الى عقر داره كما تدخل «البراقة» في خباتها .

هذه حالة هؤلاء ممن يمكن ان يعقد عليهم رجاء ، فما قولكم  
بسوامم وهم كثيرون ، كم من الناس منهم كالارقام التي لا قيمة لها  
يعدون ولا يفون ، ينتظرون فلا يأتون ، يسألون ولا يعطون ،  
يطلبون الحق ولا يقومون بالواجب ، فهم كقيمة الصيف يحببها  
الزارع على امل فاذا هي جهام تعكر صفو السماء ولا تجود بقطرة  
ماء .

عفوا ياسادة ، وعدتكم ان اخاطبكم بلغة الاخلاص وهي كالحقيقة  
تبرح احياناً ولكن حبذا الجرح اذا اخرج من الجسم الفساد ، ولقد

### حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

حان لنا ان نتخذ الحرية في القول ، ونجهر بالحق لمن نجب ، فالكذب آفة من آفاتنا القديمة ، وعندني خير للكاتب ان يحطم قلمه تحطياً اذا كان لا يجر الا الى التدليس والرياء ، والباطل من النساء . فاذا ساء كلامي بعض الناس فعذري عندهم الاخلاص وعذرهم عندي انها العادة المتملكة الى ان يحين لهم منها خلاص .

اما اتم يا اخواني متخرجي الجامعة ، فاني اهتكم لانه قدر لكم ان تكونوا البادئين بمثل هذا الاكتاب الشريف ، اهتكم واتي ان يقتدي بكم سواكم ، ففي الشرق مدارس اخرى لا ينكر فضلها عليه . وفي الحثام اسبحوا لي ان ارسل صوتي الضعيف الى ابعد من هذه الجدران وهذا المكان . الى تلك المنارة القائمة على راس بيروت هدى للطالبيين . الى تلك الارزة المباركة التي ياوي الي ظلها فرائح الشباب حتى اذا اكتمل ريشهم ، طاروا من حولها اسراباً يحملون بين ضلوعهم الى اقاصي المعمور علماً واداباً . وهي تحية خالصة البستها حلة من شعري بعد ان قطعتهما من قباي وفكري :

معهد العلم وصرح الادب      اي فضل منك لم يكتسب  
جئت للخير رسولا ناشراً      بين اهل الشرق علم الغرب

حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

حاملًا في ظلمة الفكر لنا      شعلة من قلبه الملتهب  
فبعثت العلم من رقدته      بعد ما نام طويل الخقب  
واقلت الفكر من غيرته      فشى من جنده في موكب

\*

ايها الربيع الذي احببته      وانا عنه غريب النسب  
كلما عاودني ذكر الصبا      هزني نحوك شوقا طربي  
وبدا رسمك في ذهني كما      انت في مخضر تلك المصطب  
فن البحر بساط ازرق      ومن الرمل وشاح ذهبي  
وعلى رأسك نور خالد      من توالي رصده للشهب

\*

كلما عاودني ذكر الصبا      مرت بي ذكراك عند المغرب  
فاذا الزوار في ناديك قد      ملأوا صدر المكان الربح  
وبسوك الغر من حولك في      حلقة الفضل ورعط الادب  
واذا المنبر يهتر لهم      طربا للشعر او للخطب  
ومن الجمع هتاف صاعد      ملؤه الاعجاب قبل العجب:  
ههنا النبع الذي يسقي النبي      واذا لم يسقها لم تحصب



حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية

لك في التعليم نهج لم يدع      طالباً يقعد دون الطلب  
يدرس الاخلاق في استاذه      قبل ان يقرأها في الكتب  
انت رمت العقل حراً مطلقاً      لم يقيد بقيود المذهب  
واقمت العلم مبنياً على      حرمة الصدق وكره الكذب  
وجعلت الحب ديناً واحداً      في حمى موسى وعيسى والنبي

\*

يا لواء يخفق اليوم له      جانب الافرنج قلب العرب  
كم مشى في ظلك السامي فتى      شيخ علم وهو في العمر صبي  
من ربي لبنان طفت الارض لا      غازيا بل هاديا كالكوكب  
ان ذا اليوم اكتب للعلى      فادع من شئت له يكتب  
كل دين قد يفيه ذهب      غير دين العلم ، فوق الذهب

\*

قل لمن يسأل عن انسابنا      ونحن من يرضيك عند النسب:  
امنا هذي وما احلى اسمها      وشعار المجد هذا :

A. Y. B. ابو، بي



## بين العجز والمقدرة

دعني الشيببة السورية الى القاء محاضرة في هذا الناصي ناركه  
لي اختيار الموضوع فكان من البديه ان تتجه افكاري باديه ذي بدء  
الى الشباب لاجعله حديثي . ومن أحق بان يحدسكم عن الشباب ممن  
طوى صفحة الشباب ؟ وربما كانت هذه اغنية الوداع لذلك الدور  
الجميل من العمر ، الدور القصير الذي اراه يرتحل ولا حيلة  
لارجاعه .

اقول الدور القصير لاني انظر اليه كسائر الناس فأجعل مسافته  
بين العشرين والاربعين . على ان هناك نظرة ثانية لا دخل للسنين  
بها وهي تحديد الشباب بالزمن الذي تبقى فيه القوي سالمة على الدهر .  
فقد يصيب الهرم ابن العشرين كما يظلل قريع الستين شاباً بعواطفه  
وارادته وعقله . هذه النظرة هي التي حولتني عن موضوع الشباب

## بين العجز والمقدرة

الى ما هو اعم اي الحياة في كل ادوارها اي الانسان في مختلف حالاته واعماره . وما كدت ارسى عند هذا العزم حتى ادركت خطورة الموقف وبدا لعيني بعد الهاوية التي يجرني اليها قلبي ولا سيما لان الوقت محسوب علي هذا المساء والدقائق معدودة . تذكرت حينئذ كتابا جديدا لاحد علماء الفرنسيين يأخذ بالموضوع من بعض وجوهه . وقد كنت ارسلت عنه منذ ايام حديثاً الى المجمع العربي في الشام . فقلت انقل اليهم هذا الحديث المفيد فهو لا يخلو من طلاوة الحديد .

ولكن اسمحوا لي قبل الكلام عن الكتاب ان اعرف اليكم الكاتب وان خالفت في ذلك المثل السائر « انظر الى ما قيل لا الى من قال » لاني اعتقد ان الروح التي توحى الفكر وتنطق اللسان وتسير القلم ايسر من العدل ان تظل وراء الحجاب فلا يقف القاريء او السامع منها الا عند عتبة الباب .

\*

الاستاذ شارل ريشه من شيوخ العلم في فرنسا وهو يمتاز عن سواه بأنه جمع بين الطب والفلسفة والشعر والرواية والتاريخ . وله



## بين العجز والمقدرة

في كل من هذه مباحث وآراء خرج في أكثرها عن المؤلف وقد كان في طليعة من اهتم بدرس الطيران ووضع للطيارات في بدء عهدها خططاً ورسوماً . وهو حاز على جائزة نوبل و«كتشف «الانافيلاكسي» ومن ارهاط علم ماوراء الروح metapsychique وقد اظهر شجاعة محمودة يوم قال « ان اكثر الحوادث المتعلقة بهذا العلم « كالاكتوبلاسم » مثلاً يجب ان تدخل المختبر وتخضع لنظم المراقبة والامتحان » .

لفظت هنا كلمتين غريبتين « انافيلاكسي » و « اكتوبلاسم » فسمحوا لي ان اشرحها قليلا واذا كان هذا الشرح خروجا عن الموضوع في الظاهر فهو في الواقع داخل فيه متم له .

في عام ١٩٠٢ كان الاستاذ ريشه على يخت البرنس دي موناكو في جولة في البحر المتوسط فخطر له ان يدرس فعل سموم بعض الحيوانات البحرية فوجد ان الجرعة الصغيرة منها لا تؤثر في الكلب اذا حقن بها ولا يصيبه منها ادنى ازعاج . ولكنه اعاد التجربة بعد ايام فكان دهشه عظيما لان الكلب الذي احتمل الجرعة الاولى بلا تعب اخذ هذه المرة يتلوى من الالم واصابه قيء واسهال ومات بعد دقائق .

## بين العجز والمقدرة

هذا الحادث استرعى انتباهه لانه جاء مناقضاً لما كان معروفاً عن  
المساعة . فان الشائع لذلك العهد ان الجسم يتعود على السم بتكرار  
التناول منه فاذا الامر هنا على خلاف ذلك لان الحيوان الذي اجري  
عليه الامتحان صار اشد احساساً منه قبلاً حتى ان الجرعة التي لم  
تؤثر فيه للمرة الاولى قتله في الثانية وقد اطلق على الحادث اسم  
« انافيلاكسي » وهي كلمة يونانية مزدوجة معناها ضد الحماية .

ولم يكن لهذا الاكتشاف اهميته الا بعد زمن عندما تولى العلماء  
متابعة البحث فوجدوا ان الانافيلاكسي اي القابلية التي يكتسبها  
الجسم للتأثر بالسم بعد ان كان متعوداً عليه لا تقتصر على السموم  
بل تتناول الاغذية كالبيض واللبن وما شاكل . واني اعرف طبيباً  
كان فيما مضى يكثر من البيض بسلا ضرر فاصبح اليوم لا يستطيع ان  
يدخل الى جوفه اثرأ منه دون ان يكتسي بدنه حمرة مصحوبة  
بأكل .

ثم اتسع نطاق البحث فوجدوا للانافيلاكسي اثرأ في الامراض  
ايضاً فتخلقها من لا شيء كالربو اي عسر التنفس والصداع وغيره .  
ولعل ينسبكم من عرف ذلك بنفسه فكم من الذين تزعجهم رائحة الورد

## بين العجز والمقدرة

الزكية فتسبب لهم الماء في الرأس بعد ان كانوا مغرمين بشهها مفرطين فيه . وفي الطب حادثة مشهورة تروى عن تاجر خيل قضى . ٤ عاما في مهنته دون ان يشكو عناء ، فاذا به يوما لغير ما سبب يصاب بعسر التنفس وصارت هذه التوبة تتكرر كلما جاء الاصطبل او استنشق رائحته .

ثم وجدوا الانا فيلا كسي في المعالجة ايضاً فاذا اضطر الطبيب الى استعمال المصل لمرضى وكان هذا المريض من قبل ذلك باسهر او بسنين قد عولج بالمصل فان ادخال المصل ثانية الى دمه قد ينجم عنه اعراض شديدة الخطر .

ولا اطيل عليكم الشرح في التعليل عن هذا الحادث الغريب او في ذكر الطرق التي اتخذوها لتلافيه ومعالجته . حسبكم ان تعرفوا المعنى المقصود بالكلمة واهمية هذا الاكتشاف .

اما الاكتوبلاسم فهي ايضاً من اوضاع ريشه ، كلكم يعلم ان اشباع السبريتسم يعتقدون ان ارواح الموتى تقدر ان تعود من مقرها فتيورنا وتحدث الينا . وبين هؤلاء عدد من فحول العلماء مثل اوليفر ددج ، وكروكس ، وكونان دويسل ، ولومبروزو ، ووليم



## بين العجز والمقدرة

بمس وغيرهم .

ومن براهينهم على ذلك ما سماه ريشه اكتبوبلاسم وهو نوع من البروتوبلاسم يخرج من جسم الوسيط medium في شكل غيمة شفاقة او بخار او شريط فيلمس الحاضرين او ينقر على اكتافهم او يضربهم في ظهورهم ويحرك الكراسي ويزيحها عن مواضعها ويتخذ صورة الوجوه البشرية او بعض اعضاء الجسم تاركا آثار ذلك في الشمع او العجين الذي يوضع لهذنه الغاية في مكان الامتحان . هذا النوع البروتوبلاسمي الذي يخرج من جسم الوسيط من غير ان تعترض دونه الثياب التي عليه ، والذي يشعر به الانسان اكثر مما يراه لا يزال موضع التناقض ومجتمع الاضداد . فهو يذوب في النور ولا يذوب ، قابل للتحليل ولا سبيل الى تحليله ، يتراجع ويختفي اذا حارل الانسان لمسه ويستطيع مع ذلك ان يحرك المقاعد والموائد . يعترف العلم بالقصور عن تفسيره ويدعي الاحاطة به في آن واحد . وقد دارت في شأنه مناقشة طويلة بين ريشه واوليفر دوج : هذا يدافع عنه ، وذلك لا ينفيه ولكنه يطلب البرهان العلمي بالبحث والمراقبة الدقيقة لا بالتفسير الروحاني .



## بين العجز والمقدرة

وقد جاءت هذه المراقبة مكذبة للحادث كما دلت تقارير الباحثين في المؤتمرات التي اقيمت لهذه الغاية ، وخصوصاً في بلاد السكندريانف واميركا وفرنسا وانكلترا . على ان ذلك لم يزعم احساب هذه المذاهب عن معتقدتهم .

ايها السادة

ان رجلا مثل هذا بلغ كما ترون من العلم والتفكير والشجاعة والاخلاص ما بلغ ، وأتم طوافه حول المعرفة البشرية كما يطوف المؤمن بالكعبة ، تخليق ان يجمع في اخريات ايامه شتى التعاليم التي استفادها ويعرض على الناس فلسفته التي انتهى اليها . وقد نشر منذ حين كتابا عنوانه « الانسان الاحمق او البليد » وهو احتجاج وشكوى على الانسانية التي لم تعرف ان تستفيد من فتوحات العلم الا للتفاني في اختراع وسائل التدمير وهدم معادل السلام . ثم اعقبه بكتاب آخر عنوانه « الانسان العاجز » وهو ما احببت ان احدثكم عنه هذا المساء .

يتناول ريشه عجز الانسان من وجوه كثيرة فيحدثنا :

اولا، عن تجزئه الكوني:

## بين العجز والمقدرة

اي ان الانسان مرتبط بجاذبية الارض لا سبيل الى التخلص منها  
ومهما سعى ومهما اخترع فهو لا يستطيع الافلات من قيد هذه الكرة  
المؤلفة من غاز وحجارة وطين . واذا سحقت احلامه يوما بالوصول  
الى المريخ او عطارد او الزهرة فان ذلك لا يجديه فتيلا ، لان هذه  
السيارات تشبه الارض في بنيتها وتركيبها . على انه من البعيد ان  
تتحقق هذه الاحلام لانه لو فرضنا ان اولادنا تمكنوا من الصعود  
الى علو ٤ آلاف كيلومتر ، فانهم يظلون تحت سلطة الجاذبية ولا بد  
ان يهبطوا الى الارض باسرع مما صدوا . ومن الغريب ان رجلا  
وقف لندوة العلوم جائزة كبيرة تعطى لمن يهتدي سبيلا الى التعامل  
مع العوالم الاخرى مستثنياً المريخ بدعوى ان الوصول اليه قريب  
الامكان . على انه لا مجال للريب ، اذا كانت هذه العوالم مسكونة ،  
في ان سكانها لا يختلفون عنا في الضعف والعجز والا لامكنهم ان  
ياتوا بما لم نستطعه ويفوزوا حيث قصرنا . فكأن المبدع الاعظم خاف  
ان يفضي اجتماعنا الى التآمر فنقلق عليه نظام الوجود ، فأثر حصر  
فساد الانسان وضلاله في هذه البقعة فلا يتمديان طبقة الهواء المحيط  
بها .

## بين العجز والمقدرة

ثم ان الانسان لا يستطيع تفسير شيء من الحوادث التي تجري حوله ، فلا يمنع الفسفور ان يتحد بالاووكسجين ، ولا العضل ان ينقبض بالتيار الكهربائي ، ولا النور ان يزيد او ينقص من سرعته كما انه لا يستطيع عند تلبد السماء بالغيوم ان يحون المطر عن وجهته .  
ثانياً ، عجزه الفردي او الذاتي :

اي ان كل ما اخرجته الناس علماء كانوا او شعراء او اصحاب صناعة وفن ، ذو قيمة نسبية . ومهما استفد رب الريشة او القلم قوي عقله وقلبه فلا يعلو كثيراً عن مستوى غيره ولا يمتد تأثيره الى بعيد .  
وكم من الكتب التي استغرقت عمر اصحابها تكس كالحصيد في المكاتب فالماكب ليست الا قبوراً . هناك بين الاوراق المصفرة تدفن اجمل احلام المجد وزبدة افكار العصور ، وكما ترتاح عظام الموتى تحت الجندل والصفائح ، تنام ملايين الالفاظ والجمال نوهما الابدي . نعم قد تجد من يفوز بعض الفوز فيقبل عليه الناس اكثر مما يقبلون على سواه مثل فولتير وراسين وهيكو ولافونتين وموسيه ، ولكن هل قدر لكل انسان ان يكون فولتير او هيكو او غيرهما ؟ لقد طوى العصر السابع عشر والعصر الثامن عشر نحواً من ٢٥٠ مليوناً من



## بين العجز والمقدرة

الفرنسيين فحفظ الفرنسي ليكون كاحد هؤلاء الخمسة المشاهير هو على نسبة واحد الى خمسين مليوناً .

خذ بيان المطبوعات في احد فروع العلم واقراء اسماء المؤلفين ثم تأمل في قلة عدد القراء . كم من كاتب لا يقرأ وهو مع ذلك جاهد وكدمعتقداً انه اخرج للناس خير ما ينتجه الدماغ البشري . ذلك لان تجدد الافكار يتم بسرعة هائلة يذسى معها الماضي مهما كان قريباً منا . ولهذا قلما يفتح الواحد كتاباً قديماً لا اكتشافه بما بين يديه .

وإذا رجع يوماً الى كتاب مطبوع منذ ٥٠ سنة واخذ عنه اعجب الناس بسعة اطلاعه ، كأن ما نقله شيء غريب مع ان المسافة بين الكاتب والناقل لا تتجاوز نصف قرن . خمسون سنة تكفي اليوم لتجعل الكتاب من آثار القدم والكاتب نسياً منسياً وربما كان ممن حلوا بالخلود .

وجملة القول ان المفكر مهما عظم واتسعت معارفه وامتدت شهرته شاعراً كان او كاتباً او خطيباً او سياسياً فعظمته محدودة وشهرته محصورة ، فما قولك بمن هم في الدرجة الثانية او ما دونها ، واي حظ لهم من الشهرة والبقاء ؟



## بين العجز والمقدرة

لا ريب ان عدد الناس كثير على الارض وهم يمرون بسرعة ومهما ادعى الفرد فهو جزء حقير من الانسانية الحقيرة ، ومع هذا كل يظن نفسه نعم الفتى جاهلاً ان المليارين مثله تقلهم هذه الارض فهو اذاً يساوي جزءاً من المليارين من المجموع اي ما يقابل الصفر .  
ملياران من الناس على هذه الكرة لا قدرة لهم على قوى الوجود مجتمعين فكيف اذا تفرقوا ؟ لا انكر ان بوذا ، وموسى ، وعيسى ومحمداً قد تركوا وراءهم اثراً عميقاً لا تمحوه رمسان العصور ، وان غليلي ، وباسكال ، ونيوتن ، ولا فوازيه ، وباستور قد فتحوا طريقاً جديدة يسير فيها القطيع البشري ، غير ان عدد هؤلاء وامثالهم ممن لم نذكر لا يتجاوز المائة في حين ان عصورهم طوت من الناس الف مليار .

ثالثاً ، دجزة الفكري :

من اين والى اين ؟ سؤال ازلي لم تنقدم خطوة في حله منذ كان البشر وكان الفكر . نحن لا نعلم كيف تتجزأ الجرثومة النامية في بزر النبات او بيض الحيوان عندما يلامسها الخمير الزراعي ؟ او بالاحرى لماذا تتجزأ ؟ لاي سبب وجدت الحياة ووجد الانسان ؟

## بين العجز والمقدرة

لماذا الاشجار والازهار ؟ لماذا الكواكب والاقمار ؟ لماذا المادة ...  
لماذا ؟ انا على هذه الارض احس وافكر واتألم فيحق لي ان اسأل  
ولكن من اسأل ؟ يحق لي ان اسأل لماذا وجودي ؟ لماذا فكري ؟  
لماذا شعوري وعذابي ؟

اما العلوم من فلسفة وطب وسواها فحالتنا كحال الاقدمين من  
حيث النتيجة . لقد بدلنا الالكترتون من الجوهر الفرد . ومن  
يدري ما يبتئى من هذا التبديل بعد ٥٠٠ سنة او مائة ؟

وجعلنا الاثير اساس المادة ولا نفهم ما هو الاثير ، وعرفنا تزوج  
الخلايا ورأيناها بالمجهر ، ولكن الرؤية شيء والتفسير شيء آخر .  
مثلنا مثل الفراشة التي تدخل ملعب التمثيل فتمر من امامها  
مشاهد وصور لا تفقه لها معنى . فنحن نرى تجزأ البيضة مثلا ولا  
ندرك القوة السرية الكامنة في حبيبات الحويصلة منتظرة ان تدق  
الساعة لتنتقل من قيودها . قوة هائلة ولا ريب لانها تخرج من هذه  
الحويصلة سنديانة او فيلا او رجلا عظيما كميكل انج .

نعم قد يمكن الذكاء البشري ان يرتقي ولكن اين الدليل ؟  
اجمعوا سكان لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وبرلين ، وكلكوتسا ،

## بين العجز والمقدرة

ورومة ، وباكين تجدوا ان عدد المفكرين في هذه العواصم يفوق  
مائة الف مرة ما حوته ائتنا في ابان عظمتها . فهل قام بين هؤلاء  
في مائة عام مثل سقراط ، وافلاطون ، وبرقليس ؟

وهل ادل على العجز الفكري من اغلاط الماضي وهفوات  
العظام . من القول بثبوت الارض الى العناصر الاربعة ، الماء والرياح  
والتراب والنار ، الى الاخلاط الاربعة ، البلغم والصفراء والسوداء ،  
الى اضطهاد المرضى وحرق السحرة والشيطانيين ، الى غير ذلك من  
عقائد وخرافات متأصلة في نفوس البشر .

رابعا ، عجزه الاجتماعي :

وذلك ان الانسان لم يوفق على الرغم من نظمه السياسية الى  
انشاء اتحاد عام بين الامم . وما الوطنية التي تقباهى بها الآفة الاخاء  
العام ، لانها حد فاصل بين الشعوب تمنعها من ان تتصافح . لقد بلغت  
تفقات الحرب الاخيرة مائة الف مليار ، وبجزء من هذا المال كان  
في الامكان محاربة السكر والسيل والزهري ومد السكك الحديدية  
في افريقية وتوسيع نطاق الصناعة والزراعة بدلا من استخدام الحديد  
والنار لسفك الدماء وحرق الديار .



## بين العجز والمقدرة

خامساً ، عجزه الفسيولوجي :

أي ان الروح مرتبطة بالجسد خاضعة له . والذكاء والارادة  
والعواطف هي عبيد الدم والقلب والامعاء . حسبك ان تجلس انفاك  
نصف دقيقة لتتحقق ذلك وتبدأ كد حاجة الروح الى اوكسجين  
الهواء . هذه الروح التي تصبو الى النهاية تحتاج الى عشرين لتراً من  
الهواء في الثانية . وبهذا الهواء لا بغيره تستطيع ان تنشر اجنحتها .  
فقوانا الاديبة اذا معلنة بمقدار الاوكسجين الدائر في الرئتين .  
فضلا عن ذلك لا سبيل للارادة ان تغير من حالة الجسم او شكله .  
فاذا كان طول القامة متراً ونصف متر فعلى الروح ان تسكن هذا  
الجسم القصير ، واذا كانت الاذنان كبيرتين منحرفتين عن الرأس  
فعلى الروح ان ترضى بذلك . وهي اي الارادة لا تقدر ان تؤخر  
ساعة الموت ولا ان تحدد جنس المولود قبل ان تتم عليه جناية  
الوجود . وبخلاف ذلك فان البدن يجبر الارادة وراءه فتهرم الروح  
بهرمه وتضعف الذاكرة ويخبو الذكاء ويتضاءل سمع الانسان  
ويصره فيقول مع الشاعر :

أواه لو عرف الشباب وآه لو قدر الشباب



## بين العجز والمقدرة

سادساً، عجزه الادبي:

لان الانسان طوع اهوائه وعبد شهواته ومهما مرن قوته الذاتية المعبر عنها بكلمة «انا» فاستطاع السيطرة على الافعال المنعكسة حتى اذا غضب مثلا امكنه ان يلجم غضبه فلا يندفع الى الضرب او الشتم فان هذه القوة الذاتية ضائعة عند السكر امام زجاجة الخمر والمقامر امام مائدة اللعب والجبان امام الوعيد والخليع امام المرأة .

هذه هي خلاصة «الانسان العاجز» عجزاً كونياً فكرياً اجتماعياً فيولوجياً أدبياً . وقد تعتمد المؤلف الصراحة كما ترون فجاء كتابه مرأ الا انه لا يخلو من الجاذبية. لانه ضم بين دفتيه خبرة وعلموا كلها تطبق انطباقاً تاماً على ما نشعر به كلما ولينا الفكر شطر هذه المسائل الغامضة .

غير اني لا احب ان اقف بكم منه موقف اليأس فلا تسمعوا سوى صراخ النفس المتأللة والفكر الحائر والامل الخائب . ولو لم يكن الا هذا في الكتاب لما كانت بي حاجة لان املك الوقت عليكم هذا المساء ، وازعج نفوسكم بالاصفاء الي . ولكن الى جانب هذه القيود الثقيلة التي يرسف بها الانسان، اجنحة خفاقة تسمو به احياناً الى بعيد

## بين العجز والمقدرة

الآفاق . واذ كنا حتى الساعة لم نعرف غير الدائرة الضيقة التي يتخبط في ظلماتها فهناك غير منفذ يصل منه الى النور والحرية كما سترون .

لا جرم ان اللسان أعزل امام قوى الوجود وهو يشعر ان حياته وميض برق بين لانهايتين ، او كما يريد البعض بين عدم سابق وعدم لاحق ، ولكن الحياة التي قبلها على الرغم منه صارت عزيزة عليه ، وحسبه ان يعرف استنثارها ليحيطها بكل ما يستطيع من جمال ولذة . فاذا كان اسيراً لجاذبية الارض فان بسين يديه ما ينخف وطأة هذا الاسر بما يتمتع به من جبالها وبحارها واوديتها وانهارها ، وما تسكبه الشمس عليها من حرارة ونور تنتعش بها جزرها الضاحكة وغاباتها الغضة ورياضها الفيحاء . اما تلك السرج المستطيرة في الفضاء فلتبق محجبة الاسرار بعيدة المزار يكفيه ما ترسله اليه من اشعتها الساحرة التي تخلع الجمال على احلامه وتجعل لياليه بهجة ايامه . وما يقال عن عجزه الكوني يقال مثله عن الفردي فان الشهرة والمجد والغنى امور لا ترتبط بها السعادة . انا ياسادة ( والمراد باننا كل واحد منكم ) ماذا يهمني بلغت

## بين العجز والمقدرة

شهرتي الآفاق ام لا . حسي في الدائرة الصغيرة التي اعيش فيها ان  
يكون من حولي اخوان احبهم ويفهموني . هذان روثلد وروكفلر :  
ان للواحد منهما من الثروة ما يجعله في طبقة فوق البشر بالنسبة الي ،  
افيعت اليأس في فؤادي اني لا استطيع ان اتفق مثلها مليوناً في يومي ؟  
ومنذ الني سنة قال ايبكور : «السعادة في التناعة» وهذا معنى قول  
الشاعر العربي :

والنفس راغبة اذا رغبها واذا ترد الى قليل تقنع  
اما النسيان الذي يقع فيه العالم والاديب فلا اجده حاجزاً دون  
الهناء مهما بالغ « ريشه » في وصفه ، وما يضر الكاتب ان تدفن بنات  
افكاره من بعده . فقد كان له منها ساعة روح ورضى وتعزية ، وهي  
على كل حال اطول منه اياماً واثبت على الدهر مقاما .  
ثم ان العجز نسبي ، فالانسان لا شيء اذا قيس بالكوكب  
ولكنه تظيم ازاء دودة الارض . على ان ثمة امراً آخر تهون في  
سبيله الصاعب والمتاعب ، ولا اخالكم تجهلون او تنسونه . عنيت  
بذلك الحب :

الحب اعذب ما يقال ويشتهى وألذ ما نظم الزمان وينظم



## بين العجز والمقدرة

اجل ، اذهبي يا شهرة وتبدد يا مال واندي ايتها الترائح مجدداً  
زائلا وعاماً باطلا ، فالحياة جميلة في كل حال ما دام لها من الحب ظل  
تأوي اليه او نور تحوم عليه .

اما العجز الفكري فربما كان اهم حالات الانسان الا انه ليس  
اصعبها معالجة . ومن تأمل في الاطوار التي تغلب فيها العقل البشري  
والخطى الواسعة التي خطاها ، والعقبات التي ازالتها ، والخواجز التي  
دكها لا يسهل الاستسلام الى اليأس المطلق .

نعم ان العلم لم يجلب السعادة للبشر ، وما ازال اذكر الضجة التي  
قامت حول برونتيار منشيء مجلة العالمين عندما قال بافلاس المعارف  
البشرية . ولكن هناك منافع جمة جاءتنا عن طريق العلم ولا سبيل  
الى انكارها الا اذا كنا لا نحسب حساباً للالم وما خف من وطأته  
والاوبئة وما تقلص من ظلها . ولم يكن تواري شبح المجاعات عن  
الارض شيئاً مذكوراً .

ثم اننا لم نبلغ من التقدم في المعرفة ما يحملنا على الحكم اننا وقفنا  
عند الحد الاقصى فلا سبيل بعد اليوم لان نعرف اكثر مما عرفنا .  
ولو ان احداً قام في عصر نوبس الرابع عشر وقال ان في الامكان



## بين العجز والمقدرة

ان يسمع في روما صوت من يتكلم في باريس ، او ان يرى ما في باطن الجسم الحي ، او ان يحفظ جراثيم الامراض في انايب من زجاج او ان يحمل الهواء ٥٠٠ مدفع تنقل بسرعة ٣٠٠ كيلومتر في الساعة ، لو ان احداً قال هذا القول في ذلك العهد لعد مجنوناً .

كنا بالامس لا نفهم السبب الذي من اجله يحسوم الفراش على النور فيرى فيه منبته ، فقام احد علماء الفرنسيين واسمه « ستان لديوك » وفتح في عرض تجاربه باباً جديداً للتعليل عن ذلك ، وهو انه وضع مذوب الملح في زجاجة وعرض نصفها للنور وابقى النصف الآخر في الظلمة ثم القى فوق المذوب قطرة من الماء الملون بالحبر الاسود ، فكانت دقائق المسادة السوداء تتحاشى المكان المضيء من الزجاج وتتجمع في القسم المظلم . وهذا ما يقال له الفوتوتروبسم اي الدورة حول النور .

هذه الدورة موجودة في النبات كما ترون في بعض الازهار التي تميل ابدأ الى جهة الشمس ، وفي الحيوان ايضاً وهي ايجابية وسلبية ، اي منها ما يكون انجذاباً الى النور ومنها ما يكون نفوراً منه . فجاء «لوب» وبنى عليها رأيه في الفريزة فقال: ان السبب في حومان الفراش

## بين العجز والمقدرة

على النور هو وجود مادة في عبونه تتأثر بالنور كما تتأثر مادة الحبر الاسود الا ان التأثر هنا ايجابي ، وفي الحبر سلبي . وهذا الأثر ينتقل من طريق العصب المركزي الى العضل فيحرق كحما في جهة معينة . فما السليقة في نظر لوب سوى تفاعل كيميائي ، وكل امال الانسان واحلامه ويأسه وآلامه وما فيه من آداب وفضائل وعيوب ووزائل اصله في غريزة تشبه الفوتوترو وبسم .

ولا احاول البحث هنا في هذا الموضوع والانتصار لمذهب لوب او تقيده ، ولكني ضربته مثالا من الامثال على المنافذ الكثيرة التي يستطيع العقل ان يطل منها على الحقائق المجهولة . فان البحث العلمي كثيراً ما يقود الباحث من طريق الاتفاق الى اكتشاف غير الذي كان يتوقعه كما في الاناقيلاكسي التي ذكرتها في صدر هذا المقال وكما في غيرها . ولهذا لا يحق لنا ان ندعي افلاس العلم في حين اننا لم نتجاوز الشاطيء من هذا البحر العجاج . وربما كانت بهجة الحياة في اننا نتقدم خطوة بعد خطوة في حل رموزها وكشف خباياها . لانه اذا ازيج الستار دفعة واحدة عن كل ما نجعله ولم يبق لدينا من الاسرار ما يشغل الفكر وينفق في سبيله الوقت صارت الحياة تافهة

## بين العجز والمقدرة

لا لذة لها ولا قيمة .

نعم كل هذا لا يحل اللغز العظيم الذي هو مسألة المسائل، ولكننا لن نكون اقدر على حله يوم نصل الى المريخ ، او يتسنى لنا تحليل تجزؤ البيضة ، او نقدر على تغيير سرعة النور . واذا عرفنا يوماً من اين اتى الانسان والى اين يذهب فن يؤكّد لنا ان في قض هذا السر خيراً للبشر ؟

واما في العجز الفسيولوجي اي ارتباط الروح بالبدن وخضوعها لرغائب المادة ففي الامكان ايضاً تخفيف وطأته .

والظاهر ان ريشه ادرك عند هذا الموقف مبلغ اليأس الذي يصيب القاريء من جراء كلامه ، فاحب ان يريه بصيصاً من نور الامل ، فقال ان من الجنون ان نجعل هذا العجز الفسيولوجي شغلنا الشاغل فاذا قضى سوء الطالع مثلاً ان يكون الواحد منا قبيح المنظر فما عليه الا ان يبعد المرآة عن نظره كي لا يتذكّر حقيقة خبره: كلام جميل، ولكن العمل به صعب ولا سيما في هذا العصر الذي اصبحت فيه المرآة من لزوميات الحياة. وهب الرجل استطاع الاستغناء عنها ، فهل للمرأة من سبيل الى ذلك وهو رفيقها الدائم في البيت والشارع والنادي



## بين العجز والمقدرة

والخانوت والمجلس والكنيسة ، اذا ركبت واذا مشت ، عندما تتحدث  
وعندما تسكت ، قبل ان تنام وبعد ان تستيقظ ؟

هذه الصفحة البراقة التي ترسم عليها حمرة الشفاء ، وخضرة  
الجفون ، ولا تزال موضع النجدة كلما اردنا التزويق والتحسين لستر  
عيوب الحلقة او ذنوب السنين ، اي بد تقوى على بندها او كسرهما  
واي فؤاد يصبر على هجرها ؟

المرأة والمرأة موضوع جميل فيه متسع لخيال الشاعر والمصور .  
ولا اخال ريشه وهو من الشعراء يقصد الى الفصل بينها ، ولكنه  
اراد ان يكون الانسان على شيء من الفلسفة في معيشته ، فيتحصل  
برضى وصبر حالة او جدته فيها الطبيعة ، لان الرضى والصبر كما قال  
زنون من شروط السعادة .

واما المرض والشيخوخة والموت ، فقد اشغلت من قبلنا بوذا .  
ومن اجلها اعتزل العالم ليحلّم بالخلّاص الابدي Nirvana . الا  
ان العلم قد هدانا الى تخفيف المرض او اجتنابه والى التغلب على الهرم  
باتباع قواعد الصحة في الغذاء والكساء والعمل والراحة . على انسا  
كما قلت لا نعلم المدى الذي يمكن الانسان اجتيازه في تغيير شرائع



## بين العجز والمقدرة

الطبيعة عندما تبوح بأسرارها. فان تقدم الجراحة والطب والبيولوجيا  
والكتشفات العجيبة التي انتهينا اليها في جسم الانسان من وظائف  
الغدد وخواص الدم ونتائج التلقيح وغيرها ، كل ذلك شعاع نافذ في  
دياجي العقول وكوة مفتوحة على عالم المجهول .  
عاجز هو الانسان ولا ريب ، لانه انسان لا اله . غير انه لم يقف  
مكتوف اليدين امام هذا العجز ، ولا استثنى عجزه الاجتماعي  
والادبي . وهؤلاء هم المخترعون والمصلحون والابطال لم تذهب  
حياتهم سدى ومعاهد العلم والتربية والاحسان على اختلافها وجمعيات  
التهديب والاصلاح جهود محمودة في سبيل الع.ران . واني من  
المؤمنين بصلاح البشرية ، والناظرين الى المستقبل نظرة رجاء ويقين .  
ولا اجهل ان الحسد والرياء والبغض اخلاق راسخة فينا . واعلم ان  
التزاع بين الافراد وبين الامم سيبقى الى اجل لا يعلمه الا الله .  
والى اجل لا يعلمه الا الله ستجد الرذيلة مأوى لها حتى في اشرف  
القصور ، والفساد مدياً له حتى في اطهر الصدور ، غير ان هذا لا  
يمنع العقل ان يزيد اشراقه والعلم ان يتسع نطاقه . حتى تعدى  
الانسانية طورها الحاضر بما تملك من زمام العناصر . واذا صح عن

## بين العجز والمقدرة

الدنيا ما يقال عن الحب وهي انها كبعض الفنادق الاسبانية لا تقدم للزائر الا ما يجلبه معه ، فالانسان النازل فيها لا يجد الراحة الا فيما يحمله بين جنبيه من جميل التربية ليعرف ان يتمتع بملذات الحياة مع المحافظة على نظام الادب الاجتماعي .

وعلى ذكر الادب الاجتماعي اقول ان هذا الادب ليس لمفظة فارغة كما يعتقد البعض ، او حالة وهمية تختلف باختلاف السلائل والقبائل والمكان والزمان ، او اتفاقا موضوعا على اعتبار هذا الشيء حسناً وذاك قبيحاً ، وان ما يحرم في المدن يحلل في القرى ، او ما يمنع في الصغر يباح للانسان في كبره ، كلا ، ان هذا الاعتقاد فاسد فالشرعة الادبية لا تتغير ابداً .

خذ حجراً ايان كنت في مصر او لبنان او اميركا ، ودعه يفلت من يدك فانه يهوي الى الارض بحكم الجاذبية . وانظر الى المطر حيث انهمر تجده منحدرأ عن المكان العالي لا صاعداً نحوه .

فالسرقه شيء محرم والكذب امر مكروه ، لا لان هناك وصايا دينية او احكاما مدنية تعاقب السارق والكاذب ، بل لان السرقه والكذب من الاعمال التي تفكك عرى الحياة وتزعزع اركان الاجتماع .

## بين العجز والمقدرة

الشرعة الادبية ليست في قبضة الانسان ، ولا طوع ارادته . كما انه ليس في اختياره ان خبزاً كان طعامه لا حصي ، ولكن الخبرة علمته ان بعض حالات المعيشة خطأ ، وبعضها صواب فخرج من خلال خبرة العصور حكمة تتناقلها الاجيال . وهذه الحكمة هي المشكاة التي يجب ان نستنير بها في ظلام المعتك الحيوبي . وهي تتساول تصرفات الانسان بالنسبة الى نفسه والى الاخرين .

فكما انك اذا اهدي اليك عصفور وبطة لا يخطر على بالك ان تضع البطة في القفص وتطرح العصفور في الماء ، فالحكمة تعلمك ان تضع كل شيء في مكانه لتحفظ التوازن في حياتك ولا تكونن من الخاسرين .

وخلاصة القول ان الانسان على الرغم مما ألم به من المصائب لم يعدم سبيلا الى البقاء والارتقاء ، كان فقيراً فاعتنى وجاهلاً فتعلم وضعيفاً فقوي واشتد . ومن ظلمة ماضيه البعيد وصل الى قمة رقيه الحاضر فاتحاً امامه ابواب المستقبل النير .

هذه هي الخطرات التي أثارها في الانسان العاجز . فما كدت اطبق الكتاب حتى تراءى لي العنوان محرفاً . فاذا بي اقرأ «الانسان القادر» .





## جمال لبنان

من غرائب المعاكسات التي ترافق الانسان في ادوار حياته كأنه صوت خفي ينذره ابدأ انه مسير لا يخبر ، هو اضطراره في كثير من الاحايين ان يلبس غير اللباس الذي يشتهي . هكذا الواقف امامكم هذا المساء ، فقد خلقت محباً للعزلة والانفراد، فقضي علي ان اتعاطى الطب ، وهو كما تعلمون مهنة لا تعرف العزلة والانفراد ، وخلقت صموتاً افضل السمع على الكلام ، واميل الى التأملات والاحلام كالكثير ممن تنطبع في نفوسهم سماء هذا الشرق الساحر ، فطرقت باب الخطابة يوماً فاذا بي محمول على اجنحتها في كل آن وفي كل مكان تارة في مصر وطوراً في لبنان .

والذي زاد في بليتي هو صديقي مطران . لاني كلما دعيت الى حفلة واعتذرت قيل لي مطران قبل فيجب ان تقبل . مطران كريم بكل

## جمال لبنان

معنى الكلمة، فهو لا يرفض طلباً ، فاذا دعي من لبنان لبي ، واذا دعي من حلب اسرع ، واذا دعي من بغداد طار .

هذه مزية لا انكرها عليه ، ولهذا كم تمنيت لو كان مطران غنياً بدلا من ان يكون ادبياً ، فان عشاق الادب قليلون فاذا حرموا من اقواله ، فالفقراء كثيرون وهم في حاجة الى ماله .

على اني اليوم خالفت عاداتي ، فلم تكن دعوة الجمعية اللبنانية الا لتجلب سروري ولم اشعر عمري بارتياح الى الكلام مثل هذه المرة ، ذلك لان حديث الوطن شيق يا سادة ، ولاني في هذا النادي الحافل بادباء القطرين الشقيقتين اجد نفسي بين قومي واخواني وهي فرصة من الدهر انتزها لتحية القاهرة عاصمة الفضل والادب والمعدل الباقي على الدهر للسان العرب .

لبنان !  
ما اعذب المعاني التي تضمنها هذه الكلمة وما اكبر المشاهد والصور التي تتعاقب على الذهن عند التلفظ بها !  
في الجانب الواحد تاريخ مجيد ملوء عظات وعبر تمتزج فيه دموع اليأس ببساتم الظفر . حروب الفاتحين وغارات الغاصبين ومذابح

## جمال لبنان

الاضطهاد باسم الدين .

وفي الجنب الاخر جمال الطبيعة وجلالها : قن عالية واودية  
بعيدة الغور وجرود وغابات حول اكواخه وقصوره . وعيون كالزلال  
تتفجر من بين صخوره ، واشجار الصنوبر والبلوط والتوت وكروم  
العنب والتين والزيتون على معاطفه وخصوره .

لبنان مهبط الوحي ، عرين الاسود ، ملاذ الحائفين ، موئل  
المرضى والمصابين يتمثل لي كالشيخ الوقور الحنون عاطفاً على ابنائه  
ضاحكا لضيوفه باسطاً ذراعيه لمتعبي الحياة ليأوي الى ظله الوارف  
قيرويه من سلسيل مائه ويشفيه بعليل هوائه .

ايها السادة

في هذه الايام التي هزت الامم فيها نهضة عامة نحو الرقي والاستقلال  
لا عجب اذا قام ابناؤه مع القائمين يدافعون عن استقلاله ويطالبون  
بتحقيق آمله . من الصين واليابان ، من العالم الجديد والقديم ، من  
الهند ومن مصر اصوات ترتفع وايد تبسط ومال ينفق في سبيل لبنان .  
ابناؤه المهاجرون يمنون من وراء البحار الى ارضه الخالد ويصبون الى  
سمائه الساحرة وارضه الطيبة . حياكم الله يا اخوان المهجر الذين لم

## جمال لبنان

تقصر بعد المسافة ايديهم عن ان تمد اليه فتسند في ضعفه وتكفكف  
دمعه في بؤسه وتحبي امله في حالة يأسه .

وما الجمعية التي نلبي دعوتها اليوم الا صوت من تلك الاصوات  
التي تتعالى للدفاع عن لبنان والدعوة لحب لبنان وهي تقوم اليوم  
بنصرة اعم عمل ينتعش له قلب هذا الجبل ، لان الاصطياف كان ولا  
يزال المورد الوحيد لتتفيس كربيته وتوفير ثروته .

اجل يا سادة ، ان لبنان لم يخلق للسيف بل للمحراث ، لم يوجد  
للقنص والحروب ، بل للسلم والاخاء ، وغاباته التي كانت تصنع منها  
اساطيل البحار تدعو اليوم المرضى والمتعبين ليدوقوا فيها عذوبة  
السلام .

ففي حضان الطبيعة الهادئة قد خبأ للانسان اكسير الحياة الذي  
يجدد على الدهر شبابها . هنا اللقاح العجيب الذي لا يحتاج معه الى  
مبضع الجراح وعلم الطبيب .

في هذا الفردوس المنظور اله لا ينظر يوزع على زائريه الصحة  
والقوة . اله خفي نسميه طيب المناخ يملأ ارضه وسماؤه ويبارك هواءه  
وماءه . ستة اشهر متواصلة يجد فيها من اراد راحة الفكر والبدن



## جمال لبنان

والعافية التي لا تقدر بمن . ولقد شهد من زاره فيما مضى ان ما  
يقال عن جماله غير مبالغ فيه، ناهيك بشهادة نطاسينا العبقرى الدكتور  
علي بك ابراهيم فيى واحدة بمقام الف . وهو يفضل مصايف اوروبا  
من وجوه كثيرة : اولاً ، قرب المسافة . ثانياً ، مدة الصيف الطويلة  
لا يشوبها عواصف ولا رعود ولا امطار . ثالثاً ، ما اشتهر به اللبناني  
من النظافة وكرم الضيافة . رابعاً ، ان المصري اذا نزل في لبنان لا  
يكون غريب الوجه واليد واللسان .

وان انسَ لا انس شبابا طويته بين سهوله وحزونه واحلاما  
سموت بها فوق صنيته ، فلم يبق منها اليوم سوى ذكرى الشاعر  
وحبته :

اقت بلبنان زماناً حبسته      نعماً كذا في جنة الخلد تنعم  
على قم تصبيك من كل جانب      مناظرها والوحي فيها محوم  
اسير وحيداً هائماً في هضابها      ومن حولي الاشجار ظل مخيم  
وللريح في الاوراق فوقى نعمة      وللشمس في الحصباء حولي تبسم  
ومن تحت اقداهي وهاد كأنها      طراز من الغسابات اخضر معلم  
وصنين يدو شاغخاً تحت ثلجه      كأن مراقبه الى النجم معلم

## جمال لبنان

مشاهد لو خيرت ما اخترت غيرها بعيداً عن الانسان والبعد اسلم  
هنا كل شيء خالص من شقائه له الحب سور والسلامة معصم  
ولا حسد فيها ولا حرب حولها وليس بها لولا احمرار المسادم  
ايها السادة

كنت اود ان ابقى محمولا على اجنحة الخيال فلا اريكم الا جمال  
لبنان ولا احدثكم الا عن صفاء لبنان، ولكن الحقيقة القاسية تجذبني  
اليها ولا احاول ان اكتبها عنكم، فقد قلت في بدء حديثي ان هذا  
الاجتماع لا يضم الا اخواناً فكان من العدل ان اكشفكم ما في نفسي  
واطلمكم على حقيقة املي وبأسي .

في لبنان اليوم روح غالبية عليه هي الطائفية، ولقد زرته منذ  
سنتين بعد غياب طويل فهالني انتشارها وحاربتها من على منبر الجامعة  
الاميركانية، داعياً قومي الى العمل على قتلها، ولقد كان من  
استحسانهم يومئذ وتخليهم لدعوتي ما جعلني قوي الامس، غير ان  
الاخبار التي تحملها الينا جرائدهم كل حين، لا تحقق ذلك .  
وآخر هذه الانباء ان عدداً من نواب الموارنة عقدوا اجتماعاً في  
بكر كي، فقابلهم بالمثل نواب المسلمين واجتمعوا في بيت زعيمهم .

## جمال لبنان

مها كانت العناية الظاهرة من هذه الاجتماعات اي المحافظة على استقلال لبنان بحدوده الطبيعية فان مثل هذه الامور لا تبعث على التفاؤل .

ولا ادري من ألوم على تأييد هذه الروح ، أخكومة الانتداب ، ام الحكومة الوطنية ام الزعماء وقادة الافكار .

على اني احمده الله انها طائفية موضعية لا يتبدى اثرها الى الخارج بدليل ان هؤلاء الذين يوقدون نارها فيتفرقون في السياسة شيعاً واحزاباً تجدهم كتلة واحدة عند اكرام الضيف والاحتفاء بالغريب ، طائفية لبس لها الا الوظيفة غايبة وسبباً .

غير ان هذا لا يمنع المهاجرين ان يتأثروا ويحزنوا لسا يجري في بلادهم ولا سيما نحن المقيمين في مصر ، فيبدا نرى الوطن الثاني قد خلع عنه الزياء العتيق رداء التعصب ، فاذا باجراسه وما آذنه تسبح باله واحد ، اله الحب والاخاء ، نجد ذلك الوطن الاول لا يزال تحت نير التقاليد القديمة مغلوبا على وجدانه يفسد التعصب حكمة شيوخه ويزرع البغض في صدور فتياته .

ومراد النفوس اصغر من ان تتعادي فيه وان تتفاني



## جمال لبنان

من لآخواني في لبنان بسعد زغلول ثمان ، يهدي نقوسهم الحائرة  
ويوحد بين قلوبهم المتنافرة ويجمعهم امة واحدة تحت رايته الطاهرة .  
متى تدق الساعة لرجل الساعة فينفض بهذا البلد العائر ويفتح  
امامه ابواب المستقبل المنير ، فينجلي ليل هذا الشقاء عن اعمال ومشاريع  
وعمران تتحسن بها حالة البلاد الاقتصادية فتكثر الايدي العاملة وتقف  
سبل المهاجرة وتفرج تلك الضائقة التي اتى عشر سنوات عليها بعد  
الحرب ولا يزال ضغطها شديداً على ذلك الجبل وسكانه .

نحن لا نبأس من رحمة الله وننتظر بصبر ذلك اليوم المجيد . اليوم  
الذي لا بد منه . اليوم القريب ان شاء الله ، وفي حالة انتظاره نعمل  
الواجب في دائرة المستطاع ، وهو ان نعنى بالاصطياف ما امكن ،  
ونسهل له الوسائل ما وجدنا اليها سبيلا . وبذلك نحكم عرى الالفه  
بين هذين البلدين اللذين خلقا ليكونا بلداً واحداً وكل ما حولنا  
يدل عليه ، التاريخ والنسب واللغة والعادات : مصر ولبنان . هذا يكمل  
ذاك ، هنا السهول المنبسطة والمروج الخضراء والتربة الخصبة المباركة  
وهناك الصخور الشام والاشجار الغضة والهواء الحبي . هنا شتاء  
يقيك برد الشتاء . وهناك صيف ينسيك حر الصيف .



جمال لبنان

فيا كرام هذا الوادي

هلموا الى تلك الجبال فانه  
لکم وطن فيها واهل واخوان  
وابناؤها تشاقکم كل حجة  
كما اشتاق وبل المزن روض وبستان  
اذا فرق الشرق السياسة والهوى  
فمن فوق ذا التفريق مصر ولبنان

الكاتب

من لا حوائج في لبنان مستوطنون كما زعموا الله يولي اية  
 قواهم ان والسما واليه واليه واليه واليه واليه واليه  
 واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه  
 واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه  
 وقران تحسن يا حاك البلاد الاصلية فكذلك الاصلية كانت التي  
 على الهجرت وتفرقت الطائفة التي انما عشرت من ان الهجرت  
 الطرية والايوان منها تنبها على ذلك الحيل وسكانه  
 من الاصلية من راحة اهلها تفرقت وتفرقت اليوم الهجرت اليوم  
 الذي لا يدعها اليوم القريب ان شاء الله يولي حيا انظار كليل  
 الواجب في داره السطوح وحرر ان من الامم انما لم تعطين  
 وسورة الوصال حيا وسما اليها سولا - وذلك كما جرى الاذلة  
 بين حادي الشين الكون حقا ليكولها وانما وكلها حيا  
 يدان حيا واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه  
 فان حيا العيون الكينة والروح الحضر له والزهرة الحسية للباركة  
 وحيا السحر والشهاد والانهار الحية والكون الحيا حيا حيا حيا  
 واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه واليه

## ذكرى الامير فؤاد ارسلان

ايها السادة

يذكرني هذا الموقف عادة عند اليونان الاقدمين فهنالك على شواطئ الارخبيل جزيرة صغيرة يقال لها تدوس ، كان يختلف اليها القضاة حيناً بعد حين للحكم في مباراة الجمال ومكافأة الفائزين . وكانت الغاية من ذلك تمجيد الرجل الذي يدل جمال ظاهره على جمال باطنه ، الرجل الذي تنم ملامح وجهه الصافية على طباع لا تقبل عنها صفاء من شجاعة وادعة وثقة بالنفس وخلق كريم ، وبالجملة الرجل الذي يمكن ان يقال عنه هو جميل قوي يحب وطنه ويعرف ان يدافع عنه .

واليوم امام هذا التمثال ، بالقرب من شاطئ المحيط ، في هذا السهل الذي يشبه الجزيرة ، عندما اذكر تلك العالمة الشريفة والوجه

## ذكرى الامير فؤاد ارسلان

الصبيح والأعين البراقة وما كانت تشف عنه من شمم واباء وجرأة  
واخلاص وتقان في حب الوطن والدفاع عنه انساء هل كان هذا  
الاحتفال الا صورة لذلك التمجيد ، وهل نحن الان نجدد من حيث  
لا ندري عادة اليونان الجميلة فنكرم الفائز في ميدان الوطنية .

اجل ياسادة ، انا اعتقد ان الامير فؤاد ارسلان لو كتب له ان  
يعاصر ذلك الجيل لكان في طليعة الفائزين الذين يستحقون اكرام  
الوطن ، ولا ادري وايم الله ما يكون جواب معاصريه للاجيال الآتية  
اذا تساءل الابناء يوما لماذا خذل الامير في آخر ايامه ولم يكن يستحق  
الخذلان . ولعل في هذا التكريم وان جاء بعد موته ما يشفع بنا امام  
تذكاره وامام الضمير وامام الذرية .

ايها السادة

ان في حياة الامير فؤاد وموته عظة وذكرى . هو ارانا في الحياة  
كيف تكون الخدمة حتى التضحية ، والجمهور ارانا في موته كيف  
يكون الاخلاص حتى العبادة ، وكلا المظهرين يمثلان لنا اشرف  
عواطف النفس : صنع الجميل وعرقان الجميل . وقد كان الاولى بي  
وقد رفع الستار عن تمثاله ان انصت مع المنصتين واترك لكم مجال



## ذكري الامير فؤاد ارسلان

التأمل والاصغاء لهذا الخطيب الصامت ، ولا سيما لان كلامي فيه قد  
 بعد تحصيل حاصل فما جئتم الى هنا الا علماً بمن تكرمون وايماناً بما  
 عنه تعرفون فاي جديده في تتظرون؟ ولكن الامير فؤاد من الذين  
 يحلو الحديث عنهم كل حين ، واذا فاتني يوم انتقاله ان اضع على راء  
 اكليلا من الزهر فلا يفوتني يوم تمثاله ان انظم لذكراه اكليلا من  
 الشعر :

\*  
 رأيتَه وقد استوى الضدان صلب الجهاد ونضرة الانسانِ  
 شمس الاصيل تلوح في برديه ام هو نوره طفحت به العينان  
 ام تلك نار ضلوعه ردت له في المعدن المصهور بالسيران  
 \*  
 يا حاملا لبنان طي فؤاده هل كنت الا القلب من لبنان  
 هذا مثالك والضربح ازاء فكأنه فوز على الاكفان  
 فوز على لحد طواك فساطوى الا التراب بظلمة النسيان  
 ولئن صمت فدون صمتك لم يزل صوت الخطيب يرن في الآذان  
 حتى يخال الناظرونك بانه شفتاك هذا اليوم تحتلجان

ذكري الامير فؤاد ارسلان

افؤادُ والاخلاص فيك سجية    انظر تر الاخلاص في الاخوان  
يوم الرحيل بكوك واحتفلوا له    واليوم للقياس احتفال ثان  
سلبتك منا الارض في آذارها    ففلبتها ورجعت في نيسان  
واقمت في صحراء خلدة هيكلا    للمجد يرعى نوره القمران  
ترنو الى البحر المحيط محدثاً    كاللوج عمسا فيك من جيشان  
وتبت في الغاب الحلي كوامنا    من حرقة في صدرك الوهلان  
اعيا باطيل الحياة وردتها    حب تأصل فيك كالايمان  
حلقت في آفاقه متجاهلا    خطر الصواعق وهي منك دوان  
وكذا السياسة لا تراعي صاحباً    جعل الكرامة فوق كل مكان

\*

أهلت بقربك خلوة احببتها    فكأنها ملائ من السكان  
في جوها وصخورها ورمالها    أر من المعروف والاحسان  
يفد الحجاج اليك تحت لوائها    مستمطرين سحائب الرضوان  
يتذكرون وهم وقوف خشع    في ساحتك مواقف الشجعان  
ايام كنت وانت في نوابهم    سيف رقيق الشفرتين يمانى

\*

ذكري الامير فؤاد ارسلان

اليوم سالك الزمان فبت في حرم تسان به من الحرمان  
فتطيب روحك في ربي لبنانها وترف في الوادي وفي البستان  
تلقي على الاوطان درس مجاهد لم يرض الا المجد للاوطان  
درس اذ فات الشيوخ بامسهم فعداً يرد صدهاء في الفتيان :  
« لبنانكم وطن الجميع فوحدوا مسعاكم فيه الى العمران  
لا تفرقوا درزيه عن جاره لا مسلم فيه ولا نصراني »

\*

افؤاد نحن على ولائك ، لم نزل يرعى القصي عهوده والداني  
يفني الزمان الجسم اما ذكرك الغالي فليس على الزمان بغان

تلك الايام التي كان فيها

انما كان في اولها من السنين وحده  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين

انما كان في اولها من السنين وحده  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين  
 والتسوية في اقلها من السنين



## زهرة الاحسان

ايها السادة

لقد اتيح لي في زمن من الازمان ان اكون طيب هذه المدرسة،  
فكنت اشهد عن كسب رقيها وازدهارها واحضر حفلاتها السنوية  
ورواياتها التمثيلية، وارى كل عام زهرات ناضرات تودع هذا  
البستان لتتقبل حياة البيت والعالم فتكون فيه قررة للعيون وبهجة  
للنفوس ومثالا للزوجات والامهات .

وعدت اليوم بعد غيمة طويلة فوجدت شبابها يتجدد على الرغم  
من المصاعب الكثيرة وتقدمها في اضطراد، وحسبكم بروغرامها الجديد  
للعام الآتي وفيه ما فيه، ومن اجله ارسلت الى باريس في طلب رئيسة  
خصوصية تشرف على نظامها الداخلي لتسير بها على نمط المدارس  
الاوروبية الكبرى .

## زهرة الاحسان

والذي زاد في سروري ان هذه المدرسة وطنية بكل معنى الكلمة  
وطنية كانت ووطنية لم تزل ، وما ستموه على هذا اللعب من لغة  
عربية صحيحة الانشاء سامية الالقاء ، لا لحن فيها ولا اخطاء ، دليل  
على ما تبذله من العناية بلغة الوطن . هذه الالفة العربية التي تعود  
البعض منا ان ينكرها كما انكر بطرس المسيح ، على ما فيها من جلال  
وجمال . هنا تبدون حماها مخفوراً وذكرها مأثوراً ولواءها منشوراً .  
فمن الحق ان نوجه اليها الانظار ، ومن العدل ان نكون لها من  
الانصار ، ومن الفخر ان تكون دارنا هذه الدار .  
(وهنا ثناء على الرئيسة والمعلمات والمثلات :)

لي عادة حسناء رومية عرباء فتاة الاسماء قلبي بها ولهان  
قدم من عمري عشرون في الهجر ولم يزل فكري من ذكرها نشوان  
ابيت ناديتها فلم اجد فيها من حسن ماضيها شيئاً بقصان  
تثقف الاحلام وتحضن الايتام وتنشر الاعلام للبر والعرفان  
طاحت عن التحسين ولم يشبهها شين وثبتت قبل الحين وهي كالشبان  
ان انكرت رسمي ما انكرت نظمي اي معهد العلم كم فيك لي من شان  
هل تذكر الطيب ام تذكر الخطيب كلاهما كتيب مما تقاسي الان

## زهرة الاحسان

من ضيق بنيانك من عري جدرانك من فقر سكانك من قلة الاعوان  
فليظن الغريب وليذكر القريب نظافة الجيب ليست من الايمان  
يا معهد التعليم وموطن اليتيم من مجدك القديم نور على لبنان  
لو ان اقوالي تعني عن المال نظمت للحال في وصفه ديوان  
دوهي على الدهر مرفوعة القدر محمودة الذكر عابرة العطر  
يا زهرة الاحسان





## المدرسة الاهلية

لسبع سنوات خلت ، اذبت بدعوة من الجامعة الاميركانية للخطابة فيها، واتاح لي الحظ يومئذ التعرف الى حضرة الفاضلة رئيسة المدرسة الاهلية. ومنذ ذلك الحين تمودت كل عام ان اتلقى كتابا منها تدعوني فيه الى الخطابة في ناديها ، فكنت اكتفي بالاعتذار ، الى ان عدت في العام الماضي ، وقدر لي ان زور هذه المدرسة غير مرة وان اشهد حفلتها السنوية ، فكان ذلك كافياً لاثارة اعجابي وشعرت بالاسف ووخز الضمير ، اني لم الب دعوتها في السنوات السبع ولو مرة واحدة وقلت في نفسي لا بد من التكفير عن هذا التقصير فساكون بعد اليوم خطيب المدرسة الاهلية ما شاءت ذلك .

ولا انسى حادثة جرت لي في مثل هذا اليوم من السنة الغابرة ، فقد وضعت قبعتي على كرسي الى جانبي ، فاختفت ، ولما ارفض الجمع

## المدرسة الاهلية

ولم اهتم اليها ، بقيت اتحدث الى السيدة جوليا دمشقيه ، بينما كانت الرئيسة تشترك في البحث عنها الى ان ظفرت بها فعاتت وهي تقول لي ان تحت هذه القبعة ٢٥٠ روحا ( تعني تلميذات المدرسة ) فلا يسعك بعد الان ان تقابلنا بالعصيان او النسيان . وحقاً اني منذ تلك الساعة لا ازال اشعر بهذه الارواح الطاهرة تمازج روحي فتبعث فيها النور وتوقظ الشعور .

والذي يزيد تأثري اليوم ما يمر بي من ذكريات الماضي ، فان الشهادة التي ستوزع على المنتهيات ، ان هي الا مثال لحياة انصبنا التي طويت صفحاتها كما طواها الكثير منكم ايها السادة — ولا اقول السيدات لانني لا احب ان يفارقهن الصبا — طويتها ولا ازال اذكر في طياتها ملذات طاهرة واحلاما ذهبية وصداقة عزيزة . هذه الشهادة هي الفاصل بين عالمين مختلفين على ما بينها من الشبه ، متشابهين على ما بينها من الخلف . الاول صار في ذمة الماضي والثاني لا يزال في طور المستقبل ، فكأنها تقف بحاملها على عتبة جديدة من العمر هي في الراحة ولكنها قصيرة الاجل ، والسعادة ولكنها سريعة الزوال .

ايها السادة

## الدرسة الاهلية

كثيراً ما يحدث في اواخر الشتاء ان يطوف البستاني بحقله باحثاً مستطلعاً حال البراعم الصغيرة سائلاً بنظره الثاقب تلك الغلف عما تحتها من اسرار الربيع الذي سيدشقها عصيره بعد حين . فهذا الطواف يذكرني طوفاً آخر لا يقل اهمية عنه، وهو طواف المفكر امام الشباب الذي ترقد تحته اسرار الغد ، ويختمر منه في عقول الفتيان والفتيات اشياء هي اهم مما يحاول البستاني ان يدركه تحت قشور البراعم .

كثير من الناس ظلموا الشباب في حكمهم عليه فاسعوه لوما واشبعوه ذماً ونسبوا اليه عيوباً اقلها الكسل وحب الذات والتقليد واستبداد الرأي والدعوى الفارغة ، والقحة في الفتيان والعناد في الفتيات وعدم احترام الشيخوخة عند الفريقين . اما انا فعاذ الله ان اكون على هذا الرأي ، معاذ الله ان ارى في هذه الزهرة التي لم تنشق بعد عنها الاكمام ، الاكل ما هو جميل ساحر ، من نور وطيب وندى رطيب ، وان اسمع من حولها الا اغاريد تبعث في القلوب ابتساماً ، وتضرم في العزائم اقداماً وتسكب على الضمائر برداً وسلاماً فالشباب في نظري مطبل النفس على الوادي الحصب ، حيث تنبت اطماع المجد واحلام البطولة ، بذ القمة التي تنتشر من فوقها اجنحة

## المدرسة الاهلية

الفكر للتخليق في سماء العبقرية والابداع ، بل الصخرة التي تنفجر  
منها ينابيع الشهامة والتضحية والشجاعة والحب .  
واذا كان في ظاهر الشباب ما يدل على النزق والقساوة ، فالحقيقة  
خلاف ذلك ، لان الشباب مملكة آلام لا حد لها ، وهو يحصل على  
رأسه اكليلا ابديا من الشوك لا احتكاكه الدائم بالحياة وما يلاقيه  
من الحمية وبعانيه من الرياء ويقاسيه من نفاق المجتمع وتقلب ابنائه .  
من اجل ذلك تعرفوني هزة عندما افكر بحال الشباب بعد المدرسة ،  
وانظر الى التبدل القاسي الذي يحدثه انتقاله السريع من حياة ملؤها  
احلام الى حياة عراك لا راحة فيه ولا نهاية له .  
بعد المدرسة ! ما اوسع كلمة بعد ، وكم تفتح لنا من باب للتأمل .  
ولو تعود الناس ان يتساءلوا في كل امورهم : وماذا بعد ؟ خففوا عنهم  
كثيراً من العناء . بعد المدرسة ! وقفة كبرى على مفترق الطرق  
يدرس فيها الفتى سبيله ، وما يتخير من عمل لا آتية ، وهل يكون  
طبيباً او محامياً او مهندساً او تاجراً ، اما الفتاة فقد كانت في غنى عن  
هذا الدرس لان طريقها مخطوطة منذ الازل فهي تبقى في البيت  
باتظار العريس .



## المدرسة الاهلية

ولكن الحال تبدلت في الزمن الاخير ولم يبق من عار في نزولها الى العمل ومشاركتها الرجل فيه ، وبذلك حطمت القيود التي كانت تربطها بالماضي وخلعت عنها سيطرة الرجل الذي استبد بها الزمان الطويل . بعد المدرسة ! رواية تمثيلية لا تنتهي فصولها ولا تنحصر مشاهدتها بمكان ولا بزمان وهي مباحة لكل انسان ، فعليه ان يفتح عينيه ويحاول ان يفهم ما يجري حواليه لان لكل حادث معناه ولكل مشهد نصيبه من القبح او الجمال والنفع او الضرر واللذة او الالم .  
مشهد اول :

في مصعد الطريق مركبة يجرها حصان هزيل والسائق يحاول بالسوط ان يدفع الحصان الى الامام واذا بولد يتعلق بالمركبة من ورائها فيزيد الثقل على السائق والجواد .

هكذا كثير من الناس يعيشون على حساب سواهم ويحملون كل حرام في سبيل تخفيف متاعهم وان يكن فيها زيادة التعب لغيرهم .  
مشهد ثان :

فقراء يقرعون الابواب ويعترضون المارة في السبل ويرسلون صغارهم للاستجداء على ابواب الكنائس والمقاهي والمضاعم وفي كل

## الدرسة الاهلية

مكان ، فما معنى هذا ؟ معناه ان هناك خللا في ناحية من النظام الاجتماعي لانه لا يجوز ان يكون في البلاد الراقية تسول ولا استعطاء والامة العزيزة تعرف ان تجد رزقا لليتيم والعاجز والمثرد .

مشهد ثالث :

رجل يلقي في الطريق قشرة ليمونه او موزة فيعثر بها سواه. وقد تنكسر ساقه بهذه العثرة . معناه ان بعض الناس يزرعون الشر عمدًا او انفاقا فيحصده البعض الاخر دون اثم ولا حرج .

مشهد رابع :

عامل يسير على قدميه باكرًا ليكد في تحصيل قوته ، وسيد يعود في سيارته من نادي القمار بعد ان قضى ليله لاهياً . هذا المشهد يبعث على التساؤل: ما يحل بالعالم لو اراد كل انسان ان يتخذ المقامرة مهنة له ولم يبق يد للعمل في حقل الاجتماع ؟

مشهد خامس :

رجل في البحر يحمل شبكة بيديه وهو يحاول ان يسر غور المياه حتى اذا لاح له اشباح السمك اسرع بالقاء شبكته عليها. يذكريني هذا المشهد بالاخطار التي تنتظر الفتاة بعد المدرسة فما اعظم الشبه بينها

## المدرسة الاهلية

وبين السمكة . كلاهما عرضة لشباك الصياد ولا فرق سوى ان السمكة  
تهرب من الشباك والفتاة تركض وراءها بحكم العلائق الاجتماعية ،  
فان الاخطار تعقد لها كل مرصد : في البيت والطريق والكنيسة  
واندية الرقص وملاعب التمثيل ودور السينما ، في البضاعة المعروضة  
في الاسواق ، والكتب التي تقرأها في ابتسامة الشاب الذي يتودد اليها  
كل ما هو جميل جذاب يحمل اليها تجربة ابليس ويحاول ان يصطادها  
ويشد عليها كما يصطاد العنكبوت فريسته ، ونتيجة ذلك وقوعها في  
التبذير والاسراف او خروجها عن حدود الاعتدال والحكمة او  
تقصيرها في واجباتها البيتية او الاجتماعية او غير ذلك مما لا يحمد ولا  
يجب .

هذا بعض ما ينتظر كن بعد المدرسة ، ومنه تعرف قيمة الشهادة  
التي تتوج اليوم جهاد كن المدرسي . ربما كنتن تنتظرن بفارغ  
الصبر الافلات من قيد هذه الحياة الضيقة المملة الشبيهة بالسجن بما  
يزينه لكن الوهم عن العمران الذي تقرأن عنه : بنايات تناطح السحب ،  
فتح مستمر في البحر والجو ، كل يوم سر جديد تقشيه الكهربائية ،  
اخبار باريس تنقل في اليوم نفسه على الباخرة الذاهبة من لفربول الى

## المدرسة الاهلية

نيويورك، اختراعات دجيبة، حياة فائرة في لونها وزهوها ومايسكب فيها من خمرة الحضارة والحرية ، نعم ولكن الى جانب هذا الرقي مظاهر النزاع من تحزب واعتصاب ، واشتراكية وفوضى وقتل وخصف ، وبغض الجاهل وحقد الفقير ، وعادات سيئة. ورثناها عن الحرب ، ويأس عميق ينشر السوداء في القلوب .

كل هذا سترينه او تسمعن به فتتأكدن ان اجمل ايامكن هي التي مرت بين هذه الجدران ، وان افضل وسيلة للمحافظة على صفاء اذهانكن وسلامة نفوسكن هي السير على التعاليم التي لفتنكن اياها هذه المدرسة ، واحرزتن بها هذه الشهادة .

وقبل نزولي عن المنبر اسمحوا لي ان اودعكن بهذه الايات التي نظمتها خصيصاً بهذه الحفلة :

دعيني من الجيد والمعصم	ولحظ سللت فلم ترحمي
ولا تذكر لي رماح القدود	وورد الحدود ودر الفم
هو الحسن في العقل قبل المحيا	فحلي حديثك ثم البسي
ومن خلق ناعم فالبسي	حريراً على الجسد الانعم
ولا تأمني نضرة في الحدود	اذا هي للقلب لم تنتمي



المدرسة الاهلية

وحسبك يا هند روح ترف من الطهر في ثوبها المعلم

\*  
 وندى من راسها ندى

فتاة بلادي دعاني الوفا فجئت اليك بقلب ظمي

اردد ذكرك في خاطري وانشد روحك في الانجم

واصبو لربيع عليك حنا يغذيك من روحه والدم

رضعت به العلم ملء جناني فحان لك اليوم ان تقطمي

وكل فطم له موسم وها آنذا جئت في الموسم

اذوق بك الادب المستطاب وارشف من كأسك المفعم

وانشد يا ليل فيك النعم فبالله يا صبح لا تهجم

ولولاك لم يحمل لي منبر ولا كنت بالشاعر المهجم

تبليج ثغرك عن دره فاشرق في فكري المظلم

نظمت لعبيدك منه العقود وكم مر عيد ولم انظم

\*

الا يا حاتم وادي الجميل جميل بواديك ان تعمي

عليه تعودت ان تحفقي ومنه تعودت ان تحلمي

وعشك فيه فلا توحشيه بهجر طويل المدى مؤلم

## المدرسة الاهلية

تزودت منه كريمة المنى فعبثي بذكر له اكرم  
وطيري على ضوئه في الحياة وعودي الى ظله فاحتمي  
ومن جبهه فخذي جرعة لحب بلادك تروي الظمي  
فكل دروسه ليست تقيد اذا هي بالحب لم تختم

## التجديد في الشعر

من بواعث العجب ان يرتفع صوت بالدعوة الى التجديد في الشعر من شاعر قديم . اقول قديم لا مداعبة ولا دلالة ، ولو قلت غير ذلك لكذبني هذا البياض في رأسي . غير اني من الذين يؤمنون بالشباب وينظرون الى النهار الدائم في النفس ومن اجله يعملون . فالشباب ابدي لانه معنى من معاني الحياة ، والحياة ابدية وهي وحدها تهتز ونحن في فضاء الوجود . ولا ريب ان في عالم الحس كما في عالم النفس أفاقاً عذراء لم يرمقها بعد الناظر ولا الخاطر ، وما ترديد الناس لقول الشاعر ، هل غادر الشعراء من متردم ، الا من قبيل الاشهاد بحكم العادة دون الاستناد الى دلائل او برهان .

الشعر اول رسول روحاني بعث لتهديب البشر ، منه انبثقت الفلسفة وعليه قامت الاديان ، واليه انتهى الجمال ، وقد بقي مرفوع اللواء

## التجديد في الشعر

حتى العصور الاخيرة ، فجاء العلم بحقائقه ومخترعاته ، وطما سيله عليه فلم يترك له سوى زوايا القصور والحدود وأندية اللهب والطرِب ، وانقرجت المسافة بينها ، فاصبح تعني الشاعر بالحياة والانسانية ناقصاً عقياً ، لان اشياء كثيرة من الانسانية والحياة غابت عنه . لقد مضى الزمن الذي كانت تكفي الشاعر فيه وقفة على الطلل البالي ، او نظرة الى القمر الساري ، او جرعة من القدير الجاري ، للتغزل والنجوى وبث الشكوى ، وصارت هذه الموضوعات وما اليها من احاديث الفخر والمديح مبتذلة ، لا تجدى بعيداً في النفوس بعد ان دخلتها اشعة العلم وخلت فيها ظمأً جديداً يصعب ارواؤه بغير الجديد .

وهل من المعقول بعد ان شرب الانسان من خبرة الزمان ، وانكشفت له افاق جديدة للتفكير ان يبقى الشاعر في دائرته الضيقة محصوراً في التأمل ببعض حوادث طبيعية عرفها منذ أجال بصره في هذا الوجود ؟ وما الفرق بين الانسان الاول وانسان اليوم اذا ظل هذا ينظر بعين ذلك ولا يجيد عن المسلك الضيق الذي ورثه عنه .

لقد شعبنا وتعبنا من ذكر القمر والغصن والطير والنسيم ، تعبنا من التغزل بورد الحدود ورماح القدود ، تعبنا من الاحلام والالام



## التجديد في الشعر

وكؤوس المدام ، تمبنا من عربيدات السكر ولذات القبيل ونجوى  
الوادي وعمس النسيم . أُلناظ وترا كيب لها ماضيها المجيد ، ولكنها اليوم  
قد أضاعت الكثير من تأثيرها لفرط ما كررت في القول والكتابة  
فلم يبق شعر الا رددت فيه ولا شاعر الا حام حولها .

انا اعتقد ان الشاعرية كالبطولة: نعمة سامية نادرة، فاذا اقتصرنا  
في الشعر على تعابير وتشايبه قذلت من قبلنا ألوفا من المرات ، فن  
الهنزل في هذا العصر ، عصر الحقائق والتلفزيون والسرعة ، ان نضيع  
اعمارنا في النظم . لا أعني ان على الناظم ان يتناول في شعره هذه  
الحقائق ، ويجعلها محور كلامه . فالشعر غير هذا ، بل هو لم يخلق  
ليكون لغة العلم .

ولكن من يعبش في هذا الجو الجديد ويستنشق هواءه ، لا بد  
ان يتأثر به وجدانه متأثراً يخلع على الشعر مسحة عاطفية لا عهد له  
بها يكون لها من السلطان ما يفتح مغالق القلوب المستعصية ، ويساعد  
الشاعر على اداء مهمته السامية التي لا تنتهي عند عتبة اللذة واللهو  
والطرب .

وإذا اجلنا الطرف في شعر الاعاجم ، وجدناه يتطور مع الزمن ،

## التجديد في الشعر

ويلبس لكل جيل لبوسه، فيبقى مرآة صافية تعكس ما عم احبابه عليه  
من حالة نفسانية واتجاه فكري .  
هذا شعر الفرنسيين ، مثلاً تعاقبت عليه ادوار مختلفة من كلاسيك  
الى رومانتيك الى برناسي فرمزي ، ثم جاءت طائفة جديدة ذهبت به  
مذاهب شتى من انساني Humanisme واجتماعي Manisme  
وخيالي Fantaisiste وصياني Dadaisme وسواه ، وكلها  
تحاول الخروج عن المألوف : هذا باطلاق القافية والوزن ، وذلك  
بالتسامح في التركيب ، وآخر بقلب النحو والنطق والبيان رأساً على  
عقب . ونحن وان كنا لا نطمع بمثل هذا الانقلاب ولا نستحسنه  
في جملة ، فلا اقل من ان نشق لنا طريقاً جديدة يشرق منها الخيال  
على افاق غير التي عرفناها والقناها .

ولقد وقع لنا شيء من هذا في الماضي ، وما الاندلسيات الا رد  
فعل يدلنا على ان القوم تبعوا من النظم على النمط القديم بعد ان  
بلغوا من التمنيق فيه الغاية كما قال ابن خلدون ، فاستحدثوا فناً سموه  
الموشح . غير ان هذا الحدث ضيق محصور لا يتناول سوى طريقة  
النظم ، وهذه موشحاته تحوم كلها حول موضوع واحد ، ولا تجرد

## التجديد في الشعر

فيها غير استعارات وتشابيه واحدة ، وحسبك ان تقرأ موشحاً تستغني  
عن الباقي . ونملت الحال على هذا النوال : اللاحق يقلد السابق ،  
والشعراء في سائر الاقطار العربية يتناوبون حمد صولجان الشعر دون  
ان يمتد ملكه الى ابعد ممارسه الاقدمون ، الى ان قام في عصرنا  
هذا فئة من الشعراء تضيف الى القيثارة الكبرى اوتاراً جديدة .

كيف يكون هذا التجديد ؟

يكون في المبنى وفي المعنى ، او بعبارة ثانية في التعبير وفي التفكير .

## التجديد في التعبير

يتناول المفردات

والجمل

واسلوب النظم .

أ — اما المفردات فبالخروج عند الحاجة عن معانيها الظاهرة  
المألوفة لان الكلمة ذات مستقلة لم نأخذ منها حتى الان سوى الظاهر من  
معناها دون التعمق فيها ، فاذا عرض لنا استعمال لم نألفه عددناه نورة  
وبذناه قبل ان نترك للاذن وقتاً للتعود عليه ، وللخاطر مجالاً ان

## التجديد في الشعر

يرتاح اليه . مثلاً تعودنا ان نقول نعومة الشعر الاشقر ، فلو جاءنا مجدد وقال نعومة الشعر الشقراء ، لتلنا هذا هذيان فكيف توصف نعومة باللون وهي لا تدرك بغير اللمس ، مع انه لو تعمقنا في الحقيقة لوجدنا ان هذا الذي نعتة بالهذيان هو في الواقع أبعدمدى في الوصف والبيان ، فان لباس النعومة لونا اشقر يخلق في ذهن السامع صورة جديدة تريك النعومة في اقصى مداها . انك ان اردت الكلام عن الشعر الاسود لا تقول النعومة السوداء ، لان اللون الاسود يفيد الحداد والا كمداد ولا يمكنه ان يمطيك صورة ناعمة صافية نقية كاللون الاشقر . وجل ما نحتاج اليه هو الفة هذا التعبير والتعود عليه .

كذلك تعودنا ان نقول ليل مخيف وليل عميق ، وما تعودنا ان نقول ليل عنيف مع ان الليل جزء من الوقت كالصبح والظهيرية وقد نضطر الى وصفه بغير ما يفهم منه اشتداد الظلمة . ومثله قولنا تبدد الظلام او تمزق ، ولم تقل يوما سقط الظلام ، لاننا لم نألف ان تنظر اليه كجبار باسط جناحيه على الارض يمكنه ان يسقط تحت اقدام الفجر ، الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حصر .



## التجديد في الشعر

وقد قرأت لاحد الافاضل كلاما عن التعريب يستهجن فيه هذه  
الجرأة في استعمال المفردات في غير مظاهرها المعروفة ، مقدما مثالا على  
ذلك قول بعضهم غابات نائمة بمعنى هادئة ، فاخذني الدهش والاسف  
معاً وتساءلت ما يكون وقع دعوتي الى التجديد من نفوس ادبائنا  
اذا كان كبارهم لا يريدون خلع نير الماضي فيقيدون هذه اللغة كما يقيد  
الصينيون أرجل بناتهم ، ولا ادري وأيم الحنق اين وجه الاستهجان  
في الغابات النائمة ، وهل كان النوم الا صورة السكون ؟  
قال الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر : واللغة العربية اوسع  
اللغات مذهباً ، فيها المجاز في النسبة ، والمجاز في المفردات ، والمجاز في  
المركبات ، وفيها التشبيه والكناية ، وهي واسعة الصدر للذخيل ما  
ان تراه حتى تخلع عليه ثوبا من ثيابها وترده الى اوزانها وتتخذة ولداً  
من اولادها ، تعامله معاملتها فتشقى منه وتنصرف فيه الى آخره .  
فلغة هذه صفاتها لا يصعب عليها ان تصف الغابة الهادئة بالنوم ،  
ولا تجد في هذا التعبير الا فرنجي ما يغاير نسبتها ومقدرتها وبقوتها  
ووضوحها وافتانها ، بل ربما جاء هذا الوصف اكثر انطباقا على  
الحقيقة الماثلة في محيطة الشاعر . والحرية التي نطلبها في استعمال المفردات

## التجديد في الشعر

غايها ان تكون الكلمة عبدة لنا لا ان نكون نحن عبيدها، ولا يخفى ما في هذا التوسع من خدمة البيان ونجدة اللسان .

ب — واما الجمل فلأن ما شاع استعمالها منها اصبح مبتدلا لا يهن السمع كما تفعل التراكيب الستحدثة ، والشاعر المجدد من اهتدى الى قوالب اخرى يفرغ فيها معانيه فيزيد في تأثيرها دون ان يسيء الى هذه اللغة . وحسب الشاعر الذوق هاديا فيما يحاول بناءه من جديد العبارات فيتوخى في اظهار شعوره حاجة العصر من الاقتصاد في الوقت فضلا عن ان الذهاب بالتعبير الى اقصى مدهاء يضعف الصورة ، بخلاف الغموض الذي يلازم الايجاز فانه ينفع في تنبيه فكر السامع واعمال فكرته لرد المعنى المبرز في حلة من المجاز الى حقيقته ، وهي حركة ينطبع فيها الأثر باشد من انطباعه لو بلغ المدركة دفعة واحدة ، ويعطى القاريء لذة اكتشاف المعنى في قلب الشاعر كأنه شريك له في النظم .

قال الصابني : « افخر الشعر ما غمض عنك فلم يعطك الا بعدد  
مطالمة منه . »

وهذا القول يظهر لك ان المذهب الرمزي الذي يشير به شعراء

## التجديد في الشعر

فرنسا في الخمسين سنة التي خلت قد سبقهم اليه العرب ، ومن «سنان  
ملازمه» الى «فاليري» لم يأت اولئك بشيء لم يعرفه شعراؤنا .

ت — واما اسلوب النظم فليس الغاية منه اطلاق الشعر من قيد  
القافية والوزن كما فعل الاعاجم ، فان عندنا من الشعر المنشور والسجع  
ما يقابل الشعر الطليق عندهم ، وربما يزه حسناً ، فن الواجب ان  
يتبى شعرنا شعراً ، على انه لا بد من التساهل في امور عارضة لا  
تؤثر في جوهره . فالقافية قد لا تليق بالناظم في موضوع عصري  
يتطلب الدقة ولا سيما في القصائد الطوال التي يتعذر فيها الاحكام  
والاتقان ، فخير للشاعر ان يستغني عنها من ان يأتي بها قلقة نافرة  
على شرط المحافظة على الموسيقى التي تعوض بجمال ايقاعها عن جمال  
القافية فلا يشعر السامع بما تحدث من الفراغ ، كفي هذه الابيات مثلاً:

ان اكن قد بحت يوماً بالهوى فلا تقاس السحر  
بحت للريح التي تضحك او تبكي باوراق الشجر  
بحت للنهر الذي يصنعي الي كلما ملت بوجهي نحوه  
صامتاً في جريه متدأ ، ان اكن بحت فقد بحت به

للصدي

## التجديد في الشعر

ولم يترك الاعاجم سبيلا للتجديد الا طر قوه حتى انهم استعملوا  
في القافية ما نعه من عيوبها فجمعوا بين *lerne, livre,*  
*terrasse, rousse,* وهو يقارب ما نسميه عندنا الاكفاء  
والاجازة [ انظر آخر المقال ]

ونحن لا نطلب النسخ على منوالهم بل نريد التخلص من القافية  
عند الحاجة دون الاساءة الى الشعر ، كما اننا لا نطمع بايجاد محور  
جديدة وان يكن المولدون اتوا على ذلك كما روى ابن خلدون ، لثلا  
تفرق في القوضى . غير ان استعمال غير واحد من بحور الشعر في  
القصيدة الواحدة لا يعد عيباً ، لان مواقف القول من مدح ورتاء  
وغضب وغيره تحتاج الى مختلف الاوزان فقد يوافق الكامل الغزل ،  
كما يلائم البسيط الرثاء ، والطويل الفخر . والشاعر الحر مدفوع  
بالديهة الى التنقل من بحر الى بحر مع العواطف كما تنتقل انامل  
الضارب على العود من وتر الى وتر .

ثم هناك من الابحر ما تشابه في الايقاع كجزوء الوافر والمزج  
فلماذا لا ندمج بعضها في بعض عند الاقتضاء ؟ لقد وجد الشعر قبل  
ان توجد قواعده ، فهو يقال عنو السليقة ، ولا ارى ما يجبرنا على



## التجديد في الشعر

التقييد بما وضعه القدماء مما ينافي المنطق والفطرة، ولا سيما لان الإيقاع الموسيقي موجود في نفس الشاعر قبل الفكرة ، فحقه ان يختار الاسلوب الاوفق له .

لقد اتى حين من الدهر لم يكن فيه الشعر مبنياً على اوزان مطردة او مفصلاً الى ابيات مقدره كالتمسار في اليوم ، كما يستدل من الشعر القديم الوارد في بعض اسناد التوراة والتبوءات ، واذا لم يقنع كلامي بعض المحافظين من المتطرفين ، فاني اقول ما قاله الصبان وايدى الزمخشري في القسطاس من ان بناء الشعر على وزن خارج عن محور الشعر لا يقدح في كونه شعراً ولا يخرج عن كونه شعراً .

## التجريد في التفكير

لقد حاول بعض شعراء العصر ان يحددوا بطرقهم موضوعات غير الغزل والمديح والثناء وما اليه ، فاجادوا في وصف حيوان او آلة او واقعة تاريخية ، الا انهم لم يتناولوا سوى ناحية من التجديد لان الوصف ليس كل ما يمتاز به الشعر عن النثر ، بل لو اردت مجازاة بعض المغالين من مجددي الافرنج اقلت ان الوصف وما فيه من صور

## التجديد في الشعر

وعواطف وافكار هو من مرامي الثبر، وبالنثر تستطيع ايضاً ان تستفز  
الحماسة وتستنزف الدموع .

فالشعر غير هذا وفوق هذا ، واول ما يطلب فيه هو هذا الشيء  
الذي لا يوصف، والذي يندفع من القلب فيمر على الصور والعواطف  
والافكار كما يمر التيار الكهربي على المعدن فيلبسه حلة قشبية . هذا  
هو الشعر الخالص في نظرهم ومن دونه لا قيمة للشعر .

غير اني اعفيكم من هذا القول ، اولا لان الطفرة عمال ، ونحن  
لم نجاوز بعد عتبة التجديد لتجلس في صدر النادي . وثانياً لاني لا  
اوافق على هذا القول الذي يهدم بناء العصور ويسذهب بكل ما نظم  
منذ القدم الى اليوم ، ولا يبقى للشعر أثر في بدو ولا حضر .

لكل ان يعرف الشعر كما يشاء ، وقد قيل طرق الشعر أسهل  
عليك من تعريفه ، ولكن الواقع الذي لا غبار للشك عليه هو ان  
ثمة شعراً لا ينكر ، وشعراء اطربوا سمع الدهر حاضراً وماضياً ، وما  
نشكو منه اليوم ليس فقد الشعر بل تكاثره الى حد الابتذال وضرب  
الشعراء على وتر واحد ، واذا نحن سمعنا الى التجديد فليس معنى  
ذلك ان القديم قد لفت بالكفن وذهب كل جمال فيه . ولكن هي

## التجديد في الشعر

شرعة الترقى تدعوننا الى الاستنباط للانتقال من حسن الى احسن ،  
وما كل مجدد بمحسن .

كيف يكون هذا التجديد ؟

كان الشاعر يكتبني بالحقيقة الظاهرة التي يقدمها له الواقع فيمضي  
في النظم حسب ما يلقنه وحي الساعة ، اما اليوم فقد اميط الحجاب  
عن حقيقة أخرى آتية من اعماق العقل الباطن الذي يكفي الواحد  
مننا ان يفكر بموضوع دون ان يقدم على الكتابة فيه حالا ، ليأخذ  
هو بالعمل لنفسه من حيث لا ندري ، عمل خفي بعليء تشترك فيه  
قوى الذاكرة بيننا الانسان مشغون عنه باعماله العادية او بالكتابة في  
موضوع آخر ، عمل يدعو اليه المعاني والصور من مختلف النواحي  
فتزد مسرعة او متباطئة ، وتملأ الساحة التي وراء الادراك ، حتى اذا  
عمد الشاعر الى القلم بعد هذه الفترة التي قد تكون شهراً او عاماً ،  
وجد من نفسه استعداداً لا عهد له به واخذ يقتنص كالصياد تلك  
المعاني والصور ، منها القريب ومنها ما لا يزال في منتصف الطريق  
اليه . وكم من مسألة عويصة حلت على هذا الوجه ! وكم من اختراع  
تجلى لصاحبه على هذه الصورة ! وقد يساعد هذه الحالة بعض التنبهات

## التجديد في الشعر

او مهبجات العصب كالخمرة والحمى وكل ما ينحدر المدركة ليفتح  
الطريق للقوى الكامنة وراءها .

لا اعني ان الشاعر مضطر كلما اراد النظم ان يستعد هذا  
الاستعداد الطويل ، او يلجأ الى المسكر ، او يلقح جسده بالحمى  
ليفتح عليه ، فان من الوقائع ما يدعوك الى النظم لساعتك ولا يدع  
مجالاً للعقل الباطن ليمدك بما في خزائنه من الكنوز ، فما عليك في  
مثل هذه الحال الا ان ترد نظرك الى اعماق نفسك وتستل منها ما  
يحتاج فيها ساعتئذ .

لنفرض ان طائفة هوت من حلق وتحطمت امامك بمن فيها  
فبحركت فيك عاطفة الشعر ، فاذا اتبعت الطريقة المألوفة فاول ما  
تصفه سقوطها وحالة المصابين مستعيناً بتشابيه واستعارات جارية على  
كل لسان .

على ان لديك موارد جديدة غير هذه وهي ما يمر في نفسك عند  
رويتك الفاجعة مرور البرق ، فاذا انتبهت له واخذته فوراً كما يأخذ  
المصور الشمسي الصور السريعة ، فقد استطعت ان تزيد على ما عندك  
من المعاني ما يعبر عن شعورك الداخلي ، والهزة النفسانية التي أحدثها



## التجديد في الشعر

سقوط الطائفة، فتضيف الى صورة الواقع صورة اخرى من اضطرابك  
الذاتي وما توارد على خاطرك في تلك اللحظة من شتى التذكريات  
والصور والالوان والاصوات .

وهناك فضلا عن الوقائع مرثيات الوجود التي لا توليها عادة اهتماما  
كافياً مع ان كلا منها كما قال «ديدرو» يستطيع ان يقود الفكر الى ما  
لا نهاية له من الاشياء .

خذ اللون الاصفر مثلاً فهو يذكرنا بالذهب ويذكرنا بالحرير  
ويذكرنا بالمرارة ، واذا تفاعلنا فيه وجدناه لون الغضب والخوف  
والحسد والمهوم ، والشمس عند غروبها تصفر من ألم الفراق ، وقد  
يقبض المجنون على خيط من القش اللامع فيحسبه شعاع الشمس ،  
ولا بد من نقطة يلتقي عندها الشاعر والمجنون .

قال ابو تمام في الارض :

يا صاحبي تقصياً نظريكما      تريا وجوه الارض كيف تصور  
تريا نهارة مشمساً قد زانه      زهر الربا فكأنما هو مقمر  
وقال آخر :

يا لسحر حملته في جيبني      من ربيع الآمال والايام

## التجديد في الشعر

وعناق السماء في زرقة البحر وفي خضرة الشعاع النامي .  
فالاول رأى الزهر فخاله شعاعاً ، والثاني رأى الشعاع فخاله زهراً  
وهكذا القول في سائر الاشياء التي يقع عليها نظر الشاعر . خذ  
النجمة مثلاً ، فقد تراها مقلة :

ليل المحبين هل هذي عيونهم ماتوا فاطلعتسا في الليل اقماراً  
وقد تراها دمة :

انت تبكين يا نجوم ...

وقد تراها شمعة :

والليل في صمته الرهيب كراهب يحمل الشموع  
وقد تراها فماً او دماً :

أنفوس كئيبة ام جراح أنت في اللانهاية السوداء  
واذا تماديت في الخيال حسبها سيفاً :  
اين من يمشق النجوم غضاباً

وقد وصل بعض المجددين من الاقربح الى تشبيه عواطفهم بالالوان ،  
فللتقوى لون ، وللفرح لون ، وللذة وللالم لون وللشبع كما للضجر لون .  
ومنها تخطوا الى صلة قرابة بين الالوان والاحرف الصوتية فاختاروا

## التجديد في الشعر

لكل شعور او لون صوتا يقابله ، فاذا ارادوا النظم في موضوع اكثر من الحروف الملائمة له في نظرهم . الا ان هذا المطلب وعر المسالك ولا سبيل الى بناء قاعدة له لتشعب الاذواق وتضاربها . فقد يكون التفاسح لون الفرع عند الواحد ، ولا يكون كذلك عند الاخر . ومن يدري فقد يجيء في الغد من يخلق الرائحة للشعور كما لو جعلنا البخور رائحة المجد والفخار ، والياسمين رائحة اللذة الى آخره ، وهذه بلبلة لا نهاية لها .

والذي أريد ان اقول ان في ميدان التجديد متسعاً للجميع ، وما كل مجدد بمحسن ، والموفق من ضرب على اوتار كل قواد ، لان الشعر كالمواج الهلزية وفي الطبيعة البشرية اما كن محجوبة ، فاذا اتهدى اليها الانسان حيث هي من نفسه فقد عرف السبيل الى نفس سواء وكان له التأثير المنشود .

انا لا اجهل ما قد تسبب الدعوة الى التجديد من الفوضى لتعذر ربطه بقواعد واصول ، ولان كثيراً من الشعراء لا يزال يسيء فهم هذه الكلمة ويحسب ان التجديد هو تطليق القديم وانكار مزايه ، ومحو آثاره ، ويجهل ان في القديم ما يبقى جديداً على الدهر ولا

## التجديد في الشعر

تبلى محاسنه، ولكني أسألكم هل نحن في نجاة من هذه الفوضى اليوم؟  
 فعلى الشاعر إذاً أياً كان شاباً أو كهلاً، وسواء كان من الذين  
 ينهضون في الليالي المحرقة كما قال «موسيه» يصلون ويبتكون ويسطون  
 أيديهم نحو اللانهاية وملء قلوبهم الاشفاق لآلام مجهولة، أو من  
 الذين يدرسون مصائب الاجتماع ويشاطرونه افراحه واطراحه، أو  
 من الذين يتبعون حركة العلم والرفق الانساني، عليه ان يسعى الى  
 تكوين ذاتية خاصة به يستعبد بها القلوب، وان يظل اميناً على هذه  
 اللغة الشريفة الجميلة فلا يتسامح في الخروج على مبادئها الاساسية وان  
 يحافظ على الروح القومية التي تتجلى فيها حتى اذا نقل شعرنا الى  
 اللغات الغربية ظل أثر هذه الروح بادياً فيها الى جانب الاثار الاخرى  
 الدالة على مبلغ ثقافتنا وكرامتنا.

(\*) الاكفاء هو اقتران الروي بغيره من الحروف المتقابلة له في المخرج كقوله:  
 اذا زم اجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين انت حزين  
 تنادوا باعلى صخرة وتجاوبت هوادر في حافتهم وصهيل  
 والاجازة هو اقتران الروي بغيره من الحروف المتباعدة عنه كقوله:  
 حليلي سيرا واركاز الرجل اني بمهلكة والعاقبات تدور  
 قبينا يشرى رحله قال قائل لمن حمل رخوا النساط نجيح



## النجديد في الشعر

ويرى القاريء في القصيدة التالية محاولة من هذا القبيل :

### الارض

لقد ثبتت وما ثبت تقول الارض للناس  
فمن شرق الى غرب ومن قطب الى قطب

ومن رأسي لا طرفي

يمر الدهر كالحلم

على جسمي

فلا يوعن من عزمي

ولا يرهق اعطافي

وكيف أصاب بالهرم ومن ذهب الضياء دمي

وامي الشمس في الفجر بتبلمها على ثغري

تجدد حر انفاسي

لقد ثبتت وما ثبت تقول الارض للناس

\*

صحبت ذنوب الزمان فلم أجد مثل يومي وآفاته

جنون على رمي زحفه وفي اضلعي وقع ضرباته

يلد ضرب المعول

التجديد في الشعر

يقول لي

انت الغذاء والمنى ، يا امناء لا تبخلي  
واما ضربة العار لساب معادن الارض  
وسبك سلاحها الناري على الاطماع والبغض  
فما لي بعدها آس

لقد شئت وما شئت تقول الارض للناس

\*

حملتكم على صدري وفي الانواء مضطربي  
وتحت سنادس خضر كتبت لظى تأجيج بي  
وفوق النار تستمر

أرت ججيمها القاني فساار عليك يا جان  
وطاف بربك الناعى فما لسلام من حام  
وما للاخت من راع وطفلك مهده دأم  
تناغيه وتختصر

تركت عليه من امل الرجوع شعاع محترق  
وطيف اليم في العينين لم يترك سوى الارق

على المنبر

٢١٢

التجديد في الشعر

يتاجي ظلمة اليأس

\*

الا في ذمة الله خيال لاح للسلم  
أطل بنظرة الساهي وطار بخفة الحلم  
فما كحلت اجفاني

فرشت له على جنبي ونير مطارف الحب  
قاسرع دونه المدفع • وخرّب ذلك المضجع  
وغطاه باكفان

وكانت بهجة العيد فلم يترك على بابي  
سوى الاعياد للودود وعن قيثارة الغاب  
اناب انين ارماسي

لقد ثبت وما ثبت نقول الارض للناس

\*

يا لبحر حملته في جيبي من ربيع الامال والايام  
وعناق السماء في زرقه البحر وفي خضرة الشعاع النامي  
واختلاج الفضاء والليل يمضي حافياً في السهول والاكام

التجديد في الشعر

ورماد الضياء يذريه فوقى      قر ساهر على احلامي  
 وصلاة تعلمو مع الموج      والريح على زفة من الانتقام  
 وشذا السكر عاقباني برودي      من مدام الهوى او الاوهام  
 ... صور للجمال شوهتموها      بدخان من حلك الاثام  
 اطفأ النور في الثغور والقي      شبح الجوع في العيون الدوامي

\*

ما لنجوى الاسلاك لا تستفز      اليوم اصداؤها سوى آلامي  
 ولحظ الحديد ارجف من قض      بانه وهي اضلمي وعظامي  
 والجواري من الضفاف اليها      نظرات ليست حديث هيام  
 رسل الفقر والدمار وقبلا      حملت ثروني وصانت حظاهي  
 إلى هذه المخازي انهيتم      بعد نهك العقول والاجسام  
 وعصور من ظلمة وشقاء      وخنوع وثورة وانتقام؟  
 بئس عمرانكم وحكمة جيل      افسدته سياسة الحكام

\*

الا فارجع الى داري      وان شطت بك الدار  
 ولا تهزأ باسراري      ففيها النور والنار  
 لمن يؤمن او يسمي



التجديد في الشعر

أليس الجوع والحب مدار حياتك المره  
فحسبك فيهما حسب بساطة عيشة حره

وجود ينصف الزرعا

إذا ابتسمت على ثغري الاماني فهل تبقى سماؤك مكفهرة  
وما معنى الحلاوة في دنائي إذا كانت على شفتيك مره

عصرت من دم قلبي في كأس حبك خمره

فما تمليت حباً ولا تذوقت عصرا

أكلها فاض رزقي بدات باليسر عصرا

فتتلف الزرع شهراً وتمنع الزرع شهرا

وضعت القيد في نحري فضاعت فيك آمالي

ورحت تزيد في فقري تريب دمي على قسري

تمزق شمل عمالي

فاين الساعد الحر ليحمي الرفش والعول

واين الفتية الفر يلين لعزمها الجندل

عساك تلين قاسي

لتقد ثبت وما ثبت تقول الارض للناس

وعداء الله تعالى عليه	الغضب	نور الإله	الهدى
وسنوء من الشيطان	الفتنة	نور الله	التوفيق
والتفكير في القدر	القدر	نور الله	التوفيق
والتفكير في القدر	القدر	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق
والقوة على الشيطان	القوة	نور الله	التوفيق

## ذكري الدكتور صليبي

أيها السادة

لغيري من الذين عرفوا الفقيد وخبروه ان يقص عليكم تاريخ حياته المجيدة . اما انا فعرفتي به لا تتجاوز حد ما اسمع او اقرأ عنه وهذه المعرفة على ضآلتها ، يرجع عهدا الى ايام الشباب عندما كنت طالبا للطب ، يهمني كل ما له به صلة فكان الدكتور صليبي في عداد من يحيطهم اعجابي بهالة من نور .

وظل هذا الاسم يقرع سمعي حيناً بعد حين حتى الزمن الاخير . وكلما ذكر العصاميون والتواضع او تناول الحديث لبنان وابناءه في ارض الغربة كان اسمه مثلاً حياً على ما يمكن هذا البلد الطيب ان ينبت من الاخير وما يستطيع الذكاء والاجتهاد معاً ان يصل اليه من الابداع . وربما كان لشهرته هذه أثرها الخفي في نفسي فكنت من

## ذكرى الدكتور صليبي

حيث لا ادري استوحياها النشاط في ساعات الضعف والامل في حالات  
اليأس .

من اجل هذا قبلت بسرور الكلام في هذه الحفلة لا مجرد مديحه  
بل مقدمة وفاء من روحي الى روحه .

منذ العصور الاولى وجد بين البشر من فلق بعقله البشر وما  
وصل اليها من مخترعات ذلك العهد المظلم دليل على ان التسويع لا  
يختص بمكان او زمان ، بل هو صفة لازمة للعقل الانساني كاملة فيه  
ككون الحياصة في الحلية تنتظر ان تدق ساعتها لينشق عنها الحجاب  
فترفع صاحبها فوق مراتب الناس . فاذا اضفت الى هذا الاستعداد  
ما يقدمه العصر الحاضر من اسباب البحث والتمحيص والثقافة والبرقي  
ادركت مدى ما يستطيع ان يصل اليه ذلك الذي كتب له ان يكون  
من التوايع .

هكذا الدكتور صليبي فقد جمع الى ادب النفس ادب الدرس ،  
وزاد على ما حلته به الفطرة من الذكاء الخارق اجتهاداً واثباتاً قلما  
يرى مثلها في رجل ، فافلسح في كل ما عمل وكان نابغة في جراحة  
الابدان وسياسة البلدان ولغات اللسان .



## ذكرى الدكتور صليبي

انها وايم الحق لنعمة كبرى ان يفتح المرء عينيه للوجود، ثم يقبس اليه ما يحمل في نفسه من قوة الروح والمادة، فبشعر ان هذا الوجود على عظمته واتساعه لا يقصر من طول باعه ولا يقوى على غمر مدى اطباعه .

جسم كالجبارة يحمل قوة اشد من الحديد، وخلقاً أطرى من الندى، ودماغاً واسع الخيال بعيد مسارح التفكير. بهذا السلاح دخل الصليبي معترك الحياة جندياً يخدم الانسانية والعلم فقارع وناضل ودافع وجادل تارة في ساحة الاقلام وطوراً في ساحة الآلام وآناً في حومة الوغى رسول هدنة وسلام الى ان آذنت الهدنة الكبرى فالقى سلاحه ونام .

نام وسكن قلبه الحفناق بكريم السجايا، وخبث تلك الشعلة المقدسة التي رافقته في جهاده الطويل، بعد ان ترك من اعماله، امرأاً ينتهج على مثاله، وتعزية كبرى لذويه وآله .

يا شعر جد بندى رطيبٍ      أروي به قبر النجيبِ  
قالوا غريب الدار غابت      شمس قبل الغروب  
قلت اني ملك البيان      وكان مفخرة الشعوب

## ذكرى الدكتور صليبي

ومنى اسمه في كل قطر لا يسمى بالغريب  
ما القبر في حجر يقام وزخرف الفن العجيب  
هو للبطولة حين تنشد في الحواطر والقلوب  
فينير من افق الضمير دجى المشاكل والحطوب  
ويخط نهجاً لالاديب اذا التوت طرق الاديب

\*

اني ارى حدين يتبعان في كف الطبيب  
قلم يسيل وهبضع ما جف الا عن خصيب  
هذا الى الجسم المصاب وذاك للرأي المصيب  
قطرات حبر او دم نزلت على ترب خصيب  
سوداء او حمراء غايتها القضاء على العيوب  
علم النبوغ يرف باللونين في الافق الرحيب

\*

يا موحشاً لبسانه من قبل ذا السفر الرهيب  
انا ان رثيتك لا اقلد او ابالغ في النحيب  
لا البدر هاو من ذراه ولا الطبيعة في شحوب

ذكرى الدكتور صابى

لكن لنا للمعلم نام فى الونر الطروب  
يتألون له اذا افتقدوك فى اليوم العصيب  
هي دمة جمدت على شفة المرتل والخطيب

\*

فى ذمة التاريخ ما قدمته يا ابن الصليب  
علما واقداما وتضحية وجباً للقريب  
ذكر يطل من الجيب مجدداً رسم الجيب  
يمشي على نغمات عود او على نفحات طيب

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص

توضیح در خصوص



## حفلة الاربعين لمفتي بيروت

ايها الدادة

في هذه الحفلة التي تقيمها بيروت حداداً على مفتيها السابق لا اطمع بكلمة في هذه ان ازيد قدره تمجيداً او اضيف الى الاكليل الذي ضفرته له الفضيحة ورقاً من الغار جديداً ، انما جئت باسم المسلة الارثوذكسية افي ديناً واجباً عليها لمن احبها حباً أكيداً .

ولغيري من الخطباء ان يعدد اليوم مأثره الكثيرة ، حسي منه هذه الصورة الجميلة التي يتجلى فيها الاخلاص والحلق الكريم لاشعر معظم ما نالتنا من الخسارة في هذا الرزء العميم .

يقول شاعر الفرنسيس : « في الكون ما هو اوسع من الارض اي البحر ، وما هو اوسع من البحر اي السماء ، وما هو اوسع من السماء اي ضمير الانسان » فهذا الضمير الذي يسم الارض والبحر والسماء هو الذي مشى في فضائه مصطفى

## حفلة الاربدين لمفتي بيروت

نجا غير هيب ولا وجل حاملا اعباء امة كبيرة يصونها في دينها ويهديها في دنياها ، محافظاً على تقاليدھا الصالحة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر عاطفاً على الفقراء والمساكين .

وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله .  
ولم تك طريقه مفروشة دائماً بالازهار بل كانت العقبان تعترضه من كل جانب وهو ثابت في وجهها مترفع عن المصالح والاحزاب يفتي بين قومه بما اوتيته من علم وايمان لا يهمه ان خالفت فتواه رغبة الناس على شرط ان لا تخالف الحق واليقين . ولا يسامح نفسه بشيء مما لا يسمح به الدين . والى جانب هذا التمسك بالعميقة والصلابة في الرأي قلب كبير لا يريد الا السلام ولا يحلم بغير الاخاء العام واذا كنا اليوم لا نشعر بتلك السموم التي كانت تنفثها فينا عقارب البغضاء ، اذا كنا اصبحنا بنعمة الله اخواناً محقق لنا قلب واحد بالحلب الانساني والاخاء القومي فلسيرته الطاهرة فضل كبير في تحقيق هذا الحلم الجميل .

هذه هي الصفحة الغراء التي طواها القدر من ماض اجبتناه ولم يبق منه سوى الذكرى . لقد كان مصطفى نجا آخر حلقة من تلك السلسلة اللامعة التي ازدان بها جيد الماضي بمن ضمت من شيوخ العلم

## حفلة الاربعين لمفتي بيروت

والفضيلة . عاش عصرين وقسم حياته بين جيلين ، وفي كليهما كان الرئيس المحبوب السموع الكلمة ، وبين الماضي الحريص على تقاليده والحاضر المولع بمجديده عرف ان ييقى كما هو لا يبدل منها جا ولا يطبق اعوجاجا قانعا من الحياة بان يقوم بالواجب الذي وقف لاجله حياته فكان كالنبع المتحدر من اعالي الجبال يخط في السهل مجرا العميق ويتابع فيه سيره نحو الابدية ومن حوله على الجانبين مروج خضراء يرويها نيمره وفضاء مسحور بطربه خريره .

ايها السادة : ان من كان مثل الفقيد فوته لا يعد خروجا من الحياة بل دخولا فيها فهو يختفي عن الابصار ولكنه لا يزول . وكما انشقت الارض لتضم في ظلماتها مثل هذا الرفات تنشق في السماء سحبات من النور تلتحف بها الروح الكبيرة .

ولقد اصطفتيناه في الدنيا — وانه في الاخرة لمن الصالحين .

واني على يقين ان تلك الروح راضية اليوم في مقرها العلوي لان خلفه في الافتاء اهل لان يكمل ما بدأ به فنرى في المنصب الجديد جهداً جديداً واخلاصاً جديداً وعظمة جديدة للملة الاسلامية وللانسانية .





## سباق الخيل في مجلس النواب

أيها السادة

ان القانون المعروف علينا اليوم يتناول موضوعا هاما يستحق البحث من وجوه عديدة . فقد صار السباق الشغل الشاغل لابناء هذه البلاد وحديث الخاصة والكافة وفي كل يوم ضجة ترتفع من حوله وشكوى يتردد صداها في الاندية والمحافل والبيوت حتى التبس الامر وتشوش على الازهان وتوارى في تياره وجه الحقيقة عن السباق فمن قائل بابقائه ومن قائل بالغاءه وبين هذا وذاك لا تزال الجماهير منصرفة اليه حائرة عليه تعقد بارسائه الامال وتنفق في ميدانه الاموال ولا تستقر منه على حال من الاحوال .

ولهذا استميحكم قبل النظر فيه وقفة قصيرة نأخذ بالموضوع من اوله ونأتي على سائر اطرافه تمهيداً لما تريدون من البحث وتأسيساً للنظرية التي سنعرضها عليكم فترون هل هذه الضرورية التي تأتينا بها

## سباق الخيل

الحكومة اليوم فادحة او غير فادحة ممكنة على شكلها الحالي او غير ممكنة .

ولا بد لي بادىء ذي بدء من المجاهرة اني لست من عشاق السباق ولا غواة المراهنة وقلما وطأت قدمي ميدان البارك ، وقد تفضلت اللجنة فارسلت دعوة تبيح لي الدخول اليه على مدار السنة وحتى اليوم لم استعمل حتي بها الا مرة واحدة في الايام الاخيرة فاذا تكلمت فعن نزاهة واخلاص نية وعقيدة افضى بي اليها درسي للموضوع .

ان سباق الخيل على وجه الاطلاق عمل نافع محمود الاثر وقد كان له عند الاقدمين من عرب ويونان ورومان شأن عظيم اما العرب فلا ازيد كم بهم علما وهذه واقعة داحس والغبراء لا تزال شاهداً حياً على ما كان لهم من العناية الخاصة والمفاخرة بهذا النوع من الرياضة. واما اليونان والرومان فقد كانوا يتنازعون جوائزهم في العاب الاولمب وبعد ان جعلوا ركوب الخيل للسباق خاصاً بالعبيد اصبح غرض النبلاء تترامى بهم اليه وساوس الممهم حياً بالزهو والبهو من جانب وتمرنا على خنة الحركة واستعداداً للجندية من جانب آخر . وقد بقيت هذه العادة منتشرة الى ما بعد ظهور النصرانية وكان الناس ملتها بعد ان

## سباق الخيل

شمرت بالحاجة الى تأثيرات اشد وابعد مرمى في النفس فشغلت عنها بمصارعة الثيران وما اشبه الا ان بعض الامم ظلت محافظة عليها حتى انه لتعصر الثامن وعندما تيم عرش برلونيا وبات الشعب في حيرة لاختياره ليكنه لم يجدوا سبيلا اقرب من جعل التاج جائزة الفأز في ميدان السباق فناله رجل خامل الذكر وصار به بين عشية وضحاها الامر المطاع .

ثم انتشر السباق في انكلترا وفرنسا الى ان جاء نابوليون فوضع له نظماً واحكاماً وكان من اهتمام ارباب الخيل باختيار القوي منها ان تحسين النسل اصبح النتيجة اللازمة لسلك سباق في كل امة .

اذن ايها السادة ليس السباق في ذاته امراً اذاً بل هو عادة جميلة مستحسنة شائعة في كل بيضة راقية وقد ادى وسيؤدي لبلادنا خدمات كثيرة من الوجهتين الادبية والاقتصادية . اما الادبية فلأن المدينة كانت فيما مضى تعج بالناس ايام الاحاد والاعياد وتغص مقاهيها بالعاطلين وغيرهم وفيهم الجاهل والمقامر والسكير فلم يكن ينقضي اجتماع دون ان يحدث ما يكدر الامن ويهتك صفو السلام من ضرب او خصام او مشاجرات دموية . كل هذه الجماهير تحولت اليوم الى الملعب تطالب

## سباق الخيل

فيه قتل الوقت بالتسلي . نعم هناك فئة رابحة وفئة خاسرة ومن البديهي ان تكون الخسارة مدعاة للتذمر والشكوى ولكن السواد الاعظم يرجع مسترضياً راضياً عن صرفه يوم العطلة بما ابعده عنه السامة والضجر . فضلا عن ذلك فان الملعب اليوم قد اصبح ملتقى اهل الذوق والكياسة والظرف والحفة والادب والمال يتذوقون فيه بهجة الاعياد ولذة الاجتماعات واطايب الاحاديث مما لا سبيل اليه في موضع آخر . واما منافعه من الوجهة الاقتصادية فهي فيما يهيم لتفر غير قليل من اسباب التبعث فيه ٤٠٠ مستخدم من الفقراء المساكين اذ يجاب العيال الذين لا قبل لهم بعمل آخر يرتزقون منه عدا عن ٥٠٠ سائس يعشون في كنفه . وهي في رواج تجارة الشمير الذي هو من حاصلات البلاد وفي تنشيط الصناعة الوطنية بما تتطلبه صناعة السروج من الجلد الذي هو ايضاً للبلاد ومن الايدي العاملة فيه ثم ان الخيل التي تظهر غير صالحة للسباق تباع بثمان رخيص وتستعمل لجر المركبات وهذه ايضاً تصنع في البلاد وقد تخفف بعض الشيء من الحاجة الى السيارات وما وراءها من النفقات .

ولكن ام هذه المنافع وادعاها الى البسطة والعز هو تحسين نسل



## سباق الخيل

الخيل وترويح تجارتها : من المعلوم ان الخيل العربية هي اجمل خيول العالم وقد تغزل بها الشعراء تغزلهم بالمرأة وفي الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقد اقسم الله بها في كتابه العزيز « والعاديات ضبحاً فلموريات قدحا فالمعيرات صباحاً » ولا ترى على وجه البسيطة جواداً يحاكي الجواد العربي في مزاياه فهو واسع الجبين طويل الاذنين لماع العينين ضعيف الوجه صغير النم عريض الانف طويل العنق ناتئ الصدر مستدير الكفل وهو سمس ركاض قادر على احتمال المشاق والمتاعب والبرد والحرق وفيه يقول الشاعر :

احبوا الخيل واصطبروا عليها فان العز فيها والجمال  
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فاشركنا العيالا  
نقاسها المعيشة كل يوم وتكسبنا الاباعر والجمالا

ان خيلا هذه صفاتها لا تعرف سوقها الكساد، من اجل ذلك كانت الحكومات الاجنبية ولا تزال تسعى الى اقتنائها فتمتعت حينئذ بعد حين من يمتاعها لها خصيصاً من هذه الديار كاليابان واسبانيا والبورتنغال وايطاليا وفرنسا واليونان وقديماً اقام الملك لويس فيليب في سان كلود حريسة خاصة بالخيل العربية الاصلية . كل هذه الدول

## سباق الخيل

كانت لثلاثين سنة خلت تأخذ حاجتها من هذه الخيول في بلادنا ثم انصرفت عنا الى مصر لان مصر سبقتنا في اتقان حرائثها فتحولت تجارتنا اليها . اما الانكليز فقد استغنوا عنا منذ عهد بعيد لان الجواد الانكليزي المشهور بحاله هو من اصل عربي وقد بلغوا من العناية به وتعهده الحصال الطيبة فيه حدا جعلهم يقفون عنده راضين مستعزين . فاذا انتبهنا نحن اليوم من غفلتنا ووفينا هذه الخيول حقا من العناية كانت لنا مورد ربح جزيل يشهد لذلك ان جوادا منها بيع في العام الماضي بثمائة ليرة ذهباً وقد بدت طلائع هذه العناية المنشودة تظهر منذ عامين فقد كان في اللعب لاول عهده ٣٥٠ حصاناً فصارت اليوم ١٥٠٠ وكان ما اصدر منها الى الخارج في السنين الاولى ١٥٠ ثم ٣٥٠ وها هي اليوم تبلغ ٢٢٠٠ حصان بمعدل ٨٠ ليرة ذهبية الحصان وقد كان البدوي او شيخ القبيلة فيما مضى يبيع فرسه ليشتري سيارة فورد فلما رأى القوم يطوفون في الصحراء لشراء الخيول الاصيلة انعكست الاية فباع البدوي سيارته واشترى جواداً للحريسة فقامت صناعة محلية لم تكن من قبل وتكونت في البلاد نواة ثروة جديدة وهذه الثروة ستزيد عندما يتسنى للجنة السباق ان تولي عنايتها شطر

## سباق الخيل

البادية وتسيطر بوجه ما عليها وذلك لان العرب وان كانوا يهتمون بالخيال الاصيلة فاهتمامهم مقصور في الغالب على ما يسمونه الرسن اي ان ما يهتمهم منها ان يعرف اصلها وفصلها بالتسلسل وحسبهم ان يكون الجواد خالص النسب والدم ليحيلوه للتزاء دون ان ينظروا الى بعض الخلل الذي قد يصيب جمال التكوين عرضاً . والبدوي لا يهتمه ان كان الجواد بمن كتب له الفوز مراراً في حلبة السباق ولا تعنيه الجوائز الكثيرة التي تشهد لجده يهيمه ان يكون، عريق النسب متسلسل الاباء والجدود ولهذا اهتمت لجنة السبق بتلافي هذا النقص فلا تقدم للبدوي لاجل التزاء الاجواداً مكتمل الشرطين من حسب وجمال وهكذا تعود للخيال العربية صفاتها الاولى على اجمعها وترجع تجارتها الى سابق عزها فتصير سوق العالم على الاطلاق .

واذا نظرنا الى ما تعمله الدول الاخرى اليوم لاجل السباق وكيف ان ملوكهم يعنون بانشاء الاصطبلات العامرة له كماهل اسبانيا السابق وملك الانكليز والملك فؤاد ادر كسنا ما يمكن ان تجنيه من وراء العناية بالخيال وتبين لنا كنه هذه الثروة الكامنة في البلاد العربية وتأكدنا ان شركة السبق على حق فيما تنفقه من الجوائز



## سباق الخيل

ترغيباً لارباب الخيل بالمجيء الينا من اطرافها النائية . فضلا عن ذلك فان هناك فائدة اخرى سنشعر بها بعد قليل لان هذه الحركة المباركة ستؤثر في مورد الاصطياف اذ يزداد عدد من يؤم هذه الجبال بما تقدم به ميادينها وما يزين لهوها لاصحاب الخيل وعشاقها منهم .

تبين مما مر ايها السادة ان السباق ليس هو مدار الملامة والشكوى عليه وما كنا لتتيم القيامة على عمل اجمع العالم على مدحه واستحسانه انما الشكوى من بعض انواع المراهات التي تجري فيه ومن التلاعب والمؤامرة والغش الذي يشوه محاسنه ويفسد الغاية منه . وهاتئذ الم بهاتين النقطتين .

قنت بعض انواع المراهة ولم اقل كلها لان من المراهات ما هو مقبول وشائع عند كل الامم منذ القدم وهو ما يقال له الرهان المتضامن فهذا النوع من الرهان لا سبيل الى منعه لانه داء البشر المتأصل في عروقه وقد بلغت الخسارة فيه لعهد لويس السادس عشر مبلغاً هائلاً حتى حاول هذا الملك ايقاف تيارها فكان يحضر الملمب ويراهن بنفسه بمبلغ زهيد جداً على امل ان يقتدي به الشعب ولكن على غير طائل وقد تغلغت عادة الرهان عند الانكليز في كل شيء فتجدها في المصارعة



## بناق الحيل

والملكمة وتناطح الاديالك حتى في سقوط الوزارات وقيامها بل انهم ارادوا ان يراهنوا على الملكة فكتوريا وبها حمل أذكر تلدام انثى وقد بلغ حب المراهنة من بعضهم انه راهن مبالغ جسيمة على مروض مشهور للسباع في انه سيذهب فريسة سباعه واخذ هذا المراهن يتعقب رجله اين حل ويرافقه في سفراته ويجلس في الصف الاول من الشهود ويحد النظر اليه حتى اتبه المروض فسأله متعجبا ألى هذا الحد تمك هذه الالعب فلا تتخلف يوما عن الحضور اليها فاجابه بـرود لا تهمني اكثر من سواها ولكني انتظر بفارغ الصبر الساعة التي يأكلك بها الاسد.

والرهان على راي بعضهم واجب الوجود في المجتمعات الراقية لانه يحل مشاكل كثيرة ويسد على الجدل والناقشة ابوابا توصل لولاء الى الخصام والمبارزة في اكثر الاحايين.

ومما يقال عن الرهان البسيط يقال عن الدوبله ايضاً . هنا يخيل لي اني اسمع من حوالي همساً وارى علائم الاستغراب على الوجوه فقد انفضت كلمة الدوبله ولم اتعوذ من الشياطين ولم استغفر الله العلي العظيم ومع ذلك فالدوبله اليوم هدف الشاكين والمتقدين وقد شدت عليه

## سباق الخيل

غارة شعواء اشترك فيها التاجر والصحافي والاديب . عفواً ايها السادة انا هنا في مقام البحث التزيه المعتدل والذي سمعت ان هناك حملة مقصود اليها ينكشف لكم عنها الستار وما اکتتمكم ما يحتاج الانسان اليه من الجرأة الادبية والصراحة في القول لمجاهة هذه الحملة فلننظر اولاً ما هو الدوبله ؟ هو كما يدل الاسم رهان مزدوج اي انك مثلاً بدلا من ان تراهن بليرة سورية على جواد واحد تراهن على جوادين بالليرة نفسها هذا هو معنى الدوبله وهذا خبره وخبره وميزته على الرهان البسيط ان املك في المكسب يقل لانه تقيد بجوادين بدلا من جواد ولكن ربحك يزيد اما خسارتك فهي كما لو كانت على جواد واحد . هذه هي كل العملية . بسيطة كما ترون لا يخاطر المرء فيها بثروته ولا يتحمل من الخسارة اكثر مما اراد ان يتحمل في الرهان البسيط واذا كان البعض قد صورها كالبيع يفترس اموان الناس فربما كان ذلك ليحولوا الافكار عن البيع الحقيقي الذي ساذكره لكم . نعم للدوبله خطر كبير وهو انها تفري الناس بالراهنة فيتقدم عليها حباً بالربح الكثير من لم يكن تخطر على باله ولكن هذا الاعراء موجود في غير الدوبله ايضاً فهل كان الينا نصيب الذي تسمح

## سباق الخيل

به كل حكومات العالم الا اغراء ؟ ومع ذلك فقد نزلت لجنة السباق على ارادة الرأي العام فضيقت الدائرة على الدوبله وحصرته في البارك ولا اظنها تمنع في ابطاله تماما اذا كان في هذا الابطال علاج للسداء ودرء للبلاء .

ولكن الاغراء الصحيح الفاضح ولكن الخطر الصريح الفادح ، ولكن البعبع الحقيقي الذي يجب على الحكومة الضرب عليه بيد من حديد هو الرهان في الخفاء ، هو البارولي الذي يجري في زوايا المخازن والمقاهي ومنعطفات الطرق ولا دخل به لشركة السباق . في الدوبله يذهب من الشعب ويعود الى الشعب فيخسر فريق ويربح فريق وهو على كل حال يجري علناً على مسمع ومرأى من الجميع ، واما في البارولي فلما لا يعود الى الشعب بل يتسرب الى واحد او اثنين او ثلاثة من المنتزعين الذين يضعون المال في جيوبهم ولا يراهنون عليه . واذا كان بين الزملاء الكرام من يجهل هذه اللعبة الشيطانية فهنذا ازيدة بياناً . فالبارولي هو الرهان المقيد باشواط عديدة . مثلاً يوجد ه اشواط فتراهن على خمسة جياذ واحد من كل شوط اي انك لا تكسب الا اذا فاز الخمسة ولكن ربحك يكون عظيماً اذا يضرب مكسب



## سباق الخيل

الثاني في الاول والثالث في حاصلها وهلم جرا وقد تبلغ القيمة مئات والوفا من الليرات فانظروا اية شبكة من الدهاء والاغراء حاكبتها هذه اللعبة الشيطانية لان المراهن خسران على طول الخط اذ انه من الصعب ان لم تقبل المستحيل ان يصدق حزر المراهن على خيول الاشواط كافة .

ولنفرض الان ان هذه الفئة التي تعمل في الخفاء قد جمعت من المراهنين عشرة الاف ليرة فما تكون غايتها القصوى لتحفظ بهذا المال المجموع والذي لا ترى منه شركة السباق البارة الفرد؟ هو ان يقصر احد هذه الجياد الخمسة عن مدهاء . يكفي هذا الحادث ليقطع امل المراهنين وتضمن الربح للملتزمين وهو امر يسهل الوقوع فهل سمعتم ان احداً ربح بالبارولي الا ما ندر . فضلا عن ذلك فان لهذه الفئة طرقا كثيرة تحمي بها نفسها فاذا رأت او اشبهت ان الفوز مقدر للاشواط كلها وكان في ذلك خسارة كبيرة عليها تذهب باكثر ما جمعت فلا تعدم وسيلة لتلافي الامر من رشوة او غير ذلك ولو اضطرت الى ابتياع جواد من الخمسة لانها اذا اشترت الجواد صار لها حق التصرف فيه كما تشاء دون ان تثير الشبهات كأن تمنع الجوكي مثلا من



## سباق الخيل

استعمال الكرياج او المهاز وهذا امر يخولها اياه القانون لانه كما لا يخفى ان السباق وجد في الاصل لهواً للنبلاء فكانت الثقة موجودة وكان من اللازم حماية الخيل ومنع ارهاقها بالضرب والوكز فوضع هذا القانون ولا يزال يعمل به . هذه هي لعبة البارولي التي يفتنى بها واحد ويقتصر مئات والوف هذا هو العلق الذي يمتص اموال الفقراء ومتوسطي الحال من حيث لا يشعرون هذا هو الخطر الذي نشد الحكومة ان تتسلح بكل الوسائل لدفعه وان تبث الارصاد في كل ناحية لقتله .

بقي علي الكلام عن السبب الثاني لشكوى الناس وهو الغش والتلاعب في المراهنات حتى العادية فهو امر يحدث في كل بلاد وما اكثر الصعوبات التي تعترض المحكمين من جرائمه . وقد روي عن البرنس دي غال نفسه الذي صار فيما بعد جورج الرابع انه اضطر لشيء من مثل هذا ان يستعني من عضوية نادي السبق ويمتنع عن الاشتراك بحفلاته ١٣ سنة . وبما يزيد في الاسف ان هذا الغش او التلاعب او المؤامرة لا يقتصر ضرره على المراهنين بل يتعدى الى الغاية المطلوبة من تحسين النسل لان الجواد المدرب على السبق يدرك عادة مايرجى منه كانه على تقاعم مع صاحبه ولكن عادة الجوكية بتأخيريه احيانا

## سباق الخيل

او بتجريعه قبل الركض بعض العقاقير المهيجة قد تزعزع هذا النظام  
نعم كان الجواد قديماً يعلم اي اهل يعلقه عليه صاحبه واية تبعه  
يربطه به فكان ينمو فيه شعور المنافسة والطاعة مما يغنيه عن الكرباج  
والمهاز .

يحكى ان جواداً انكليزيا اسمه فورستر كان يربسح في كل شوط  
جرى فيه فوقع له يوما ان تراقق في الميدان وجواداً آخر اسمه فيل  
وكانت المسافة المحدودة ٤ اميال على خط مستقيم وقبل الوصول الى  
الهدف شعر فورستر ان منافسه الجديد قد سبقه فاجهد نفسه للحاق به  
ولما اعياه الامر وثب وثبة يائس وعضه في قفاه ولم يستطيعوا فصله  
عنه الا بعد الجهد الجهد ، هذا الشعور بالواجب الذي تخلقه العادة  
والتربية لا تجده له اثرأ في خيل هذه الايام مما يضطر السائق الى تهيجها  
ووخزها لتزيد في سرعتها . وما ذلك الا لضروب التسلاعب التي  
تستنبطها الجو كية فلا يكون الركض على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر  
نما يضع معه عقل الجواد وتفسد تربيته كل هذا لان التسلية واللهو  
المقصودين في السبق قد تحولوا الى مطعم للكسب ومتى وجد الطمع  
فقل السلام على الشرف والامانة والصدق والاخلاص في الخدمة .

## سباق الخيل

على ان للجنة السبق هنا قانونا صارما يعاقب من يقدم على هذه الخيانات عقابا شديدا . وقد وقع لها في العام الماضي ان طردت دفعة واحدة سبعة من الجوكية واثنين من ارباب الخيل ولعهد قريب طردت جوكيا آخر ثم اثنين نعم يمكن انشاء جوكي كلوب كما في الامم السابقة لنا في هذا المضمار يسيطر ادبيا على لجنة السباق ويكون منها بمنزلة محكمة التمييز بالنسبة الى سائر المحاكم ولكن اللجنة الموجودة الان كافية ضمانا للمراهنين فينزولوا عند حكمها لانها مؤلفة من اعضاء لا خيل عندهم للسبق فلا غاية لهم بالكسب وقد اظهروا تجردهم في الاحكام التي اصدروها وفيهم غير واحد من الاجانب المشهورين بالخزم والنزاهة كالجنرال ماسيت والمسيو هانو قنصل انكلترا والبارون ده بسار والمسيو بيكو فضلا عن تضم من كرام النواب ووجهاء البلاد واطن ان من سميتهم لكم اهل لكل ثقة وفيهم الضمانة الكافية من هذا القبيل وهي تخفف التلاعب ما امكن اذا تعذر ازالته .

ايها السادة

بعد هذه النظرة العامة التي ذكرت فيها اهمية السبق ومنافسه واتي على اسباب الشكوى مما يجري في الدوبله والبارولي من اجانب

## سباق الخيل

والتلاعب والمؤامرة من جانب واظهرت ما تعمله لجنة السبق وما يجب على الحكومة عمله حان لي ان اصل الى الضريبة المعروضة علينا اليوم والتي هي بيت القصيد من هذا الموضوع .

لاول وهلة يخيل لنا ان هذه الضريبة بسيطة ممكنة ليس فيها على شركة السبق من الخيف كثيره ولا قليله ولكي تسهل الحكومة علينا ابتلاع الحبة وضعت عليها طلاء مذهبا فقالت ان حكومة فرنسا تأخذ من الاحد عشر في المئة ٧ في باريس و٤ في الملحقات فهي باكتفائها بازال ١ ونصف قدرحت الشركة وتساهلت معها كثيراً ويشجع الحكومة على هذا القول ما يساور الناس من الاعتقاد ان ارباح الشركة باهظة لا تؤثر فيها هذه الضريبة على انه يا سادة يكفي قليل من حسن النظر والتثبت في الامر لتنتهي الى غير هذا الاستنتاج واليك البيان :

من المعلوم ان بين فرنسا ولبنان فرقا واضحا وبونا نازحا اولاً لان عدد الذين يخلّفون الى ميادين السبق في فرنسا عظيم جداً لا يعد ما عندنا بالقياس اليه شيئاً ، ثانياً لان مجال المراهنة عندهم واسع المدى لا ينحصر في دائرة ضيقة والرهان قائم على قدم وساق في كل مكان



## سباق الخيل

وتكاد لا تجد حياً من احياء باريس لم يقم فيسبة بناية واسعة الادارة يتراحم الناس على ابوابها ويقطعون فيها اوراق مرهنتهم . ثالثاً لان اصحاب الخيل هناك اكثرهم من ذوي الثروة الواسعة فهم ينفقون الالوف على جياهم لزهوم ولهوم ولا يهمهم ربحوا او خسروا اما هنا فعدد المغرمين بالسباق محدود حتى ولو شمل اهل البلاد كافة والمراهنة خارج المبارك ضيقة التطاق ان لم نقل لا وجود لها وقلما تجد بين ارباب الخيل المعدة للسبق من يملك غير جواده فهو الخيلة والقنيلة ، قد انفق في سبيله العزيز العالي على امل ان يدر عليه الريح الكثير فاقل فرق في الدخل يؤثر فيه . كل هذه الفروق تجعل ضريبة الحكومة هذه ثقيلة على شركة السبق ترهقها وربما قتلها قتلا فلا يبق شركة ولا سباق ويقضي على عمل وطني بلغت نفقاته حتى اليوم ٣٥٠ الف ليرا ذهباً وتذهب منافعه الجمة التي عدتها لكم في صدر هذا الخطاب وتحرم البلاد من رياضة اطلق عليها اسم رياضة الملوك بجهاها وجلالها ولا تحسبوني مازحاً او مغالياً فما ارسلت القول جزافاً وهذه الارقام امامي اصدق بيان واسطع برهان .

في فذلكة الحكومة التي بين ايديكم بيان واردات الشركة

## مباق الخيل

ونفقاتها لسنة ٣١ وهي تلخص بزيادة ٩١ الف ليرا في الواردات  
وهذه الزيادة وزعت كما هو معروف لدى الجميع على الوجه الآتي :

٤٠ في المئة	»	»	لزيادة الجوائز
٤٠	»	»	لارجاع رسوم قيد الخيل
١٠	»	»	للحريسة از اسطبل
			الحكومة
١٠	»	»	للادارة

ولا يغرب عن البال ان هذا المبلغ او الزيادة في الواردات ستنقص  
في السنة الآتية لانحصار الدوبلة في البارك فقد كان دخله سابقا ٣٠  
الف ليرة في الدورة فنزل الى الالف

ولكن لنفرض ربح الشركة الصافي سيبقى ٩١ الف ليرة اي ٣  
في المئة من الاحد عشر التي يحق لها اخذها من مجموع المزاخات  
لان الثمانية الباقية ذهبت نفقات كما هو مفصل في بيان الحكومة من  
اجار وانشاءات وجوائز وغير ذلك فاذا تطلب الحكومة اليوم من  
الشركة ؟ ان تتقاضى هذه - ٩ بدلا من ١١ بانقاص - ١ يعني يريد  
ان هذه الثلاثة في المائة الباقية كربح صاف للشركة تصبح - ١ وبما

## سباق الخيل

ان الحكومة ستأخذ ايضاً من رسم الدخول ١٠ الاف ليرة اي نحو نصف في المئة فيكون ما تأخذه الحكومة ٢ في المئة فلا يبقى للشركة الا ١ في المئة

اي ان التسعين الف ليرة تصبح في نهاية الامر ٣٠ فهل هذا ما تريده الحكومة هل تريد ان تكون شريكة للجنة السابق؟ اذا سألتها هذا السؤال كان جوابها النفي بلا ريب لانه لا يحق لها ان تكون شريكته ولكن عملها هذا هو اكثر من شركة لانها تأخذ ثلثي الارباح . تأخذ ٦٠ وتبقى للشركة ٣٠ ومن هذه الثلاثين يجب على الشركة ان تنفق على حاجاتها تسعين وهي عملية لا تتم الا باعجوبة من مثل الخسة الارغفة التي اطعم بها السيد المسيح خمسة الاف وقد مضى زمن العجائب .

ايها السادة مما شرحته لكم يظهر بجلاء ان هذه الضريبة جاءت في غير اوانها وانه اذا كانت الحكومة كما ادعت تريد تشجيع مؤسسة سبق لتلحق بمكانة العاصمة ( واني اورد هنا عبارتها بالحرف ) فعليها ان تقف لها جوائز لا ان تسلبها ثلثي ارباحها ولو انها اهتمت بان تأخذ من الربح الصافي مثلاً لكان الامر لان الشركة تستطيع حينئذ

## سباق الخيل

ان تملد ميزانيتها وفقاً لذلك فبدلاً من ان تخصص ٤٠ في المئة لزيادة الجوائز ومثلها لرد رسوم القيد تنزل هذا التخصيص الى ٣٠ او اقل لتعطي الباقي للحكومة وهكذا تضايق الشركة بعض المضايقة ولكنها لا تحتق اختناقاً . واني ملافاة لهذا الضيم وارااحة لضائركم ايها السادة اقترح قبل البت في المسألة تأليف لجنة من هذه الندوة تجتمع ملياً برئيس نادي البارك كما جرى يوم الاضراب ضد شركة الجبر والنوير فقد بقيت المحاربة دائرة أكثر من شهر بين اعضاء المجلس ورئيس الشركة . ان نادي البارك هو غير شركة السباق واعضاؤه محظور عليهم ان يملكوا خيالا للمسابقة فهم من هذا القبيل مجردون من غاية المكسب وكل ما يأخذه النادي من السبق هو اجرة المكان وهو مبلغ زهيد قصد به الى تشجيع المؤسسة ومساعدتها . تقول الحكومة ان الشركة تستطيع ان تتحمل هذه الضريبة والشركة تقول لا فان الحقيقة . افلانها شركة وطنية اسهمها باقية في البلاد يريد ان نلحق بها هذا الحيف ؟ ان للشركة قانوناً قبل درسه ؟ هي تقول انها على اتفاق مع البلدية يحق لها ان تقفل ميدانها عند الضرورة وتطالبها بالتعويض فعلام الشرع ؟ السكي تأخذ الحكومة ٦٠ الف ليرة تأتي عملا



## بناق الخيول

لا عدل فيه ولا حكمة ؟ هل تريدون رأيي الصريح ايها السادة ؟ من العار ان تقبض الحكومة من ارباح شركة السباق لسد عجز ميزانيتها كل حكومات العالم تضع ضريبة على السباق ولكنها لا تدخلها الخزينة ابداً بل تنفقها في سبيل آخر . تنفقها على الاعمال الخيرية والشاريع الاجتماعية ، على مكافحة السكر وانشاء السلاجىء والمصحات ، على الحرائس لتحسين نسل الخيل . وعلى ذكر الحرائس اقول ان الشركة اشترت في العام الماضي جوادين من اصل المال المعد للاصطبلات كفاي فذلكم الحكومة والباقي وضمت وزارة المال يدها على قهذه وتحسين النسل الذي نسمى اليه وبني حق تأخذ الحكومة مالا اعد لهذه الغاية واين يكون التشجيع الذي تمدنا به وتنتظره منها ؟

الخلاصة ايها السادة ان حاله الشركة لا تسمح كما ترون بان تتحمل الضريبة على شكلها الحالي والذي اطلبه من الحكومة بهذا الصدد ثلاثة امور اولاً ان تمنع الالاماب الخفية فكلها فضيحة وبلية ، ثانياً ان تدع الشركة وحدها تبرز للميدان فهي مكفولة وما تجمعهم من الناس رهانا تميمه جوائز واعاشات واحساناً ، ثالثاً ان تأخذ ضريبتها من الربح الصافي بعد الاتفاق مع الشركة او تخفضها ، ان اما تقدم المشروع كما هو

## سباق الخيل

وتطلب منا التصديق عليه بطريقة عمياء فهذا ما لا يقبله الضمير وارجو  
من زملائي الكرام وفيهم كل حر نزيه ان يوافقوني على هذا الرفض  
فلا يحكموا الا عن يقين والله احكم الحاكمين .

## العلم والادب

[ في حفلة تكريم الاب المألوف ]

ايها السادة

عندما دعيت للكلام في هذه الحفلة التكريمية آنت من النفس  
ارتياحاً خاصاً ، ذلك لاني وجدت لها مزايا ليست في سواها :  
اولا لان الساعين اليها والقائمين بها هم من مختلف المذاهب  
والاحزاب ، فاجتماع كلمتهم دليل على اتصاف الحب والتساهل في هذا  
البلد .

ثانياً لان المحففى به له على حق النسب ، لا نسب الاسرة وان  
كننا من ارومة واحدة غسانية ، ولا نسب المهنة وان يكن الطب  
والكهنوت صنوين في عرف الكثيرين ، بل نسب الادب وهو اوسع  
رحاباً وامناً اسباباً .

## العلم والایمان

ثالثاً لروح التجدد الظاهر في هذه الحفلة اذ لم نجتمع للضرب على  
وتيرة واحدة باحراق بخور الثناء وترديد عبارات مألوقة من مدح  
وتبجيل <sup>تقال</sup> في كل آن وتنطبق على كل انسان او بالاحرى لا  
تنطبق على احد من الناس اياً كان .

ولقد احببت ان اراجع نفسي واتبين السبب الذي من اجله اشعر  
نحو الاب معلوف بهذا الميل والاحترام اللذين يشاركني فيها شيوخ  
البلاد وشبانها ، فاحذت استعرض الناس في خاطري ، من عرفت  
ومن لم اعرف ، ونظرت هنا وهناك وقابلت بين هذا وذاك فاذا بي  
اقع منهم على فريقين لا ثالث لهما .

لا اقصد الصالح والشرير لان الصلاح لا يكمل في مخلوق ولا بد  
للقلب البشري من ان يتلاقى فيه الضدان فيكون الشر الى جانب  
الحير وان اختلفا في النسبة والمقدار .

ولا اقصد الغني والفقير لان الغنى الصحيح لا يكون الا بصحة  
الجسم وسلامة الضمير او كما قال الشاعر :

غني بلا مال عن الناس كلهم وليس الغنى الا عن الشيء لا به  
ولا اقصد السعيد والبائس لان السعادة والبؤس يتعاقبان على



## العلم والايمان

الجميع ولكل منا نصيبه من الهناء والشقاء .

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر  
ولا اقصد القوي والضعيف لان قوة اليوم قد تزول فتصير ضعفاً  
في الغد .

ولا الجميل والقبيح لان الجمال نسبي ، وهو في الروح كما هو في  
المادة . وقد قال رنان : الانسان يخلق جمال من يحب وقداسة من  
يؤمن به .

لا اقصد شيئاً من هذا ايها السادة ولكني نظرت الى المجتمع من  
وجهة الحق الطبيعي والواجب الانساني فلم يكن لي فدحة عن تقسيمه  
الى فئتين : فئة عاملة وفئة خاملة او بالاحرى فريق يحكد وينفع ،  
وفريق يستريح ويتمتع او بعبارة اوسع فريق يمشي في طريق الحياة  
حامل اعباء الناس وفريق يمشي متكئاً على غيره من الناس . وتمثلت  
لي حياة الاب معلوف بما فيها من جهد وزهد وتضحية ونكران ذات  
فاذا به في طليعة الفئة الاولى اي العاملة المجدة المخلصة النافعة فاكبرت  
قدره وادركت السبب الذي من اجله احبه انا ويحبه ايضاً سواي .

ايها السادة

ان الشرعة الاولى التي تسير خطوات الانسان في هذا العالم فرداً

## العلم والايمان

ومجموعاً هي حب الذات ، بها قام وبها نما وبها تكاثر وارتقى . فحب الذات فضيلة على شرط ان لا يخرج عن حدود الاعتدال والحكمة الى الافراط والجنون . قال الورد بر كنهاد : الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان ، ان المحرك الاول للمرء سواء كان في حياته الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية هو المصلحة الذاتية . ولكن هناك صوتاً غريباً عن البشر يردد صدهاء في نفوس البعض ممن اصطفاهم الله لخدمته ، ومن اجل هذا الصوت شد الاب معلوف عن القاعدة العمومية فلم تكن المصلحة الذاتية بوجه من الوجوه قائده في الحياة . هذا الصوت هو القائل من اراد ان يخلص نفسه اهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي خالصها . والذي يعرف حياة كاهننا الجليل منذ كان على مقعد المدرسة الى يوم انتظم في سلك الرهبنة الى الساعة التي نحن فيها يرى انه كان ابداً مسيراً بسحر تلك الآية الكريمة . فقد جد في طلب العلم حتى فاز ، ثم دخل ميدان الحياة الفائرة فلم تقو على اخماد الجذوة المقدسة فيه فدرس اللاهوت وهبط لندن حيث انفتحت امامه ابواب الدير وهناك قضى اجمل ايام شبابه بين صلاته وكتابه ، ولما تاملت ابرشية بيروت للروم الكاثوليك دعوى لبرعاها فابى ، ولم يجد الحاح

## العلم والايمان

المرجع الاعلى في تحويله عن قصده بسبل كان جوابه لمريديه لم ألبس  
هذا الثوب في سبيل العالم ومجده .

هكذا بين هذين الصوتين المتناقضين صوت الفطرة الذي يسميه  
علماء الاجتماع المصلحة الذاتية ، وضوت المعلم الكبير الداعي الى  
التضحية لم يتردد الاب معلوف في اختيار طريقه ، وكما قال شاعر  
الفرنسيس في هرقل البطل ، وقف على مفترق الطريقين فابصر اللذة  
تبسط له يديها ولكنه رأى الفضيلة اجمل فسار اليها .

وعلى وجوده في بجوحة من العيش وبسطة من الجناه في حضن  
اسرة كريمة نابهة الذكر، عاف اباطيل الحياة مكثفياً من حطام الدنيا  
بلباس اسود ، ومن قصورها بحجرة صغيرة ، ومن انوارها بسراج  
ضئيل على مكتبته عائشاً من عقله وقلبه في عالم واسع جميل يحمل فيه  
العلم الى الايمان ، العلم الذي يقول انظر والمس وزن وقس ولا تقبل  
بغير الحجة ولا تخضع لسوى البرهان ، والايمان الذي يقول اياك  
والبحت فتعب نفسك وتزرع السلام من قلبك وراحة من ضميرك .  
وهذين العاملين المتناقضين في الظاهر المتلازمين في الحقيقة استطاع  
ان يوفق بين دعواته الروحية ومهمته العالمية ، فكان كالكوكب



## العلم والايمن

الهادي بعيداً عن الناس قريباً منهم يدرس ويؤلف وينشر الحقائق الخالدة في الكتب وعلى صفحات البشير الجريدة التي خدمها ربع قرن اي منذ انتهت به الدروس والاستفار الى العودة لهذه الديار .

اجل يا سادة ان حياة الانسان على الارض تتعلق بطريقة تذكيره فاعماله المختلفة وما يتصل بها من الفضائل والحسنات وما يلابسها من النقائص والعيوب وكل ما يعمل من خير وكل ما يزرع من شر ، ناتج عما يجول في رأسه وقلبه ، والاب معلوف كما رأيتم من سيرته الصالحة لا يحمل في رأسه الا العلم وفي قلبه الا الايمان ولهذا اتخذتها عنواناً لحديثي عنه في هذا اليوبيل الفضي لان الاب لويس معلوف اليسوعي صورة مجسمة للعلم والايمن .

على انه يا سادة اذا شئتم ان ازيدكم بياناً في هذا الموضوع الذي يستغرق تحليله الساعات الطوال فالى الملتقى القريب في عييده الذهبي ان شاء الله .



## نخب سليمان البستاني

[ في وليمة خياط باشا لدى تعيينه عضواً في الاعيان ]

يا حضرة النائب

كان الاولى بي ان اکتني ببلاغة من تقدمني من الخطباء، ولكني ارى من النفس دافعاً الى القول لا اعلم أهو الواجب ام بلاغة اخواني التي استهوتني ، وعلى كلا الحالين ان لي عذراً مقبولاً ولا سيما اني في هذه الليلة التي تجمع بعض محبيك ومريديك والمعجبين بكالك ، لا ارى ثناء ولا ترحيماً ولا تهنئة ازفها اليك دون ان اكون فيما لسان حالهم جميعاً .

ولا ادري وامامي الحكيم والفيلسوف والعالم والمؤرخ والاقتصادي والجغرافي والتاجر والشاعر والنائر ، لا ادري أستعير لسان البسود ام الحضرة ، واخطبك بلغة الالهة ام البشر .

## نخب سليمان البستاني

امامي رجل عصر بل عصور ، جوابة الافق طاف الزمان والبلاد  
فكانت الارض كتسابا بين يديه ، والتاريخ لفضة بين شفثيه ، وما  
احراني في هذه الليلة ، وقد جمعت هذه المزايا ، ما احراني بمتعجب  
الشاعر ، وقد ركب الرشيد حيث قال :

اغيثا تحمل الناقة      ام تحمل هارونا  
ام العلم ام التقوى      ام الدنيا ام الدينا

فاقول :

او ميس قائم فينا      ام القائم سبحانه  
ام العلم ام الحكمة      ام هذا سليمان ؟

وقد كنت فيما مضى احترم فيك الاستاذ واكرم الصديق ، واليوم  
أجل فيك فوق ذلك النائب ، وكأني أجل امة باسرها انت اليوم  
مثال سلطتها المتجسمة فيك ، وصورة آمالها المنعقدة نليك .

يا حضرة النائب

اذا صح لي وانا قابض على هذه الكأس ان انظر الى ابعس من  
الكأس ، اذا صح لي ان لا اقتصر في كلامي على الترحيب والثناء ،  
فلا تظن اني معد لك وجوه الاصلاح المطلوبة من مجلس المبعوثان ،

## نخب سايمان البستاني

فانت ادري بها من هذا العاجز ان لم اقل من كل انسان . ولكني  
اقول لك ، ان عيون اهل بيروت التي لم تمل بعد من النظر اليك هي  
منذ اليوم رقيقة عليك ، ورب عين كانت بالامس ترسل انواراً ،  
تصبح في الغد وهي تبعث شراراً . وانت عارف بعظم التبعة التي على  
كاهلك ، وقد سمعتك بالامس تردد ذلك فايقنت انك الى الفسوز  
سائر ، ولا سيما لانك تعمل عن حب والحب مبعث الارادة ، تعمل  
عن امل والامل نور الحياة ، تعمل عن ثقة من نفسك والثقة بالنفس  
اساس النجاح . الثقة والامل والحب ، او بعبارة الانجيل : الايمان  
والرجاء والمحبة ، هي الثالوث الذي يضيء في محراب ضميرك الناصع ،  
ويسطع في هيكل نفسك الطاهرة ، ومن كان هذا نوره الهادي فلا  
خوف عليه من مجاهل الضماء يوم تضارب الآراء وتنازع الاهواء .  
على هذا الامل ، على امل ان تظهر للامة التي انت منها، والبلاد  
التي انت فيها والدولة التي انت لها ، انك عند حسن ظنهم فيك ،  
اشرب كأسك .

## تأبين البطريرك ارسانيوس

الموت ينادي : يا عباد الله اتقوا الله .

الغنى والمجد والكرامات ضلال فانية ، ويبقى ما تعملون من

الصالحات .

لمن هذه الجموع المحتشدة والشموع المتقدة ، لمن تدق الاجراس  
وتنشد المراثي وترفع في الاعياد اعلام الحداد ؟ ارسانيوس بطريرك  
انطاكية وسائر المشرق لم يغنه تاجه وصولجانه وعرشه وطيلسانه ،  
بل اراه اليوم اغنى وقد تجرد منها وارفع وقد تنازل عنها .

لقد احببته شهاساً واکرمته مطراناً واشفقت عليه بطريركاً واليوم

امام عظمة الموت انحنى بخشوع وارثيه .

يا سادة

ان الذي نشيع اليوم الى المقر الاخير رئيس لم يرتفع الى الرئاسة  
بعلمه وبيانه وجاهه وسلطانه ، ولكنه كان يحمل اقوى سلاح يمكن



## تأبين البطيريك

به الانسان ان يجد سبيلا الى قلب اخيه الانسان . وهذا النوع من السلاح هو : الوداعة والاخلاص والسلاسة وطيبة القلب . الوداعة والاخلاص والسلاسة والطيبة جواهر غالية الثمن نادرة الوجود في هذا العالم المشبع بالكبرياء ، وهذا الجليل الذي لا يعرف غير الرياء .

ولغيري من ابناء الملة ان يسرد تاريخ الفقيه ويعسد مزايه وما اتى من الخدم طوال الخمسين السنة . اما انا فاكثني بالوقوف امام هذه الاخلاق لا تأخذ منها عظة وذكرى ، فكم في الموت من مثالي والعاقل من رأى الشعاع الساطع من الكفن وسمعت اذناه همس الراحلين .

يا قوم ، لقد مات الميت فليحيى الحي يقول المشل ، فعسى ان يكون ائراحل فدى للباقيين ، عسى ان تشهد روحه التي افلتت اليوم من سجن المادة ما كانت تتوق اليه من فجر السلام لهذه الطائفة التي طال عليها الظلام ، عسى ان تزول ضغائن الاحزاب امام الموت الذي يساوي بين الجميع ، عسى ان تذكرنا هذه الساعة الرهيبة ان الحياة على الارض قصيرة المدى لا تحتل المشاغبة والحصام وان العمر وان طال لا يسع العتب ولا المطال . عسى ان تنتصر فينا الوداعة والاخلاص

## تأبين البطيرك

وسلاسة الخلق وطيبة القلب فتتألف القلوب بعد التنافر حفظاً لكيان  
المة ، وقطعاً لدسائس المفسدين ، ولا عبرة بمن يكون الباديء ومن  
يمثي الخطوة الاولى ، فالمسألة ليست مسألة ضعف او شدة بل مسألة  
تضحية في سبيل الوحدة .

ان خضوع الضعيف للقوي ونزول الاقلية على رأي الاكثرية  
امر عادي لا يخرج عن سنة الوجود ونظامه كالقلبين في الماء ، تجذب  
القطعة الكبيرة منه القطعة الصغيرة اليها . ولكن ان يلين القوي  
للضعيف وتتبع الكثرة القلة فهناك الشرف الاسمى لان هذا العمل هو  
التضحية بعينها .

التضحية لا تكون الا في القلوب السامية التضحية التي لا يمكن  
الا ان تمجد صاحبها ، التضحية التي علم بها السيد المسيح وهي فوق  
كل شرائع الوجود .

اقول هذا ، لا اقصد فئة دون سواها ، وانا لا اعرف ولا اريد  
ان اعرف ان هي القلة ، ومن هو الضعيف ، ولكن هي عظمة الموت او  
حكمة البقاء يوحيا الي جلال الموقف ، وهذا الشيخ الراقد في نعشه  
والله عليهم بما تضمرون .

## تأبين البطيريك

يا ارسانيوس ، لقد استرحت اليوم من اتعابك ، وانتهيت حيث  
اردت ان تنتهي . سكن قلبك الحفاق وقلوبنا لا تزال تنتفض باغراض  
الحياة . خرجت الى عزلة السلام ونحن لا نزال في معترك الشهوات  
اعلمت سلاحك وكل منا لا يزال شاكي السلاح ، فطوبى لك لقد  
اصبحت في ذمة الله .

## تأبين شارل دباس

في الساعة التي كنا ننتظر فيها شارل دباس ليعود من باريس ،  
وهو أتم عافية وافر نشاطا يرجع اليها مغمض الاجفان معقود اللسان  
مسجى في الاكفان .

ذهب اليها باشواق فؤاده وذكريات جهاده وايمانه بيسلاده ، فلم  
يمش القدر لاسعاده ففضى عليه الداء حيث اراد الاستشفاء ، وفارق  
عينيه النور في مدينة النور .

ومن كانت منيته بارض فليس يموت في ارض سواها  
شارل دباس الرئيس الاول لهذه الجمهورية ينزل اليوم الى القبر ،  
لم يغن عنه ما عمل وما حمل ، جهاد الشباب ، احلام البطولة ، اغاني  
الحرية ، مجد الرئاسة ، نعمة الغنى ، كل هذا لم يرد عنه القضاء  
المحتوم . فوقف في منتصف الطريق ومجال العمل لا يزال فسيحاً  
واسدل الليل عليه ستاره قبل ان يتم نهاره .



## تأبين شارل دباس

أيها السادة

ان الحسارة في الموت تقاس الى مواهب الانسان واعماله . وقد عرفنا الفقيد ايام رئاسته الطويلة ذا ذكاء نادر واطلاع واسع ونزاهة عز نظيرها . ذكاء يكاد به يدرك ما في ضميرك قبل ان تبادره الحديث واطلاع لا يصل اليه الا المجتهد الحريص على وقته ، المغرم بكتبه انزاهد في ملذاته .

لقد وعى في صدره قوانين الدول، وتتبع عن كشب سير الحركة السياسية والاجتماعية في الثلاثين السنة الاخيرة ، فاكسب خبرة او طأت له مهاد الشهرة وجعلته ثقة يرجع اليه في مسائل القانون وسواه ، كما جعلته موضع ثقة الدولة المنتدبة واعجاب عظامها بدليل ما لقيه من الحفاوة والاكرام في رحلته الاخيرة .

اما نزاهته فحدث عنها ولا حرج . انه لم يكن يعرف التعصب ولا يتحيز لمذهب او لفريق من الناس . لا يحابي ولا يداري في سبيل الواجب اخا او صديقاً ، ولا يهيمه ارضاء احد قبل ارضاء ضميره وعقيدته . يعمل في دائرة النظام والقانون غير مبال بما سيقال عنه من مديح وانتقاد وبما سيخلفه له الغد من عدو او صديق ، اضاف الى

## تأبين شارل دباس

ذلك ادباً في الحديث وطلاقة في اللسان ولطفاً في المعاملة وحرصاً في الاخلاق فلما بهدا في ابناء هذا الزمان .

هذا هو الرجل الذي نشيعه اليوم الى المقر الاخير ، اضعناه في ابان كهولته ومكتمل فضجه ومنتهى خبرته ، فحسره به لبنان على غناد برجاله ثروة كبرى وخسرت الدولة المنتدبة صديقاً من اخلص الاصدقاء . وهو وان لم ينبج من الناموس العام القائل بلسان الشاعر ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل ، فلا ريب انه كان حكيماً قديراً ، وان الفراغ الذي يتركه من بعده لكبير .

على ان الدباس يا سادة ليس من الذين تعمهم بسهولة ظلمة النسيان ومن كان مثله فهو بالموت يحنفي ولكن لا يزول ، يتجرد من صورته المادية ، اما صورته الادبية ، اما ذكره فهو ملء الاسماع والقلوب وسببى الى امد بعيد مالمناً اروقته السراي وندوة النيابة :

كالسكوكب الوقاد تحبوا ناره ويظل نور الكوكب الوقاد

واذا كان من عزاء تقدمه الحكومة لذويه لامة الشكلى وزوجته المنكوبة واخيه الحزين ، ففي هذا المآتم الوطني الذي يتجلى فيه اسف الجماهير .

## تأبين شارل دباس

قم يا شارل وانظر الى هذا الجمع المحتشد حول نعشك . اليوم لا  
شكوى ولا عتاب ، ولا شيع ولا احزاب . ان السياسة لا قلب لها  
ولا دين ولكن صوتها اليوم يخرس امام صمتك الابدي ، وبركانها  
يهدأ لدى حفرتك الباردة . لقد سما جو القبور جراحات الصدور  
فلم يبق الا حافظ لودك ، ذاكر لعهدك ، آسف لبعثك ، معجب بتلك  
الشائل تكلم باعجدهام الرجال .

واما انا الصديق الذي محضته ودك وارادته قريباً منك بين اعوانك  
واخوانك فلم يبق لي الا وقفة تأبين على رآك ولهفسة حزين لدي  
ذكرآك :

قبلغ سلامي معشراً قد بكيتهم وما زال دمعي كلما ذكروا يجري  
ونم في ظلال الامن والراحة التي يفوز بها الموتى الى آخر الدهر

## تأبين انيس طراد

سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لاهل الارض داع  
فانك ان طلبت بقاء يوم على الاجل الذي لك لم تطاعي  
اي مصاب هذا المصاب واية خسارة هذه الخسارة ، بين عشية  
وضحاها يُغيب ذلك الوجه الصبيح ويخفت ذلك الصوت العذب  
المحبوب ، ويسكن ذلك القلب الخفاق باسمي الزايا واطيب الاخلاق .  
بين عشية وضحاها تسود وجوه كانت طافية بالنور ، وتفيض  
عيون لا تعرف الا ابتسامة السرور ، وتلبس الحداد دار كانت من  
اهج الدور . بين عشية وضحاها زوجة ترمل وولد يتيم واخوة  
يتكلمون والبعداء كالأقرباء يتحرقون . سبحانك يا رب السماء .  
مات انيس ! كلمة وكفى ، كلمة واحدة في لحظة واحدة ، واذا  
بالقلوب مضطربة والثغور مكتئبة والدموع منسكبة ، أحقاً ما هذا  
تعلم ؟ أحتماً ان النبأ الذي روع بيروت ضحى الامس لم يكن كذباً ؟



## تأبين انيس طراد

مات انيس وكان ممتلئاً حياة . اصبح مغمض الاجفان معقود اللسان  
مقيداً بالاكفان ، وبالامس كان يطفح نوراً ويفيض سروراً ،  
ويرقص طرباً للحياة ، راضياً شكوراً .

يا سادة

ان الذي نودع اليوم التراب كان رجلاً من خيرة الرجال ، حمل  
من قبل ان يشتد ساعده اسماً كبيراً وميراثاً خطيراً ، وعلى الرغم من  
صغر سنه قدر ان يحافظ على شرف الاسم والميراث في زمن قل فيه  
المحافظون . كان غنياً بلا تجر ، كبيراً بلا تكبر ، مثالا للاغنياء  
في الدعة والبساطة والبعد عن الفخفة الكاذبة لا يطلب شرفاً ولا  
القاباً ، ولا يحسب لغير الفضل الصحيح حساباً . كان صادقاً في معاملته  
انيساً في معاشرته متواضعاً في اخلاقه محباً لذويه مخلصاً لرفاقه .

كان ابا لاختوته ومرشداً وصديقاً مثاماً . كان اخا شفوفاً ، كان  
كالحمل الوديع لا يعرف الشر ولا يسعى اليه ولا يقوى عليه . كان  
نشيطاً في هزل الحياة وجدها ، يلبس كل حال لبوسها ، دون ان يسيء  
الى انسان او يقصر في واجب ايا كان .

هكذا كان عندما نزل القضاء القاسي فقصف غصنه الناضر

## تأبين انيس طراد

واذبل ورده العاطر واحمد قلبه الفائز .

يا انيس يا حلو السمائل يا ظريف المعشر ما عودتنا هذا الجفاء من  
قبل ، وما عودت اهلك ان تفارقهم على هذا الوجه لا كلام ولا سلام .  
جورج الصغير يناديك ويسأل امه عنك لينغمرك بقبساته ، وامه لا  
تجيب بغير النجيب . حبيب وميشال وجبران كم كنت تتحاشى ان  
تبل عيونهم في حياتك ، فهلا اشفقت عليهم في مماتك ، ام انت مشتاق  
الى ادما ولم ينشف بعد تراها فاجبت ان تراها .

يا صديقي ويا اخي ، كم وقفت على القبور ارثي اصحابي وانذب  
احبابي ، وفي كل وقفة كانت تتجدد حرقه الضلوع وحرقه الدموع .  
لقد صحبتك واحبينك ثم فقدناك وبكينناك ولو كان بالامكان  
لفديناك . فوداعا يا جسم انيس الفاني تحجبه اليوم عنا اكاليل ازهور  
وغداً ظلمة القبور ، وعلى الطائر الميمون يا روح انيس الخالدة سيبري  
في موكب النور الى عرشك الابدي واذ كرينا في نعيم البقاء ، مثل  
ذكرانا لك في ارض الفناء .

ولا تحببي يا روضة الانس اتنا على البعد قد ننسى جمالك والزهر  
زهت بك اوراق الحياة هنيئة فان ذبلت فالقلب يحفضها عطرا

## تأبين وديع ابي النصر

ايها السادة

تعودنا ان نقف على قبور الاغنياء والوجهاء واصحاب الشهرة  
والمجد العالمي مؤبين معددين ، واما العامل المسكين ، واما الموظف  
البائس الذي يجد ليل نهار في زاوية من البيت او المكتب بعيداً عن  
الجلبة ، بعيداً عن الناس ، قياما بالواجب في سبيل خبزه كفاف يومه  
فنكتفي بتشيعه صامتين .

على ان بين هؤلاء من يكون احق منهم بالثناء ، واني اليوم  
لاجد مجال القول ذا سعة امام هذه الحفرة التي يتوارى فيها رقيق  
عرفناه فاحببناه . مات وديع ابي النصر الموظف في ادارة البريد  
والبرق ، فحدث فيها هزة حزن لا تتناسب مع مقامه المادي ، ولكنها  
تتناسب مع ما كان عليه من عذب الشائل وحسن السيرة . لقد كان

## تأبين وديع أبي النصر

مثالا للوداعة والاخلاص والامانة والعمل ، فاذا ما بكيناها فانتا  
نبيكي فيه هذه السمائل النادرة التي هي اغنى من المال واغنى من المجد .  
واذا كان من عزاء اقدمه لزوجته الشكلى وذويها باسمي واسم  
اخواني واخوانه فهذا الاجماع على الحزن الذي تبدو مظاهره هذا  
المساء ، فالوداع ايها الرقيق العزيز رحمتك الله عداد مزايك ووافقك  
من الراحة في الآخرة ما لم تنله في دنياك .



## اغنى

[ قيل هذا التابين في حفلة الاربعين للمرحوم  
الياس شقيق المؤلف ، وقد كان خطباء الحفلة  
الشيخ محمد الجسر رئيس المجلس النيابي ، ميشال  
زكور ، موسى عمور وزير الداخلية ، خليل مطران  
الشيخ مصطفى الغلاييني ، بشارة خوري الاخطل  
الصغير ، الشيخ بشارة خوري ، الياس ابو شبكه  
كميل شمعون ، امين تقي الدين معروف الارناؤوط . ]

ما شعرت عمري بصعوبة الموقف مثل هذه الساعة ، على اني لا  
اجد نفسي غريباً عنكم ولا أرى من حولي الا اخوانا غمروني بلطفهم  
وكان في حبهم وولائهم خير ارض من الفقيده يحصل الى قلبي العزاء  
والفخر معاً . اجل يا سماحة الرئيس كنت اود ان اقبلكم من القول

## اخي

بما يسمو الى ذرى تلك العواطف السامية والاحساسات الرقيقة التي  
اظهرتموها لي اتم وحضرة الوزراء والنواب والخطباء والشهداء  
والصحافيين وسائر اخواني . ولا انسى مكارم اخلاق رئيس الجمهورية  
والمفوضية وحسن التفاتها .

كنت اود ان اعبر لكم عن عرفاني الجميل بكل ما اوتيت من  
وسائل التعبير ولكن اليأس لا يزال غالباً علي فانا اليوم كالستيقظ  
من سبات عميق ، لا تزال وطأة الحمول على رأسه ، واشباح الظلام  
بين عينيه ونفسه .

واذا كانت العادة ان لا تنتظروا مني في هذا الموقف غير كلمات  
مألوفة من شكر وشكوى فان في نفسي اليوم شعوراً اوسع من هذا  
ويخيل لي ان صوتاً عزيزاً من وراء القبر يدعوني الى اظهار هذا  
الشعور . هذا الصوت البعيد القريب يقول لي : في الساعة التي  
تحتفلون فيها لتكريم ذكراي كخادم لبلادي اذ كر هذه البلاد  
التي احببتها ولتكن عواطفك نحوها كما كانت عواطفي ، ولا يُنسك  
حزنك علي حقها عليك فهي الام التي احتضنتك صغيراً وتمهدتك  
كبيراً ، ولم تبرح على الدهر تهديك من ارضها طيباً ومن سنائها

## أخي

توراً .

فانا الآن امام واجب مضاعف واجب الاخ نحو اخيه الراحل،  
 وواجب الابن نحو امه الباقية ، فالى هذه الام اتقدم بخشوع واحرق  
 الشموع طارحاً بين يديها قلبي وافكاري ساكباً على قدميها دموعه  
 حبي وتذكاري معجباً بما لبسته من حلل الشباب الساحر ، مؤمناً بما  
 تعده لها الاقدار من مستقبل باهر . وعسى ان يكون في اظهار  
 هذا الشعور الذي يمازج دمى ويختلج بين قلبي وفي ما يعوض عن  
 عجز لساني وقصور بياني في الافصاح لكم يا ابناءها الكرام عن  
 جزيل شكري وعظيم امتناني .

أخي بكوك وأبنسوك وأبدعوا لكن قلبي لم يزل يتوجع  
 اصغني الى انشادهم فيطيب لي وافيق من سحر البيان فاجزع  
 ما لي وللأيام فيك اعددها كل الزمان تذكر وتفجع  
 أبداً اراك على فراشك والضحى يسقيك ملء كؤوسه ويحرق  
 فمن النعاس على جفونك غمرة ومن الشحوب على جبينك برقع  
 والجسم منحسل الغزائم مثقل بالداء مكلوم الفؤاد مضعضع

\*

اخى

ابدأ اراك على فراشك صابراً  
وتسود لو عاد الزمان مسالماً  
لتعيد عهداً للسراى سما به  
اسكته دهرأ ولم يسبح على  
ابدأ اراك وانت تنظر بي وفي  
وتبيت تسألني ونبضك هارب  
وارى ديب الموت فيك فانحنى  
متبهما وحشاشتي تقطع

\*

ابدأ اراك ويالها من رؤية  
قد اطبقت منك الجفون وعطل  
فطويت يارسم الحبيب وكنت في  
نثروا الزهور على السرير وكفنوا  
بل هيكلها هجر الاله مقامه  
نزل القضاء وكان ما اتوقع  
القلب الحنون وغاض ذلك المنبع  
الافق الرحيب مع الكواكب تلمع  
جسداً ثوت فيه المكارم اجمع  
فيه فاصبح وهو قفر بلقع

\*

يا ايها الالم الذي لا ينتهي  
يا منجلاً بيد الليالي مرهفاً  
يا ايها النير الذي لا يخلع  
يمشي على آمالها ويقطع



أخي

ان كنت ذا ظمأً فهلا ترتوي  
 تلوي على الجبل الاشم فينجفي  
 وجاجم الاجيال تحتك تشتكي  
 كم غارة لك في الشباب دفعتها  
 لم يبق من شمسي شعاع ضاحك  
 يا شاعر الاحساس كم من شاعر  
 يخفي ظلام القبر طلعة وجهه  
 رويت عصرك بالدموع فاصبحت  
 وأضفت للقيثارة الكبرى بها  
 ما ادمع الشعراء غير عواطف  
 يُغذون من دمهم فيسبق شاعر  
 وتفرق الاقدار بين عظامهم  
 او كنت ذا نهم فهلا تشبع  
 وتمر بالبحر الخضم فيخشع  
 واليك من ظلماتها تتطلع  
 واليوم جئت ولا شباب يدفع  
 فانشر غيومك ما تشاء وتطمع  
 بلغ السهوى في الترب مثلك يودع  
 ولروحه في كل افق مطلع  
 منها كؤوس الشاعرية تترع  
 وترآ ترن على صدها الاضلع  
 غنوا بها بؤس الحياة وسجعوا  
 في سكبهم لهم وآخر يتبع  
 حتى اذا بلغوا الخلود تجمعوا

\*

أأخى عهدتك للقوافي حافظاً  
 تشاق منك هزارها الصداح في  
 نظم الوفاء بديمها لك مثلها  
 عهداً وهذا يومها أفتمسح  
 النادي ويوحشها الخطيب المصقع  
 قد كنت تنظم للوفاء فتبدع

اخي

من لي بروحك ان تشارف منطقي  
لاقول فيك وفي الثناء عليهم  
اي عصابة الأدب التي احببتها  
حبي له ولعلمه بي يشفع  
حلمتوني في مصابي منة  
عظمت علي فما اقول واصنع  
ملك الاسى قلبي واعىي شكركم  
لبي فليس لدي الا الادمع



## ذيل

صفحة ١٥

كان في بيروت لذلك المعهد عادة لطيفة الفها اداؤها وساعدهم عليها انصراف افكارهم عن المضاربات والسياسة ، وهي اقامة حفلات ادبية بين حين وآخر تهتم بها بعض الجمعيات وتدعو للكلام فيها اديباً للخطابة وآخرين للمناظرة . ومن اشهر هذه الجمعيات : شمس البر ، ولما كل عام حفلة شائقة تدعو اليها اكابر القوم وينفق دخلها في سبيل البر والمعاهد الخيرية ونعم الغاية والواسطة .

وقد كلفت الجمعية سنة ١٩٠١ كاتب هذه السطور للخطابة ، وكان المتناظران خليل زيدان محرر الاهرام سابقاً والاستاذ بولس الحولي ، وخطب على الهامش الاستاذ ابراهيم الحوراني ، وقد طبع الخطاب على حدة ونفذت له فيه لجة الموضوع ، ولانه لاول مرة

## ذيل

تلفظ كلمة الحب على منبر وفي كنيسة .

وفي الاصل ابيات سقطت في هذه الطبعة وهي ختام القصيدة الاولى :  
وسماء الحب من منا ترى لم يضىء فيها له من كوكب  
كان في الحاطر ان انظمه لكم من كل معنى عذب  
انما عهد التصابي قد مضى ففضى الشعر به وهـ و صبي  
( وهي مداعبة شاعر لان الناظم لم يكن بعد بلغ سن التصابي )  
فاعذروا قلباً ضعيفاً ماله غير صوت بالداء الرطب  
نصر الله مليكاً عادلا عصره في الشرق عصر الذهب  
ورعى الله هلالاً قد سما في سما عثمان فوق الشهب  
ان يغب في الافق عنا قمر فسنا راياته لم يغب

صفحة ٤٧ [ المرأة والشعر ]

كان لهذا الخطاب مشا كل عديدة : اولها ان المكتوب يحيى وكان  
يومئذ القباني رحمه الله ، طلب الاطلاع عليه قبل القائه ، ولما اعاده  
لم يجد المؤلف فيه الا خطوطاً حمراء تحت اكثر سطوره، مثلاً :  
« حمل صولجان الادب » هذه غير مسموح ، فلا يحمل الصولجان الا  
السلطان عبد الحميد فلتحذف الجملة . « واضعت الرشاد » لا يجوز



## ذيل

التلفظ بهذه الكلمة لان السلطان المحبوس اسمه رشاد فلتصح وقس عليه .

وازاء هذا التبديل فضلت العدول عن الكلام ، ولكن الرئيس لم يكن من هذا الرأي واقعني بتلاوة الخطاب غاضاً النظر عن ملاحظات المكتوبجي ففعلت ولما وصلت الى هذا البيت :

ومذاهب الحر الابي تضيق في بلد يكون لصومه اسيدا  
شعرت ان الارض مادت بي من كثرة التصفيق ، ورأيت في الوقت  
عينه وجه المكتوبجي الذي كان في الصف الاول يتلون من الغضب  
والخوف .

وفي اليوم الثاني شرفني حضرته بزيارة معاتباً ، ولولا صداقة  
قديمة لكان مالا محمد عقباه .

وبعد اسبوع من هذا الحادث ، دهم البوليس بعض البيوت في  
بيروت وطرابلس منها بيت صوئيل بني ، وجاءني اشارة فحرق ما  
عندي من اوراق حماسية مكتوبة بدافع الصبا ، وبين محروقاتي  
ترجمة جميلة لكتاب الانتقاض « Les Ruines » تأليف فولني . ثم  
عملت بنصيحة الاخوان فسافرت . وكان الخطاب من اسباب هجري

المشكلة الثانية : انه عندما طبعت جمعية تهذيب الشيبية في السكينة هذا الخطاب، ارسلت نسخة منه الى مجلة الضياء للشيخ ابراهيم اليازجي فظهر الجزء الثامن عشر يوليو سنة ١٩٠٤ وفيه تقریظ جميل جاوز المأمول من نقاد كالياذجي لم يسلم من نقده كتاب ولا كاتب . وما جاء في التقریظ : « وكل ذلك في كلام ذهب فيه مذهب الخيال فلم يدع نكته لطيفة او تصوراً غريباً او استعارة بدیعة الا جاء بها ، وكان الخطاب برمه شعراً مما دل على اقتدار نادر في خلق المعاني وتصويرها وتنسيقها ، وربما افرغ بعضه في قالب النظم فجاء من ارق الشعر ديساجة وامتنه نسجاً » (يقصد بذلك قصيدة البحيرة) الى اخره .

ثم مرت ايام وشهور قبل ان يظهر جزء فبراير من السنة الثانية سنة ١٩٠٥ وفيه سؤال من سليم عنحوري عن حجة ما رويته عن ام حبيب . وجواب للشيخ كله لوم وتقریظ ، مع تكذيب ما قلته عن علاقة ابي ابيه . وانه لدى قراءته الخطاب لاول مرة لم ينتبه للجملة كانتها توارت منه استحياء . فدهشت لهذا الانقلاب السريع من

## ذيل

الشيخ ، ولاسيما لانه كان قد ارسل اليّ بعد تقريره الخطاب كتابا يذكرني فيه بالصدقة العائلية ويقول ان محبة الآباء تتصل بالابناء دهشت كما دهش غيري من اخواني الادباء ، فارسلت كتابا الى الشيخ ابيّن فيه نزاهة نيتي فيما رويت ، وبعدي كل البعد عن محاولة المس من كرامة ابيه ، واذكره بكتب كثيرة منه لابي مكتوبة بخطه الفارسي الجميل وفيها كثير من الشعر مما يدل على صلة ادب بينها ، انكرها الشيخ في غضبه كل الانكار ، قائلا ان ابي كان امياً فمن الصعب ان تكون له علاقة بابيه . ومن هذه الكتب كتاب هالك مطلعته :

اشواق طالما هيجت الحاطر والبال ، وانارت لواعج القلق والبلبال  
الى من هاج بالذكري اشتياقي فهبج عند ذكراه شجوني  
وتحيات ففحت بارق من السمات في السحر ، واذكي من  
النفحات في الزهر

الى من لو ذكرت له صفات نشرت بها اربح الياسمين

الى آخره ...

ارسلت جوابي وطلبت نشره في الضياء ، فلم يفعل ، الا انه عند مقابله لاخيه الياس في مكتبة الهلال ، اعتذر اليه عما بدر من

ذيل

الحدة ناسباً ذلك الى سليم عنحوري الذي وسوس له وأثار غضبه ،  
والظاهر اني أسأت من حيث لا ادري الى هذا الاخير ، بغفالي ذكر  
اسمه بين شعراء سوريا . فجعل الشيخ يعتقد اني قصدت الخط من  
كرامة ابيه . يريد ذلك ما ورد في سؤاله : « وما قولكم فيما يلي  
تلك الفقرة ؟ » فان ما يلي تلك الفقرة كما يراه القاريء هو تعداد  
اسماء بعض الشعراء ، وايراد مثل من شعر خليل الخوري مما لم يرق  
في عين سعادة مؤلف «سحر هاروت وبدائع ماروت» .

على اني لم اذكر هذا هنا الا للحقيقة ، نعم اعترف ان النكتة  
اردة ، ولو اتيج لي ان اعيد النظر على الخطاب يومئذ لحذفتها مع  
اشياء كثيرة غيرها . واخواني في السكينة الاميركانية يذكرون  
السرعة التي كتب فيها الخطاب ، ولا سيما لانهم ارادوا طبعه وبيعه  
في الحفلة . فاضطرت الى تقديمه قبل التمكن من تهذيبه كما  
يجب .

اما قصيدة الخوري فلا اكتب القاريء اني بدلت فيها بعض  
الفاظ من بعض ولم اعرض لانتقاد لغتها وتركيبتها لان الغاية من  
الاستشهاد بها هو ذكر طريقة الشاعر الجديدة ، ولولا ركافة في



## ذيل

نظمه ، لعدّ في نظري في مقدمة شعراء الغزل لذلك العهد .  
هذا بعض ما أثاره خطاب المرأة والشعر من المشاكل، والمشكلة  
الآخيرة مع ناشر الكتاب إذ أنه نسي قصيدة كاملة وأغفلها برمتها  
وهذه هي :

### المرأة والشاعر

#### المرأة

عدّ للهوى فربيعة قد عادا      والعشب للعشاق مدّة وسادا  
وعلى الأرائك للهزار مواقف      تستعبد الأرواح ولاجسادا  
فعلام شمرّك لا يكون لها صدى      اعدمت نطقاً أم عدمت فرادا ؟

#### الشاعر

لا لا فقلّي قد عرفت خفوقه      هيهات قلبي إن يكون جمادا  
لم ابلغ العشرين بعد وهمتي      ملت بميدان الحياة جهادا  
وسواد شعري ما تبدل لونه      وبياض آمالي استحال سوادا  
سأمر يا روض الشبيبة تاركا      بعدي غصونك في الهوى تهادا  
إن كان عدي في ظلالك أخضرا      فلكم بكيّ نظيره اعوادا  
كم معطف كان الربيع له حلي      فضى وصار الحريف له حدادا

ذيل

لم تجن منك يداي يوما ووردة الا وصيرها الشقاء قتادا  
 نار يجدها الرجاء باضلي فيعيدها اليأس الجديد رمادا  
 فدعني اعتراضك واخلمي عني الهوى  
 فلقد كفاني شقوة وسهادا

المرأة

عجباً أتسى ان قيدك في يدي حتى طمعت بان تفك قيادا  
 ملء الصبي من الحياة وغيره شابت نواصيه وزاد فسادا  
 أتراك لم يبلغك ان فضائي تركت عباد الله لي عبّادا  
 هل سرت في قفر الحياة ولم تجد مني دليلا اين سرت وزادا  
 هل فاتك القمر المنير ولم تجد في نور وجهي الكوكب الوقادا  
 هل شئت ادراك العلاء ولم يكن ضعفي لضعفك قوة وعمادا  
 هل كان عقلك لو غضضت نواظري اجسدي بمخترعاته واقادا  
 تلك الصنائع والفنون هل ارتقت او عمّرت لولاي منك بلادا  
 هل نال في الامراض لولا علي دنت بطبك ما اشتبهى وارادا  
 يا ايها الرجل الكفور بنعمتي لو كنت وحدك هل ذكاك افادا  
 من كان في الفردوس يشد ضائعا او في الجحيم ينشد الوقادا

ذيل

من راح يروي مجد اندلس لنا      ويزور في عمرانها بغدادا  
من لقب الملك المضلل في الهوى      او عبد عبس رقة وجلادا  
أنسيت في وادي العقيق وضاله      سلمى ودعد وزينبا وسعادا  
او لست اول شاعر في شعره      فوق المنابر بالمحبة نادى  
الشاعر

عفواً فهانذا اقر بذلتي      واتوب لا طمعاً ولا استنجادا  
اجثو على اقدم جسك ذا كراً      امي فلولا الام مجدك بادا  
واجل فيك رفيقة العمر التي      تحيي العباد وتحضن الاولادا  
واكرم الاخوت التي بحنانها      تنسي السقيم الطب والعوادا  
ضل الذي ظن الحياة جميلة      في البعد عنك ومن يطيق بعادا  
الكون شعر انت بيت قصيده      لولاك ما عرف الورى انشادا

صفحة ٥١

اسقطت هذه الجملة :

و كشاعر اسجد لذي هيكل حسنها      واحرق لها البخور  
مدائح وتسابيح من افئدة ملئت بحبها      وادمغة اشتعلت بحمالها

## ذيل

فجادت باسمي الاقوال وابدع التصورات وأرق المعاني التي خلدت.  
مجد قائمها كما خلدت جمال الموحى بها وما برحت فكاهة الافكار جيلا  
فجيل .

## صفحة ٧٤

سقط في الطبع هذه الاسطر قبل القصيدة : ومدار الرواية على  
فتاة تبناها شيخ من اعضاء المجمع العلمي الفرنسي ثم تزوج منها  
فتعرف اليها لامرتين في احدى رحلاته وعقد معها موائق الحب  
الطاهر ثم افترقا على امل اللقاء فما فصح الموت لها . وكان الشيخ على  
علم من جهها فارسل الى لامرتين رسالة التي كان يكتبها لها في غربته  
مع خصلة من شعرها ، وهي عروس القصيدة الشهيرة «البحيرة» ولا  
اعلم اي ذنب جناه هذا الشاعر حتى وصلت قصيدته الي لا ترجمها  
فاني مع علمي بالعجز عن حفظ معشار محاسن الاصل لم احجم عن  
ركوب هذا المركب الحشن وهائندا التي عليكم ما عربت فقد  
تلمحون من خلاله بصيصاً من ذلك النور الساطع وتشمسون من  
جانها اراً من عرفوها الطيب .



الارشمندريتي اسطفان رئيس الكنيسة السورية في الاسكندرية  
توصل الى اقناع ارملة المرحوم يوسف سياج بضرورة انشاء مدرسة  
لفقراء الطائفة فقدمت له عشرة آلاف ليرة مصرية لهذا الغرض ،  
وهي هبة لا يستهان بها في عصرنا هذا وفي قومنا ، فاقبمت له ولها  
حفلة عشاء في النادي السوري حضرها اكثر من ثلاثمائة مدعو  
وجاء خليل مطران خصيصاً من القاهرة للاشتراك فيها سنة ١٩٢٥ ،  
ثم عقبها حفلة ثمانية عند وضع حجر الاساس كما ترى من الخطاب  
التالي ، وحفلة عند نهاية البناء وسنذكر خطبتها في الجزء الثاني .

## صفحة ١٩٣ [التجديد في الشعر]

خطر لي كتابة هذا الموضوع منذ سنوات فوضعت رؤوس  
اقلام وحالت الايام دون تبديضه الى ان ظهرت الحركة الاخيرة في  
الشعر بين شباننا وقد مشى كل منهم في مذهب واخذ اكثرهم يقلد  
الفرنجة دون هدى متوسعين في طريقة تعبيرهم ووصفهم مما جعل  
الشعر فوضى بين اقلامهم ، فاحببت ان انشر هذا الخطاب وهو شبه

## ذيل

احتجاج على هذه الفوضى ، وتلوته في الجمعية العراقية في الجامعة  
الاميركانية ثم نشرته في الهلال مع قصيدة الارض التي نظمها  
كأمودج للشعر الحديث وفيه تجديد في الموضوع والوصف واسلوب  
النظم . ثم عدت الى هذا الموضوع في مهرجان المتنبي في الشام  
بكلمة يجدها القاري في الجزء الثاني من الكتاب .

صفحة ١٩٧ ، [بعد السطر الخامس]

وما القصد بالتجديد ترك القديم بتاتا فان الغاية من الفن هي  
مقدرة الشاعر على خلق او اكتشاف حياصة جديدة في نفسه يعبر  
عنها باوسع ما يكون من الاحساس والحقيقة في شكل جميل يترك اثرأ  
جميلا ولا يتم هذا الا بكسر القيود التي تعودنا ان نقيدها بها اللغة  
وفتح طاقة جديدة تنفذ منها اشعة الشمس الى الكلمات والتراكيب  
فتجلبو معاني كامنة فيها . ان اللانهاية التي تصدم ابصارنا موجودة  
فيها وكما نجهد انفسنا في اختراع آلات تقرب الابعاد لترينا ما تمنعنا  
المسافة من رؤيته ، علينا ان نجهد قوانا العقلية للنظر الى اعماق ما  
تبطن فيها والوصول الى استخراج الكنوز المدفونة في اعماق  
الوجدان .

صفحة ٢٥٣ [ بعد السطر التاسع ]

ثم نحن لا ندرى أين ينتهي النثر وأين يبدأ الشعر . تلك مسألة دقيقة ، فالشعر ليس مُملكا للإنشاء ، ولكن بما ان النظم هو اللسان الذي يقرب من اسمى تعبير للإيقاع الموسيقي بالقافية والوزن والتفاعيل وكان الإيقاع الموسيقي هو الشرط الاساسي لكل شعر ، كان النظم افضل قالب للشعر .

وعلى ذكر الموسيقى فلا بد من التنبيه الى ان المحافظة عليها سواء في المفردات او الجمل او الاسلوب ، لا يكون بتحكيم السمع وحده بل النطق ايضاً ، لان قوة النظم لا تقتصر على التركيب والبناء بل هي في الوقت عينه حركة عضلية في الفم والحلق واللسان . فحساسنا اللسبي العميق هو الذي يدلنا على ما يحسن اختياره من الكلمات وتركيبه من العبارات بالطريق التي تتعاقب عليها مواقع اللسان في مختلف مناطق الفم ، وكما تلتقط الاذن النغمة الموسيقية يلتقطها الفم لانه يمس ويتذوق الالفاظ فيدرك ما في القصيدة من قبح او جمال . من اجل هذا يجب ان يشترك مع الاذن في الحكم لتؤكد من حسن ما ننظم .



ذيل

صفحة ٢٠٩ [ بعد السطر الثاني عشر ]

قال كلليل : النبي شاعر والشاعر نبي ، يعني انه يدرك ويستنتج  
مما حوله اكثر مما يستنتج سائر الناس ، وغير ما يستنتجون . من  
اجل ذلك يتعذر على الشاعر الخلق بهذا الاسم ان يكون مقلداً .  
ان بين شعرائنا المشاهير من ضمن لهم البقاء طويلاً وقد يمر زمن  
قبل ان يقوم بين المجددين انفسهم من يبلغ شأوهم في النظم ، فاذا نحن  
نعتناهم بالمحافظين ولم ننسب اليهم التجديد فليس انقاصاً لقدرةم وان  
هو الا تعريف لهم . وقد سبق فقلت ان هناك شعراء اطربوا البشرية  
ماضياً وحاضراً ، فيجب ان لا تغفل ذلك او تناساه ، وجل ما  
نطلب ان ينهار هذا السد الواقف في وجه الشاعر العربي ليطلق جناحيه  
في الفضاء الواسع الذي شقه له العلم ومخترعاته ، ولا يكون ذلك الا  
اذا عرف ان يتملص من عادات قديمة جرى عليها في تعبيره وتفكيره  
فصدق فيه قول الشاعر :

ما ارانا نقول الا معسراً او معاداً من قولنا مكروراً



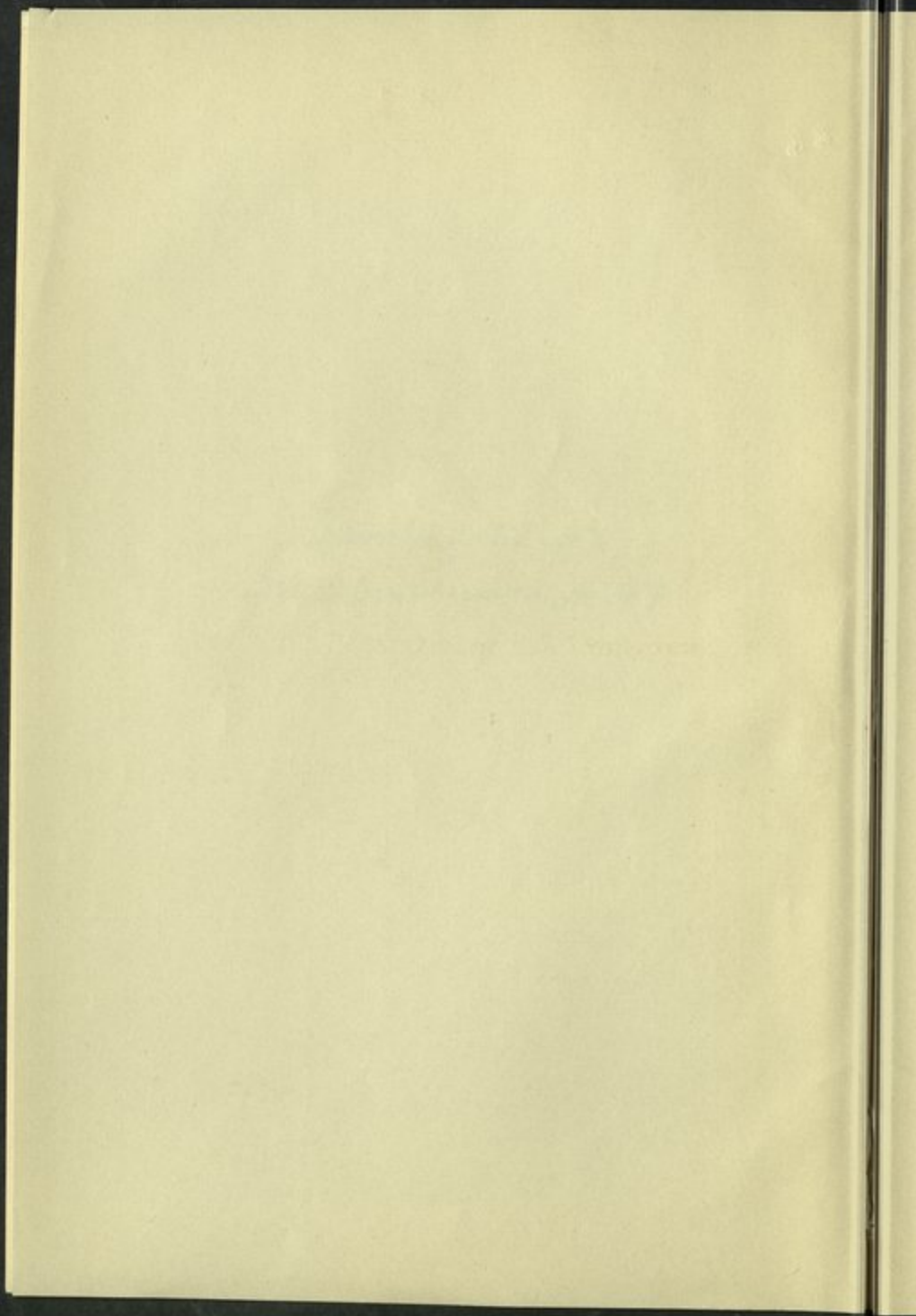
ذيل

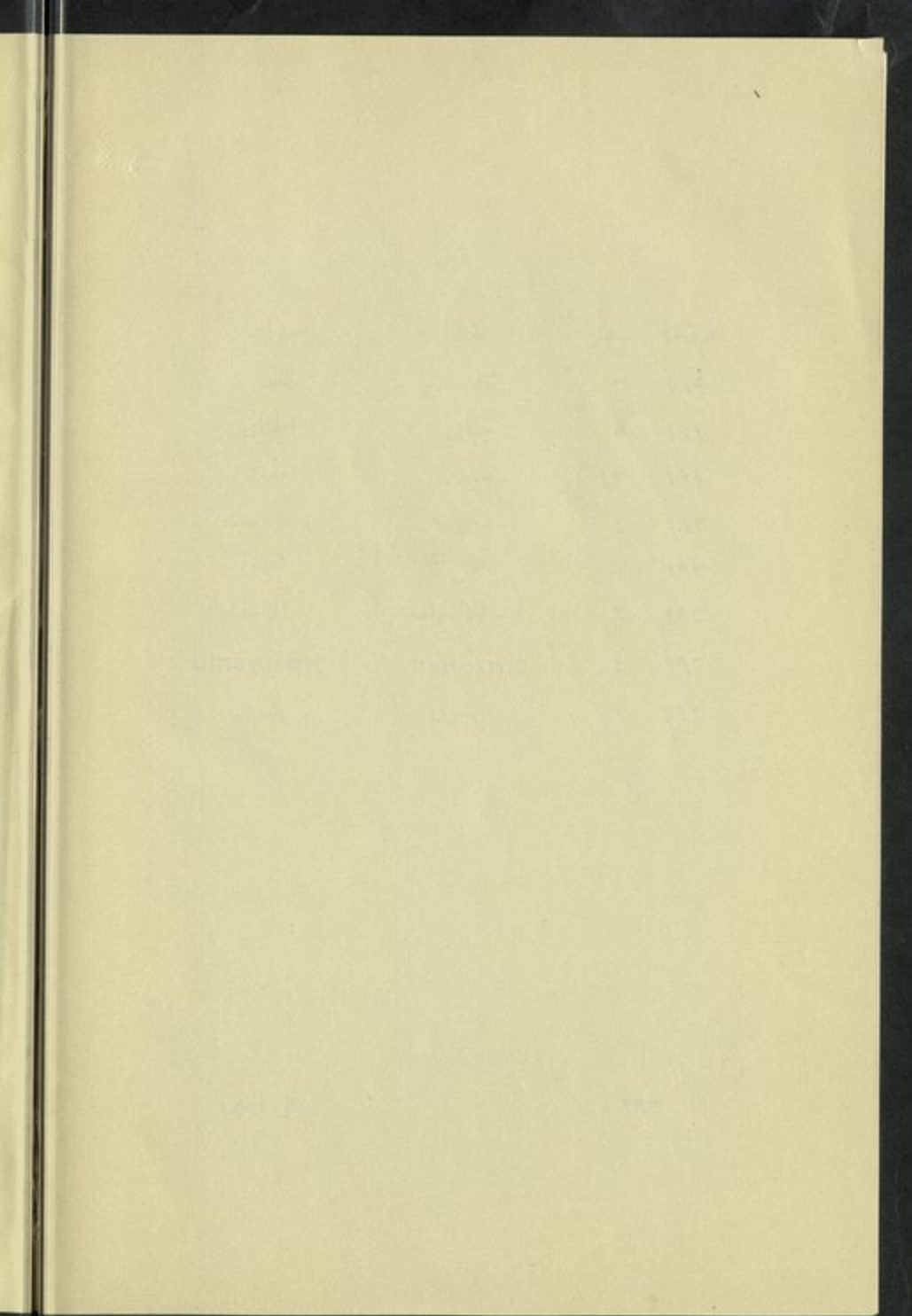
اصراع خطأ

صواب	غلط	سطر	صفحة
حق العلم وآله	حق العلم	١٤	١٢
المحزنة	المحزنة	١٢	١٧
انيسا	انيسا	١١	٢١
جبيبي	يجبيبي	١٥	٦٥
ترويق	تذويق	٨	١٢٨
ذي الاكمام	ذو الاحمام	١٠	١١٣
يرجع الى الذيل	.....	٤	٥١
الانتساب	الانساب	٨	٥٦
الانسان	الالسان	٤	١٥٤
واما العجز	واما في العجز	٨	١٥٧
وهي	وهو	١٦	١٥٧
شغلت	اشغلت	١١	١٥٨
سلاماً	سلامة	١٥	١٨٥

ذيل

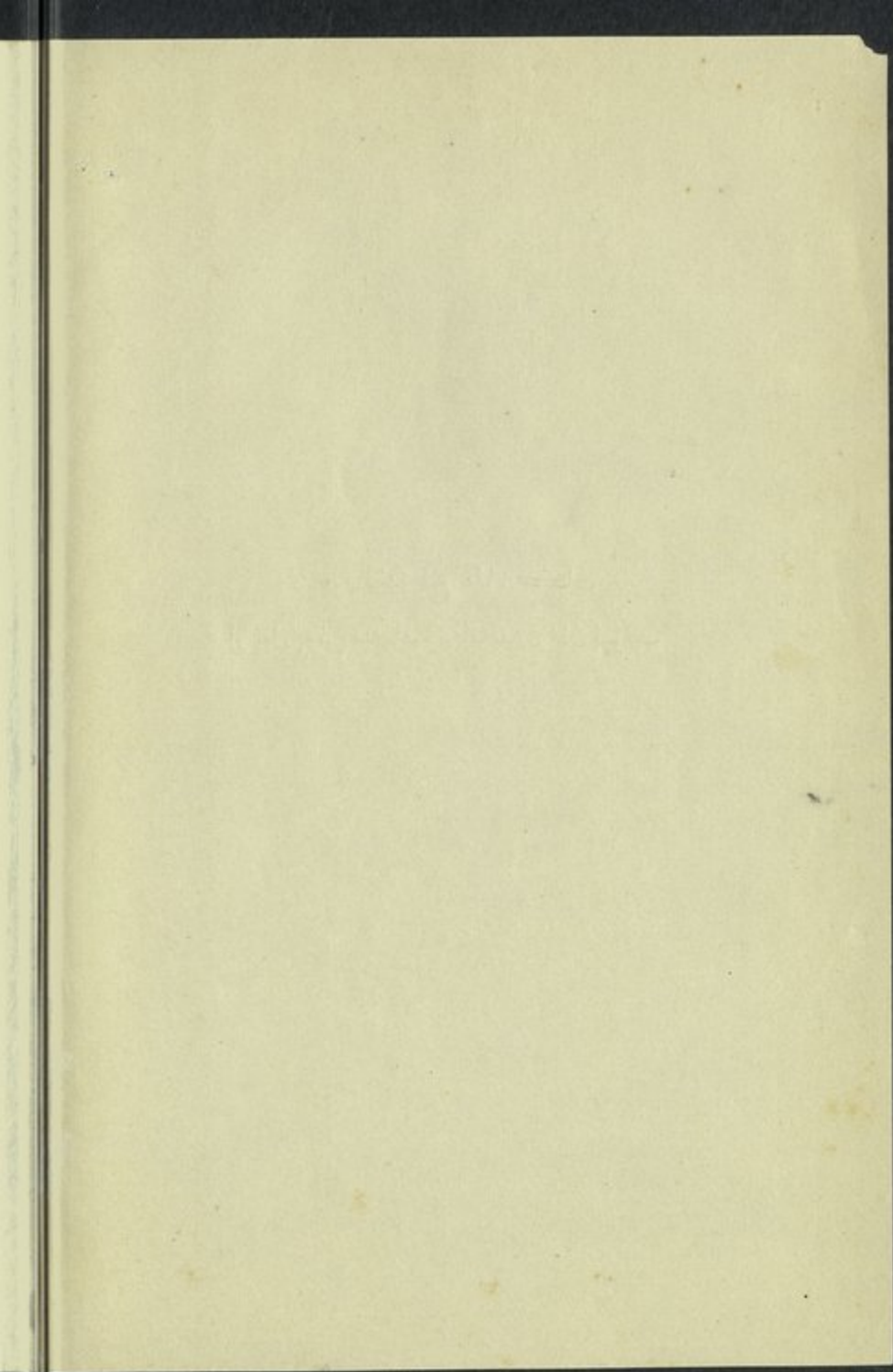
صواب	غلط	سطر	صفحة
تقعد	تعقد	٣	١٨٩
الجنان	جناني	٥	١٩١
تعلمت	تعودت	١٣	١٩١
دروسك	دروسه	٤	١٩٢
تحقق	تحن	٧	١٩٣
الاستشهاد	الاشهاد	٩	١٩٣
umanisme	manisme	٤	١٩٦
يشرف	اشرق	٩	١٩٦

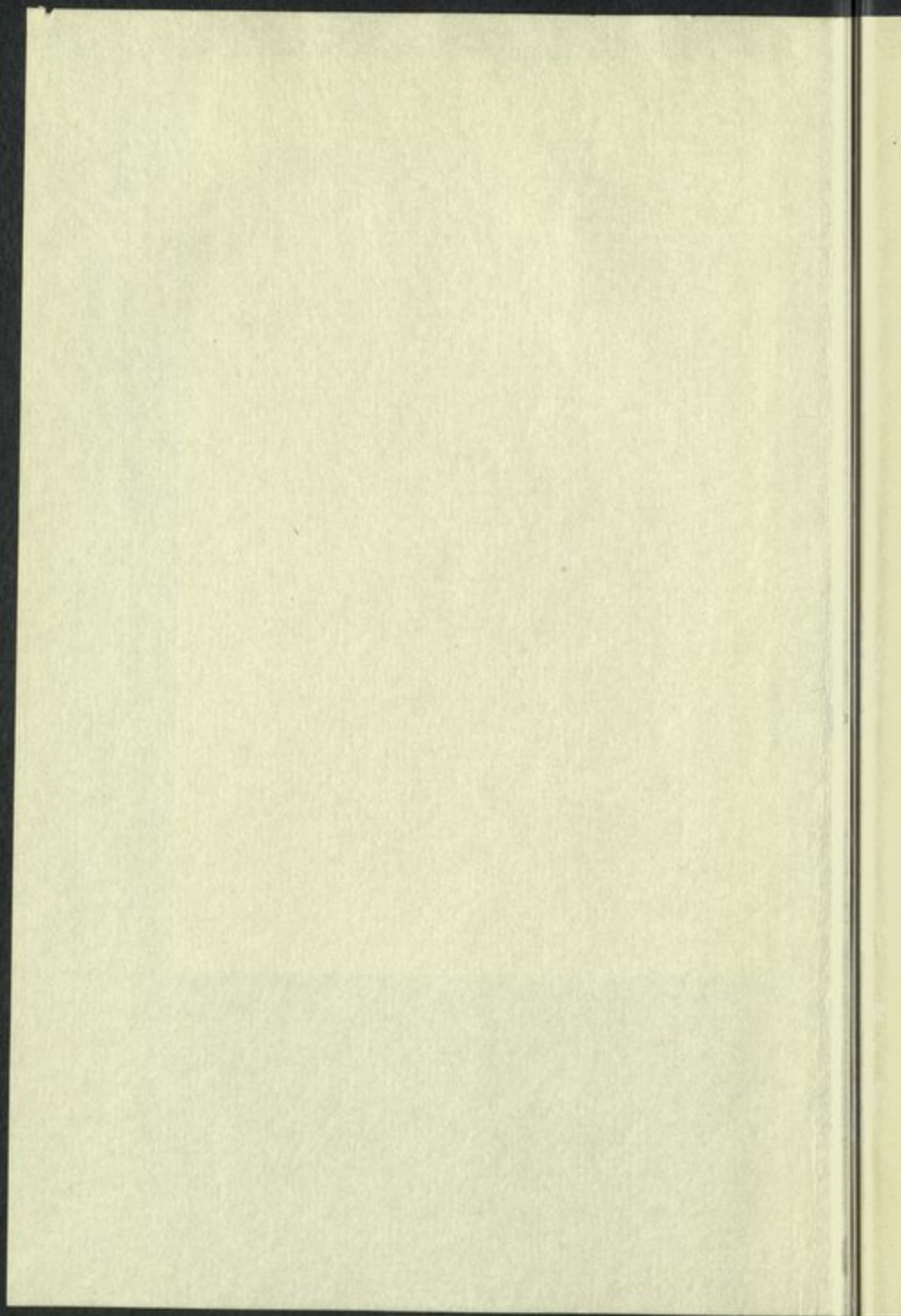






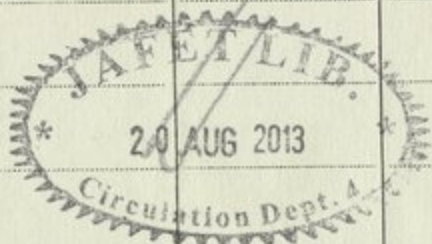
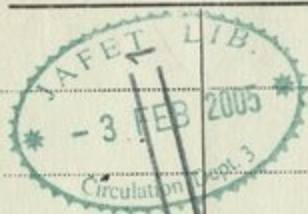
لا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب  
أو نقل بعض منه لمجموعة ما بدون إذن المؤلف





DATE DUE

A. U. B. LIBRARY





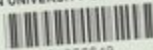
A. U. B. LIBRARY

CA:089.927:F286aA:v.1:c.1

فياض، نفولا

على المنبر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01056649

CA:089.927:F286aA

v.1

• فياض

• على المنبر

CA  
089.927  
F286aA  
v.1

